الكتاب : الديباج الوضي
المؤلف : الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني المتوفى سنة 749 هـ

(فإن أمركم أن تنفروا): إلى جهاد أحد من(1) المخالفين له، وأهل العداوة في الدين.

(فانفروا): معه حيث أراد ووجه.

(وإن أمركم أن تقيموا): في مصركم وبلدكم.

(فأقيموا): فيها من غير مخالفة له في أمره.

(فإنه لا يقدم): في أمر من أموره.

(ولا يحجم): يتأخر عن إمضائه.

(ولا يؤخِّر): شيئاً من الأمور.

(ولا يقدِّم): شيئاً منها.

(إلا عن أمري): ما آمره به من ذلك.

(وقد آثرتكم به على نفسي): آثرت فلاناً بكذا إذا أوليته ذلك دونك وجعلته مختصاً به، ومنه قوله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[الحشر:9].

(لنصيحته لكم): في أمور الدين وصلاح أحوالكم الدنيوية.

(وشدة شكيمته على عدوكم): الشكيمة: حديدة تجعل في فم الفرس تتصل بها فأس(2) اللجام، يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان عظيم الأنفة قوي النفس.

(39) ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص

(فإنك قد(3) جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ): يريد أنك أسلست القياد في اتباعك لمعاوية، وجعلت دينك تبعاً لدنياه، فأصلحت له دنياه بفساد دينك وبطلان آخرتك، واتبعت بزعمك رجلاً.

(ظاهر غيُّه): الغي: خلاف الرشد، وأراد أن مجانبته للرشد ظاهرة، لا تخفى على أحد.

(مهتوك ستره): هتك الستر: خرقه، وأراد أن الله تعالى مسبل لستر الدين على أهل الإيمان بإيمانهم، ومعاوية قد خرق هذا الستر بما كان منه من البغي(4) والفسوق.

(يشين الكريم بمجلسه): الشين: النقص، وقد شانه إذا نقصه، وأراد أنه إذا جالس الكرام وخالطهم نقصتهم خلطته.

(1) من، سقط من (ب).
(2) فأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك. (مختار الصحاح ص489).
(3) قد، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(4) في (ب): الغي.

*(1826/5)*

---

(ويُسَفِّه الحليم بخلطته): سفهه إذا نسبه إلى السفاهة، وأراد أنه يكسب الحليم سفاهة باختلاطه به، ومرافقته له.

(فاتبعت أثره): تابعته في أقواله وأفعاله وسلكت سبيله.

(وطلبت فضله): أراد إما إفضاله وإنعامه عليك، وإما ما تفضل عليه من المتاع، ويزيد على كفايته، وهذا هو مراده، ويدل عليه ما بعده.

(اتباع الكلب للضرغام): يريد الأسد، ومثَّله بالكلب لخسته وحقارته، ولما له به من المشابهة فيما ذكره.

(يلوذ إلى مخالبه): المِخْلَبُ: ظُفُر البرْثُن(1)، وأراد أنه يميل إلى ما يشب بمخلب الأسد من الفريسة فيأكله.

(وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته): وهكذا حاله مع معاوية، فإنه لا غرض له(2) في اتباع معاوية إلا حطام الدنيا، والالتذاذ بلذاتها المنقطعة والتهالك في جمعها.

(فأذهبت دنياك): بانقطاعها عنك، وفواتها من يدك،

(وآخرتك) بما كان من إعراضك عنها؛ باتباع معاوية على فسقه وغيه.

(ولو بالحق أخذت): في اتباعي وترك مخالفتي ونزاعي.

(أدركت ما طلبت): من إحراز رزقك في الدنيا، والفوز برضوان الله في الآخرة.

(فإن يمكّن الله منك ومن ابن أبي سفيان): بالاستظهار عليكما، والتمكن من استئصال الشأفة وقطع الدابر.

(أجزكما بما قدمتما): من المخالفة والبغي والتمرد، وتغيير أحكام الله تعالى، وإيثار الدنيا وترك الآخرة.

(وإن تُعْجِزا): ولا أتمكن منكما.

(وتبقيا): في حياتي معجزين لي وبعد وفاتي أيضاً .

(فما أمامكما): أي فالذي أمامكما من خزي الله تعالى(3) وعذابه المعد لأعدائه والخارجين عن مراده

وطاعته.

---

(1) البراثن من السباع والطير كالأصابع من الإنسان، والمخلب: ظفر البرثن. (مختار الصحاح ص45).

(2) له، زيادة في (ب).

(3) تعالى، سقط من (ب).

*(1827/5)*

---

(شر لكما): أدخل(1) في الشر وأعظم في الويل مما هوقبله، كما قال تعالى:{وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى}[فصلت:16].

(40) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

(أما بعد؛ فقد بلغني عنك أمر): الأمر: واحد الأمور، ويستعمل عند إطلاقه في العظائم، قال الله تعالى:{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ}[النحل:77]، {وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ}[القمر:50]، وإنما أبهمه لعظمه.

(إن كنت فعلته): وكان صادقاً(2) ما قيل في ذلك، وما نقل عنك.

(فقد أسخطت ربك): أي صار ذا سخط عليك.

(وعصيت إمامك): بمخالفتك له في فعلك.

(وأخزيت أمانتك): ظهر الخزي على ما كنت مؤتمناً عليه وهي الخيانة فيه.

(بلغني أنك جردت الأرض): أراد إما قشرتها بقطع أشجارها، وتركها فضاء، وإما أن يريد بالجرد مجازاً، وجعله كناية(3) عن إذهاب ما فيها واستغراقه، وهذا هو مراده بدليل قوله:

(فأخذت ما تحت قدميك): من غلات الأراضي والعقارات والزروع وأنواع الثمار بالإتلاف والتبذير، وإنفاقها في غير وجهها، ووضعها في غير أهلها.

(وأكلت ما تحت يديك): مما يرتفع إليك من الجبايات والخراجات، ومما يكون حاصلاً في يدك بالإنفاق في المأكل(4) والتنعم باللذات، وغير ذلك من الخضم والقضم(5).

(فارفع إليَّ حسابك): كمية ما يرتفع إلى يدك، وكيفية خروج ما يخرج من ذلك ومعرفة ما يفضل.

(واعلم أن حساب الله): لك في ذلك، وعلمه بما أخذت ومقدار ما خنت فيه.

---

(1) في (ب): أوصل.

(2) في (ب): وكان صدقاً ما قيل فيك.

(3) كناية، سقط من (ب).

(4) في المأكل سقط من (ب).

(5) الخضم: الأكل بجميع الفم، والقضم: الأكل بأطراف الأسنان.

*(1828/5)*

---

(أعظم من حساب الناس): أبلغ من محاسبة الناس بعضهم لبعض؛ لأنهم ربما جرى عليهم الغلط والنسيان والذهول عن بعض ذلك، أو عن أكثره، والله تعالى محيط بكل شيء، وعالم به، فلا تخفى على علمه خافية [سبحانه وتعالى](1).

(41) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله عبد الله بن عباس(2)

(أما بعد؛ فإني كنت أشركتك في أمانتي): أراد فيما أنا مؤتمن عليه من حفظ أموال المسلمين، والتعهد لمصالحهم والقيام عليها(3).

(وجعلتك شعاري وبطانتي(4)): الشعار من الثياب: ما يمس الجسد، وأراد أني جعلتك من خاصتي وبطانتي.

(ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك): الأهل: هم العشيرة والأقرباء، يشير إلى أنه لم يكن في إخوته وبني الأعمام أثبت منه في الأمور، ولا أوثق منه في الديانة.

(في نفسي): فيما أعرفه ويسبق إلى خاطري واعتقده.

(لمواساتي): من أجل مواساتي، جعل نفسك أسوة لي في الشدائد والعظائم.

(وموازرتي): معاونتي(5) بالنفس والمال من جهتك.

(وأداء الأمانة إليَّ): مما ائتمنتك عليه من أمور المسلمين، وأموالهم فتؤديها إليَّ كما وليتك إياها.

(فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ): اشتد شره، ومنه قولهم: كلب الشتاء اشتد برده.

(والعدو قد حرب): اشتد غضبه، وكلب وحرب بكسر العين.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) قوله: عبد الله بن عباس، سقط من شرح النهج لابن أبي الحديد، هذا وقد اختلف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب، انظر عن ذلك شرح ابن أبي الحديد 15/169-172، وانظر لوامع الأنوار3/110،111.

(3) في (ب): بها.

(4) قوله: وبطانتي، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(5) في (ب): ومعاونتي.

*(1829/5)*

---

(وأمانة الناس قد حزبت(1)): أي قلّت والحزب: القليل من الشيء، ويقال للطائفة من الرجال: حزب.

(وهذه الأمة قد فتكت): خدعت ومكرت.

(وشَغَرَت): أراد إما بعدت عن الحق، من قولهم: منهل شاغر عن القرية إذا كان بعيداً، وإما ارتفعت عن العمل بالحق، من قولهم: شغر الكلب برجله إذا رفعها ليبول.

(قلبت لابن عمك ظهر الْمِجَنِّ): هذا يقال لمن بدا منه خلاف ما يعهد من أخلاقه من الغلظة بعد اللين، والجفاء بعد المودة، وهذا هو مراده هاهنا.

(ففارقته): بنت عنه وأوحشته.

(مع المفارقين): المباينين له.

(وخذلته): بما كان من جهتك من الخيانة وتأخرت عن نصرته بتأخرك عن أداء الأمانة.

(مع الخاذلين(2)): مع الذين خذلوه، وتألبوا عليه بالعداوة والحرب.

(فلا ابن عمك آسيت): جعلته أسوتك، وأعنته بنفسك.

(ولا الأمانة أديت): ولا ما ائتمنك عليه أديته إليه على الوجه المرضي أداؤه.

(وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك): يريد ومع ما فعلته من الخيانة ما أردت وجه الله بالجهاد الذي كان منك، وإبلاءك ما أبليت فيه.

(وكأنك لم تكن): فيما أتيته وفعلته من هذه الخيانة.

(على بينة من أمرك): على أمر واضح، وبصيرة نافذة فيما تأتي وتذر.

(وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة): ترصد لها الحيل، وتعمل لها المكائد.

(عن دنياهم): لتخدعهم عنها، وتسلبهم إياها.

(وتنوي غرتهم عن فيئهم): الغرة بالكسر: الغفلة، وأراد وتقصد غفلتهم لتأخذ فيئهم وتكون مستولياً عليه.

(فلما أمكنتك الشدة): شد يشد شدة إذا حمل حملة واحدة، وقد تقدم في كلام لزياد بن أبيه: لأشدَّن عليك شدة.

(في خيانة الأمة): بما أخذته من أموالهم، واقتطعته من خراجهم.

---

(1) في شرح النهج: خزيت.

(2) بعده في (ب) وفي شرح النهج: وخنته مع الخائنين.

*(1830/5)*

---

(أسرعت الكرة): الكر: خلاف الفر، وأراد عاجلت في الرجوع، واجتهدت في إيثاره.

(وعاجلت الوثبة): أمعنت نفسك في معاجلتها مخافة الفوات.

(واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم): الاختطاف: أخذ الشيء في سرعة وعجلة، وأراد أنه عاجل في أخذ ما قد أُحْرِزَ من الأموال(1).

(المصونة لأراملهم): صان الشيء إذا حجزه عن الإهمال من أجل صلاح أراملهم، وسد خَلّتهم بها(2).

(وأيتامهم): ومن أجل الضعفاء الذين مات عنهم آباؤهم، وتركوهم عالة.

(اختطاف الذئب الأزلّ): ذئب أزل إذا كان خفيف الوركين.

(دامية المعزى الكسيرة): الدامية من كثرة الجرب، والكسيرة: المكسور(3) أحد أطرافها، وإنما مثَّل ذلك؛ لأن الذئب إليها أسرع أكلاً من غيرها؛ لهزالها وضعفها واقتداره عليها.

(فحملته إلى الحجاز): مكة ونواحيها، والمدينة وما حولها، وسمي حجازاً؛ لأنه حاجز بين نجد وتهامة.

(رحيب الصدر بحمله(4)): الرحيب: الواسع، ومنه رحبة الدار وهو: فناؤها، ورحبة المسجد أي متوسع الصدر من غير ضيق يلحقه.

(غير متأثم من أكله): معتقداً أنه لا يلحقك في ذلك إثم بأخذه وأكله، ولا لوم من جهة الله تعالى.

(كأنك -لا أبا لغيرك-): قد ذكرنا أن قولك: لا أبا لك كلمة يراد بها المدح، فقال هاهنا: لا أبا لغيرك صرفاً لها عن وجهها في المدح إلى غيره.

(حدرت على أهلك): الحدر هو: الإرسال من فوق، وغرضه هاهنا سهولة الأمر فيه.

(تراثك من أبيك وأمك): ميراثك منهما من غير حرج عليك فيه.

(فسبحان الله!): براءة لله تعالى عما لا يليق به، وتنزيهاً له عن أفعالك هذه.

---

(1) في (ب): من أموال المسلمين.

(2) الخَلَّة بالفتح: الحاجة والفقر.

(3) في (ب): المكسورة.

(4) بحمله، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(1831/5)

(أما تؤمن بالمعاد!): تصدق بالرجوع إلى القيامة، وأما هذه للتنبيه.

(أما تخاف من نقاش الحساب!): من المناقشة في الحساب، والتحفظ على القليل والكثير، والحقير والجليل.

(أيها المعدود كان عندنا(1) من ذوي الألباب): تشهير له بندائه، وإعلان بحاله، وتحقيق بزواله عن حالته التي كان عليها، بقوله: كان، وإخراج له عما يتسم به أهل اللب والفطانة، وإدخال له بما فعل في أهل الجهل.

(كيف تسيغ طعاماً وشراباً): تعجب من حاله في إساغة الطعام والشراب.

(وأنت تعلم): حقيقة لا شك فيه، وقطعاً لا ريب في حاله بما يظهر من الأدلة والبراهين.

(أنك تأكل حراماً، وتشرب حراماً): غصباً لا حق لك فيه.

(وتبتاع الإماء): الجواري النفيسة.

(وتنكح النساء): الحرائر، فأنت في جميع أحوالك هذه تدفع هذه الأثمان وتنقد هذه المعاوضات(2).

(من مال(3) اليتامى، والمساكين، والمؤمنين، والمجاهدين): فكل واحد من هذه الأصناف وغيرها له حق في المال الذي أخذته لا محالة، وهم:

(الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال): جعلها فيئاً لهم، وأعطاهم إياها، وجعلها مصروفة فيهم.

(وأحرز بهم هذه البلاد!): بجهادهم عليها بالسيف حتى صارت حقاً لهم، ومحرزة برماحهم، لا ينالها أحد سواهم، ولا يأخذ خراجها أحد غيرهم.

(فاتق الله): راقبه في جميع أحوالك كلها.

(واردد إلى هؤلاء القوم): الذين وصفت لك حالهم في الإيمان، والضعف، والمسكنة.

(أموالهم): التي غصبتها عليهم، وأخذتها خيانة لهم.

(فإنك إن لم تفعل): ما أمرتك به من ذلك، وحثثتك على فعله وإتيانه.

---

(1) في (ب): عندنا كان من ذوي ...إلخ.

(2) في (أ): المقاوضات.

(3) في شرح النهج: أموال.

(1832/5)

(ثم أمكنني الله منك): مكنني من الانتصاف منك، وأقدرني عليك، من المكنة وهي: القدرة.

(لأعذرنَّ إلى الله فيك): لا أبلغن حالة في النصفة يعذرني الله تعالى فيها من أجلك.

(ولأضربنَّك بسيفي): المشهور المعروف بذي الفقار.

(الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار): يشير بما ذكره إلى أنه على الحق، وأن من خالفه على الباطل، مستحق للوعيد بالنار لا محالة، وليس في هذا دلالة على عصمته؛ لأن هذه الحالة أعني المخالفة لإمام الحق والقطع بهلاك المخالف له، والسالّ للسيف في وجهه حاصلة لغيره ممن لا يُدَّعَى عصمته؛ فلهذا لم يكن ذلك دليلاً على كونه معصوماً.

(والله لو أن الحسن والحسين): مع عظم قدرهما، وقربهما من الرسول، وارتفاع حالهما عند الله تعالى، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة بنص أبيهما(1)

---

(1) يشير المؤلف عليه السلام إلى الحديث المشهور: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما)) رواه الإمام الهادي إلى الحق في مجموع رسائله ص53-54 في كتاب معرفة الله عز وجل، و ص195 في كتاب أصول الدين، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 44/1 بسنده عن ابن عمر، 235/2 بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بلفظ: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))، وأخرجه باللفظ المذكور أولاً الموفق بالله في الاعتبار ص663 برقم (529) عن ابن عمر، وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه 250/2 رقم (716) بسنده عن مالك بن الحسن بن أبي الحويرث، عن أبيه، عن جده، والحديث فيه أيضاً بأرقام (687، 712، 723) عن أبي سعيد الخدري.

_ ... _وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تأريخ دمشق ص 79-83 تحت الأرقام (138-143) عن بريدة الأسلمي، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وجهم، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 569/4 إلى مصادر كثيرة منها: سنن الترمذي برقم (3768)، وسنن ابن ماجة 118، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي 90/11، ومسند أحمد بن حنبل 3/3، 62، 64، 82، والمستدرك للحاكم النيسابوري166/3، 167، والمعجم الكبير للطبراني 25/3، 28، و272/19، ومجمع الزوائد178/9، 182، 183، 184، ومصنف ابن أبي شيبة97/12،96، والبداية والنهاية لابن كثير51/2، 35/8، والدر المنثور 262/4، وغيرها. (انظر الموسوعة).

.

(فعلا مثل الذي فعلت): من الخيانة، وأخذ المال الذي لا عذر لك في أخذه ولا شبهة.

(ما كانت عندي لهما هوادة): تهوين في الأمر، ولا مصالحة لهما ولاميل إليهما فيما فعلاه من ذلك، وفي الحديث: ((أسرعوا المشي بالجنازة، ولا تهوِّدوا كما تُهَوَّد اليهود))(1) لأنهم يهونون في السير ويدبون دبيباً.

(ولا ظفرا مني بإرادة): فيما طلباه من ذلك، ولا حللت من ذلك عقدة.

(حتى آخذ الحق منهما): ما كان مستحقاً عليهما لغيرهما.

(وأزيح الباطل من مظلمتهما): فيه روايتان:

أحدهما: أريح بالراء، أي أرد الباطل فيما ظلماه(2)، وأخذاه من غير حقه، من قولهم: أرحت على الرجل حقه إذا رددته عليه.

وثانيهما: بالزاي وغرضه أبعد الباطل من ظلمهما الذي ظلماه، من قولهم: زاح الشيء(3) يزيح إذا بعد وذهب.

(وأقسم بالله رب العالمين): العالمين: جمع عالم، وهم(4) اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وفيه تعريض بحاله حيث كان ظالماً لمن هذه حاله من الخلائق.

---

(1) أورده في مختار الصحاح ص701، وقريباً منه أورده من أثر لعمران بن حصين رضي الله عنه ابن الأثير في النهاية 281/5 في مادة هَوَدَ، فقال ما لفظه: وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: ((إذا مت فخرجتم بي، فأسرعوا المشي، ولا تهودوا كما تهوِّد اليهود والنصارى)).

(2) في (ب): فيما ظلما.

(3) في (ب): الباطل.

(4) في (ب): وهي.

*(1834/5)*

---

(ما يسرني أن ما أخذت(1) من أموالهم حلال لي، أتركه(2) ميراثاً لمن بعدي): يريد أنه ما يسرني أن الذي أخذته من هذه الأموال حلال لي(3) لا تبعة علي فيه أخلفه ميراثاً بعدي، فهذا لا يسرني فضلاً عن أن تكون هذه الأموال فيئاً للمسلمين لا أملكها لا أنا ولا أنت، فالغم علي فيها أكثر لكوني مطالباً بها.

(فضحِّ رويداً(4)): أي ضياحاً رويداً، وأراد هون على نفسك الحال ولا تعجل.

(فكأنك قد بلغت المدى): غاية أجلك ومنتهى عمرك.

(ودفنت تحت الثرى): حيث لا ينفع مال ولا عشيرة.

(وعرضت عليك أعمالك): نشرت عليك دواوينها، وقرئت عليك صحائفها.

(بالمحل): في الموضع، وهو: يوم القيامة في العرصة.

(الذي ينادي فيه الظالم(5) بالحسرة): على ما فعل من الأفعال وغصبه من الأموال.

(ويتمنى المضيع): الذي أضاع أوقاته، وفرط في حياته.

(الرَّجعة): الرد ليعمل صالحاً، كما قال تعالى:{رَبِّ ارْجِعُونِي ، لَعَلّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ}[المؤمنون:99-100].

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: أخذته.

(2) في نسخة: أخلفه، (هامش في ب).

(3) لي، سقط من (ب).

(4) فضح رويداً، قال ابن أبي الحديد: في شرح النهج: 169/16 عند شرح هذه الكلمة ما لفظه: كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة والأناة والسكون، وأصلها الرجل يطعم إبله ضحى، ويسيرها مسرعاً ليسير فلا يشبعها، فيقال له: ضحِّ رويداً انتهى.

(5) في (ب) وفي شرح النهج: الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة.

*(1835/5)*

---

(ولات حين مناص!): المناص: الملجأ، وأراد ليس الوقت وقت فرار وتأخر، ولقد بالغ في عتاب ابن عباس وشدد النكير عليه، وخشن له في القول، وأغلظ عليه في الوعيد؛ لما يعلم من حسن بصيرته وشدة ورعه، وتحرزه في أمور الديانة، واتقاد قريحته في العلم، ولما بلغه الكتاب على ما اشتمل عليه من الخشونة والمبالغة في العتاب وإظهار اللائمة، لم يتمالك في الإذعان والانقياد، ورد المال، وإظهار الندم عمَّا فعل من ذلك، والاعتذار إلى أمير المؤمنين كرم الله وجهه في هذه الزلة، وهكذا يكون حال أهل البصائر النافذة، ومن يرده الله بتوفيقه، وحقيق بمن كان حاله كحال ابن عباس في التقدم في العلم وإحراز الفضل أن يتداركه الله بالتوفيق من عنده، فما قصد أمير المؤمنين بما فعل؛ إلا تشنيعاً للقضية عليه لفضله وتمييزه، وليكون ذلك وازعاً لمن يكون في درجته عن اقتحام مثل هذه الشبه، والورود على مثل هذه الموارد الضنكة القبيحة عند الله.

(42) ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي(1)، عامله على البحرين

كل نهر عظيم فهو: بحر، ولهذا يقال لدجلة وسيحون وجيحون: بحور، وإن كانت أنهاراً جارية، قال

الشاعر:

سره ماله وكثرة ما يم

---

(1) هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، أبو حفص، ربيب رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، ولد بالحبشة في السنة الثانية من الهجرة الأولى، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمه أم سلمة سنة أربع من الهجرة، فنشأ في حجره، وعلمه أدب الأكل، شهد مع علي عليه السلام الجمل، واستعملهعليه السلام على فارس والبحرين، وتوفي سنة83هـ، وقد حفظ عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم الحديث وروى عنه. (انظر شرح ابن أبي الحديد 173/16، ولوامع الأنوار 148/3).

*(1836/5)*

---

لك والبحر معرضاً والسدير(1)

يعني الفرات، والبحران اللذان ذكرهما: واديان في اليمن، يقال لهما: الحسا والقطيف، وقيل: غيرهما، والله أعلم بذلك.

(أما بعد، فإني قد وليت النعمان بن عجلان(2) الزرقي(3) على البحرين): جعلت أمرهما إليه، وأوليته العقد والحل فيهما.

(ونزعت يدك): أزلت ولايتك فيهما.

(بلا ذم لك): في ولايتك، ولا خيانة لاحقة بك في عمالتك.

(ولا تثريب عليك): لا عتب لا حق بك، ولا تأنيب، والثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والمعاء، ومعناه إزالة الثرب؛ لأنه إذا ذهب كان ذلك أمارة على غاية الهزال، فضرب مثلاً للتقريع الذي بلغ الغاية في تمزيق العرض وإهداره، قال الشاعر:

فعفوت عنهم عفو غير مُثَرِّبٍ

وتركتهم لعقاب يوم سرمد(4)

(فلقد أحسنت الولاية): في وضعك لها مواضعها، وإعطاها حقها.

---

(1) لسان العرب 119/2 ونسبه لعدي وقال في شرحه: السدير: نهر، ويقال: قصر وهو معرّب

وأصله بالفارسية رسه دِلّة أي فيه قباب مداخله.

(2) هو النعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري، كان سيداً في قومه، وهو الذي خلف على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب رحمه الله بعد قتله، قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب: كان النعمان هذا لسان الأنصار وشاعرهم، وهو القائل يوم السقيفة:

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم

عتيق بن عثمان حلال أبا بكر

وأهل أبو بكر لها خير قائم

وإن علياً كان أخلق بالأمر

وإن هوانا في علي وإنه

لأهل لها من حيث يدري ولا يدري

_ ... _(انظر شرح ابن أبي الحديد 174/16).

(3) الزرقي، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(4) البيت أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص 44 ونسبه لتبع، وأورده ابن منظور في لسان العرب352/1 ونسبه لبشر، قال: وقيل: هو لتبع.

*(1837/5)*

---

(وأديت الأمانة): أوصلت ما اؤتمنت عليه على وجهه، وقمت فيه بحكمه.

(فأقبل): إلينا وَزُلْ عن عملك الذي كان تحت يدك بأمرنا.

(غير ظنين): متهم فيما أنت فيه، ولا بخيل بما كان من حقوقه.

(ولا ملوم): على تفريط كان هنالك منك ولا خيانة.

(ولا متهم): في أمر من أمور الولاية.

(ولا مأثوم): في جناية(1) في يد ولا لسان.

(فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل(2) الشام): معاوية وأصحابه، وإنما كانوا ظلمة إما لأنهم ظلموا أنفسهم بتعاطيهم البغي والمخالفة، وإما لما أخذوه من البلاد والجبايات على غير وجهه وصرفوه في

غير أهله، فهم ظالمون لا محالة، فلهذا سماهم ظلمة.

(وأحببت أن تشهد معي): حربهم وقتالهم، وتكون معي في المشاهد كلها والمواطن المشهودة.

(فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو): أجعله ظهيراً وعمدة ألجأ إليها عند الشدائد، والحاجات المهمة والأمور العظيمة.

(وإقامة عمود الدين): عن أن يكون مضطرباً، وأن يكون فيه اعوجاج، وما ذكره مجاز ، والحقيقة جري أحكام الشريعة على مجاريها، وتقريرها على قواعدها.

(43) ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني

وهو عامله على أزدشير خرته(3)، وأزدشير خرَّة وهو اسم قرية:

(بلغني عنك أمر): على أيدي النقلة ولم يتحققه أمير المؤمنين، ولهذا أتى بإن، وهي موضوعة للشك، وهذا فيه دلالة على جواز الإنكار مع غلبة الظن، إذا كان(4) هناك قرائن مؤذنة بذلك.

(إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك): صار ذا سخط عليك.

(وأغضبت إمامك): أي صار غاضباً عليك.

---

(1) في (ب): في خيانة.

(2) أهل، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(3) في شرح النهج: أردشير خرَّة، وهي كورة من كور فارس.

(4) كان، زيادة في (ب).

*(1838/5)*

---

(أنك تقسم فيء المسلمين): أن هذه هي المصدرية في الأسماء، وهي في موضع رفع، إما بدلاً، وإما عطف بيان على قوله: أمر .

(الذي حازته رماحهم وخيولهم): أحرزوه بالقوة بالخيل والرجال.

(وأريقت عليه دماؤهم): باستشهاد من استشهد منهم عليه.

(فيمن اعتامك): أي اختارك، من قولهم: اعتام الشيء إذا اختاره، والعِيمة هي: خيار المال.

(من أعراب قومك): أجلافهم، وأهل الغباوة منهم.

(فوالذي فلق الحبة): شقها بنصفين.

(وبرأ النسمة): خلق النفس.

(لئن كان ذلك حقاً): يشير إلى ما ذكره من الأمر الذي بلغه عنه.

(لتجدنَّ بك(1) علي هواناً): ليهوننَّ عندي أمرك، وينزلنَّ قدرك.

(ولتخفَّنَّ عندي ميزاناً): انتصاب ميزان يكون على التمييز، من باب قولهم: طاب زيد نفساً.

(فلا تستهن بحق ربك): الاستهانة من الهوان، وأراد فلا تهونه.

(ولا تصلح دنياك بمحق دينك): أي ولا يكن همك إصلاح دنياك وتسديدها بما يكون مَحْقاً عليك في الدين وتغييراً في حاله.

(فتكون من الأخسرين أعمالاً): من الذين خسروا أعمالهم بإحباطها بالسيئات، وإسقاط أجورها باقتحام الموبقات.

(ألا وإن حق مَنْ قِبَلَكَ): من في جهتك.

(وقِبَلَنَا): ومن في جهتنا.

(من المسلمين): أهل الدين والصلاح.

(في قسمة هذا الفيء سواء): مستوية لا فضل لأحد منهم على الآخر، وفي هذا دلالة على أن رأيه عليه السلام كان التسوية في العطاء، كما كان رأي أبي بكر قبله، وأما عمر فكان(2) رأيه التفضيل في العطاء على مقادير الحقوق في الدين، وعلو المراتب في الإسلام(3).

(يردون عندي عليه): يأخذونه.

---

(1) في شرح النهج: لك.

(2) في (ب): وكان.

(3) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 111/8.

*(1839/5)*

---

(ويصدرون عنه، والسلام(1)): ويذهبون به في قضاء حوائجهم، ويصرفونه في مآربهم كلها.

(44) ومن كتاب له عليه السلام إلَى زياد بن أبيه

وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

(وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزلُّ لبك):يريد استزلالك في لبك ويطلب ذلك منك.

(ويستفلُّ غربك): الغرب: حد السيف، وأراد يكفه ويرده عن حده كالاً.

(فاحذره): عن(2) أن يخدعك بأمانيه، ويستزلك بأكاذيبه.

(فإنما هو الشيطان): أراد إن كنت تعرف الشيطان فهو معاوية بعينه لا مخالفة بينهما في حال.

(يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه): كما يفعل الشيطان.

(ومن(3) عن يمينه وعن(4) شماله): كما حكى الله ذلك عن إبليس بقوله: {ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}[الأعراف:17].

(ليقتحم غفلته): تقحيم النفس إدخالها في الأمر من غير روية وثبات، وأراد يقتحم على الإنسان في حال كونه غافلاً.

(ويستلب غرته): أي يستلبه في حال كونه مغتراً بما يقع فيه من ذلك، أي يخدعه ويمكر به.

(وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة): أي فجأة لا عن تدبر وروية.

(من حديث النفس): التي لا يلتفت إليها ولا يعول عليها.

(ونزغة من نزغات الشيطان): النزغ من جهته هو: الإفساد والإغواء.

---

(1) والسلام، زيادة في (ب).

(2) عن، سقط من (ب).

(3) من، سقط من شرح النهج.

(4) عن، سقط من (أ).

*(1840/5)*

---

(لا يثبت بها نسب): أي لا يكون لاحقاً بمن ألحق به(1).

(ولا يستحق لمكانها(2) إرث): لبطلانها وفسادها شرعاً، وقد كان أبو سفيان ادَّعى زياداً في عهد عمر بن الخطاب، وزعم أنه ولد له، وحاكم إلى عمر، فلم يقض عمر له بشيء من ذلك(3).

(والمتعلق بها): يريد بهذه الدعوة الباطلة.

(كالواغل): بالغين المنقوطة، وهو: الذي يهجم على الشربة ليشرب معهم وليس منهم.

(المدفَّع): بالعين المهملة، وهوالذي لا يزال مدفوعاً في صدره، محاجزاً عن(4) الكون من جملة الشربة.

(والنوط): وهو ما يعلَّق بعد تمام الحمل من قدح، أو غير ذلك.

(المذبذب): لأنه أبداً لا يزال يتقلقل إذا حثَّ الجمل ظهره واستعجل في سيره.

---

(1) قال السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام 299/3: قال في حاشية الهداية ناقلاً عن كتاب الشجرة: لا خلاف أن مجرد الوطء لا يثبت به نسب، وما يحكى عن معاوية في استلحاقه زياداً فقد أجمع المسلمون على إنكاره وبطلانه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليس رجل ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر))، وفي حديث: ((فالجنة عليه حرام))، وفي حديث:

((عليه لعنة الله)) وكذلك قالت عائشة لمعاوية حين ادعى زياداً: ركبت الضلعاء أي الداهية، والأمر الشديد، والسوءة الشنيعة أي البارزة. انتهى.

(2) العبارة في شرح النهج: ولا يستحق بها إرث، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) أعلام نهج البلاغة –خ– وعن زياد بن أبيه وأخباره والدعوة التي استلحق بها انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16/179-204.

(4) العبارة في (ب): محاجزاً على الكون معهم، وليس من جملة الشربة.

*(1841/5)*

---

(فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة): أراد أن كلام أمير المؤمنين على زعم زياد موهم للشهادة على أبي سفيان بالدعوة له.

(ولم يزل): ذلك.

(في نفسه): يريد كلام أمير المؤمنين ونقله عن أبي سفيان ما نقله، فما كان بعد ذلك إلا أياماً قليلة.

(حتى ادَّعاه معاوية): بياعد تلك المقالة التي ذكرها أمير المؤمنين.

(45) ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

وهو عامله على البصرة(1)، الرواية فيه حُنيف–بضم الحاء–.

[بسم الله الرحمن الرحيم](2)

(أما بعد، يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة): الفتية: جمع فتى، قال الله تعالى: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ}[الكهف:10].

(دعاك إلى مأدبة): المأدبة: ما كان طعاماً من غير وليمة، والوليمة: كالعرس، والإعذار وهو: طعام الختان وغير ذلك.

(فأسرعت إليها): من غير سؤال عن حالها، ومعرفة بحقيقتها، وطيب مكسبها.

(تستطاب لك الألوان): يُطْلَبُ لك أطيبها فيقدَّم نحوك.

(وتنقل إليك الجفان): أراد إما واحدة بعد واحدة لاختلافها وتباين أطعمتها، وإما تقدم هذه وتؤخر هذه ترفهاً بالمعايش، وتأنقاً في اللذات.

(فكرعت): في حياضها، والكروع: هو تناول الماء بالفم من غير واسطة الكف.

(وأكلت): من ألوانها ومختلفات أنواع طيباتها.

---

(1) في شرح النهج: ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على

البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.
(2) ما بين المعقوفين زيادة في نسخة، ذكره في هامش (ب).

*(1842/5)*

---

(أكل ذئب نَهِمٍ): النهم: بلوغ الغاية في حفظ الشيء وضبطه، وفلان منهوم على كذا إذا كان مولعاً به، وفي الحديث: ((منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا))(1) وإنما أضاف النهم إلى الذئب؛ لأنه مولع بكثرة الافتراس.

(أو ضيغم قَرِمٍ): الضيغم: اسم من أسماء الأسد، وسمي بذلك لشدة ضغمه لما يفترسه من الحيوانات، والقرم: شدة شهوة اللحم، وإنما شبهه بهذين الحيوانين؛ لكثرة ولوعهما بأكل اللحوم.

(وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، غنيهم مدعوّ(2)، وفقيرهم مجفوّ): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أو لم تعلم أنهم في ولائمهم هذه يدعون الأغنياء ويتركون الفقراء، ومن هذه حاله(3) فإن إجابته مكروهة من أجل ذلك.

وثانيهما: أن يكون مراده أنه لا غرض لهم(4) في هذه الولائم إلا الرياء والسمعة والذكر، ومن هذه حاله فإنه لا يجب إجابة دعوته، ولا ينبغي لأحد من أهل الدين حضورها، ولهذا فإنهم يتركون الفقراء ويدعون الأغنياء من أجل ذلك.

ووجه آخر أهم مما ذكرته كله وهو: أنك إذا دعيت إلى وليمة قوم:

---

(1) الحديث بلفظ: ((منهومان لا يشبعان: منهوم دنيا، ومنهوم علم)) أخرجه من حديث طويل الإمام أبو طالب في أماليه ص224 رقم (181) بسنده عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال، فذكر الحديث بطوله، وهو فيه أيضاً بنفس اللفظ ص205 رقم(144)، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 632/8 إلى العلل المتناهية لابن الجوزي86،87/1، والدرر المنتثرة للسيوطي162.
(2) في (ب): يدعى، والعبارة في نسخة وشرح النهج: عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو.
(3) في (ب): حالته.
(4) لهم، سقط من (ب).

*(1843/5)*

---

(فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقْضَمِ): المقضم: بمقدم(1) الأسنان، وأراد ما تأكله من هذه المآكل.

(فما اشتبه عليك علمه): ولم تدر حاله، ومن أي وجه حصل مكسبه، وانقدحت الشبهة فيه.

(فالفظه): إن كان حاصلاً في فِيْكَ، أو أراد فاتركه إن لم تكن قد تناولته.

(وما أيقنت بطيب وجوهه): بكونه مأخوذاً من أوجه طيبة لا حرج في أخذها وتناولها.

(فَنَلْ منه): أي خذ مقدار الكفاية منه من غير حاجة إلى الزيادة.

(ألا وإن لكل مأموم إماماً): ألا هذه للتنبيه، وأراد أن كل مأموم فلا بد له من إمام.

(يقتدي به): في جميع عباداته، وأحوال دينه.

(ويستضيء بنور علمه): في ظلمات الجهل، وقتام الغباوة، وحنادس الضلالة.

(ألا وإن إمامكم): يشير إلى نفسه.

(قد اكتفى من دنياه بِطِمْرَيْه): الطمر: الثوب الخلق، وأراد إزاراً ورداء من غير زيادة.

(ومن طُعِمه بِقرصيه): ومما يطعم من ملاذ الدنيا وطيباتها برغيف بكرةٍ، ورغيف عشياً من غير زيادة.

(ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك): لصعوبته ومشقة الحال فيه، وكونه منافراً للنفوس في غاية الكراهة له.

(ولكن أعينوني بورع): عن الأمور المحرمة والملاذ القبيحة.

(واجتهاد(2)): في الطاعة لله، والانقياد لأمره.

(فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً): الكنز: الادخار، والتبر: ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضرب فهو عين، ولا يقال ذلك في الفضة، وبعضهم يطلقه عليها.

(ولا ادخرت من غنائمها وفراً): ادخره إذا خبأه، والغنيمة: ما يؤخذ من الكفار، والوفر: المال الكثير، سمي بذلك؛ لوفوره وكثرته.

(ولا أعددت): أراد إما للتجمل، وإما أراد من زينة الدنيا ولذاتها.

---

(1) في (ب): مقدم.

(2) في شرح النهج: ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد.

*(1844/5)*

---

(سوى بالي ثوبي طِمْراً(1)): انتصاب طِمْراً على المفعولية لأعددت، أي ولا أعددت طمراً للتجمل إلا بالي ثوبي هذا من غير زيادة.

سؤال؛ كيف قال هاهنا: سوى بالي ثوبي، وقال فيما تقدم: قد قنع من الدنيا بطمريه، فما وجه ذلك؟ وجوابه؛ لعله تارة يلبس الرداء، وتارة يلبس الإزار، فعبَّر على ما يقتضيه الحال من لباسه لأحدهما دون الآخر.

(بلى): تصديق لكلام محذوف منفي تقديره: أليس قد كان في أيديكم شيء من الأموال، فقال(2) مصدقاً له: بلى:

(قد كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء): فدك(3)

---

(1) بعده في شرح النهج: (ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منها إلا كقوت أتان دَبِرَةٍ، ولهي في عيني أوهى من عفصة مَقِرةٍ).

(2) في (ب): قالوا.

(3) قال أبو العباس الحسني رضي الله عنه في المصابيح: أخبرنا علي بن سليمان البجلي، بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن فدكاً تسع قريات متصلات حد منها مما يلي وادي القرى، غلتها في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، لم يضرب عليها بخيل ولا ركاب، أعطاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام قبل أن يقبض بأربع سنين وكانت في يدها تحمل غلاتها وعبد يسمى جبير وكيلها، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنفذ أبو بكر رجلاً من قريش بعد خمسة عشر يوماً، فأخرج وكيل فاطمة عليها السلام منها.

وقال أبو العباس أيضاً في المصابيح: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحديدي بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {وآت ذا القربى حقه} دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وأعطاها فدكاً. انتهى. (انظر المصابيح ص265، وانظر الاعتصام 251/2).

*(1845/5)*

---

: قرية قريب(1) من المدينة نحلها رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](2) فاطمة +، وأعطاها إياها، وكانت مما لم يوجف عليه بخيل ولا بركاب(3)، فكان رسول الله يأخذ منها لخاصة نفسه ما يحتاجه، ثم أعطاها بعد ذلك فاطمة(4).

وقوله: (من جميع ما أظلته السماء)، تعريض إلى ما كان منهم من الاستئثار عليه بالخلافة وبغيرها.

---

(1) في (ب): قريبة.

(2) زيادة في (ب).
(3) في (ب): ولا ركاب.
(4) قال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 250/2 ما لفظه: لا يختلف آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن فدكاً مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير إيجاف عليها بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم مِلْكاً، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنحلها فاطمة صلوات الله وسلامه عليها._ ... _قال: وفي شرح التجريد: والأصل في ذلك ما صح من الأخبار المتواترة أن فدكاً لما أجلي عنها أهلها من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب صارت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم._ ... _قال: وأخرج البخاري في تفسير قوله تعالى: {فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب} عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله عز وجل. انتهى.

*(1846/5)*

---

(فشحَّت عليها نفوس قوم): يشير إلى ما كان من تيم وعدي وبني أمية، وإنما عدى شحَّت بعلى؛ لأن الشح في معنى الحرص، فإن فاطمة عليها السلام أخبرت بأن أباها نحلها إياها، فمنعها أبو بكر ذلك(1)، وكان هذا من أقوى ما يذكر في مطاعن خلافته مع ما كان من حديث الميراث(2)

---

(1) عن أخبار فدك انظر الاعتصام للإمام القاسم بن محمد 250/2-266، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 209/16-286، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص263-266.
(2) قال الإمام القاسم في الاعتصام: قال أبو العباس الحسني في المصابيح: أخبرنا أحمد بن سعيد بن عثمان الثقفي بإسناده عن عائشة أن فاطمة والعباس سلام الله عليهما أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((لا نورث ما تركناه صدقة)) فهجرته فاطمة+ فلم تكلمه حتى ماتت ودفنها علي عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر._ ... _قال أبو العباس رضي الله عنه: الذي طلباه ميراثاً سهمه من خيبر، فأما فدك فقد كانت لفاطمة+ حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا وهو وجه الحديث. انتهى. (انظر الاعتصام 251/2-252، والمصابيح ص266).
_ ... _قلت: وفي الخبر الذي رواه أبو بكر، قال الإمام القاسم في الاعتصام 264/2 بعد سياقه

لعدد من الروايات في قضية فدك ومنع فاطمة + منها ما لفظه: وقال الهاديعليه السلام في حديث: ((إنا لا نورث ما تركناه صدقة)): ولو سألنا جميع من نقل من أصحاب محمدصلى الله عليه وآله وسلم هل روى أحد منكم عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سمع من رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم مثل ما روي عن أبي بكر من هذا الخبر لقالوا: اللهم، لا. ثم جاءت بعد ذلك أسانيد قد جمعها الجهال لحب التكثير بما لا ينفع عن عائشة وعن عمر، فنظرنا عن ذلك إلى أصل هذه الأحاديث، فإذا عائشة تقول: سمعت أبا بكر، وإذا عمر يقول: سمعت أبا بكر، وإذا هذه الأسانيد المختلفة ترجع إلى أصل واحد. انتهى. إلى أن قال الإمام القاسم ما لفظه: قلت: وأجمع آل محمدصلى الله عليه وآله وسلم أن الأنبياء يورثون لقوله تعالى: {وورث سليمان داود} وقوله تعالى: {فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب} ومن الباطل حمل القرآن على خلاف ظاهره بغير دليل، والله بصير بالعباد. ولو كان حقاً ما رواه من تقدم ذكرهم عن أبي بكر لما رد عمر بن عبد العزيز فدكاً على أولاد فاطمة عليها وعليهم السلام، وكان من أعلم الناس بالحديث ورجاله وعلله. انتهى. (وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد).

*(1847/5)*

---

، وغير ذلك من المطاعن، فإنها لما ادَّعتها قال لها أبوبكر: اثبتي برجلين أو برجل وامرأتين، فقد قيل: إنها جاءت بأمير المؤمنين فأبى ذلك(1)، ولعله كان يذهب إلى بطلان الحكم بالشاهد واليمين للمدَّعي، وفاطمة تذهب إلى جواز ذلك(2)

---

(1) قال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 250/2 ما لفظه: وقال الهادي عليه السلام: لما ادعت فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنحلها فدكاً، ونزع أبو بكر عاملها وطلبها شهوداً جاءت بعلي والحسن والحسين" وأم أيمن رضي الله عنها يشهدون لها، فقال أبو بكر: لا أقبل شهادتهم لأنهم يجرون المال إلى أنفسهم، وأم أيمن امرأة لا أقبلها وحدها. انتهى. وانظر عن قضية فدك ومناقشة حكم أبي بكر في ذلك كتاب الأساس في عقائد الأكياس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام ص157-159.

(2) قال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي رضي الله عنه في لومع الأنوار 78/2-79 ما لفظه: قال الإمام محمد بن عبد الله عليه السلام: وحكى الإمام عز الدين، عن الإمام يحيىعليه السلام [قلت أي الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام] نقلاً من كتابه المسمى التحقيق في الإكفار والتفسيق ما نصه: والمختار عندنا أمران:

الأول: أن الذي ادَّعت فاطمة + كان حقًّا، ثم قال ما حاصله: إنه يشهد لها أمير المؤمنينعليه السلام

وأم أيمن، فقال أبو بكر: رجل مع رجل، أو امرأة مع امرأة، ثم قال أبو بكر: إن الله إذا أطعم نبيه طعمة فهي للخليفة من بعده، فلما أقر بالملك لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وإقراره مقبول، قالت: ويحك يا ابن أبي قحافة، ترث أباك ولا أرث أبي، فاحتج بالخبر، ثم ذكر إعراضها عنه، ورجوعها إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وتمثلها بالأبيات المشهورة:

قد كان بعدك أنباء وهينمة

لو كنت تعلمها لم تكثر الخطب

إلى آخرها، وهذه المناظرة ظاهرة لا يمكن إنكارها.

ثم قال: الأمر الثاني: أنها صادقة فيما ادعته؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشرها بالجنة، وأن منزلها ومنزل أمير المؤمنين حذاء منزله، وساق أحاديث شأنها وكمالها وأحاديث: ((فاطمة مني يريبني ما يريبها، ويؤذيني ما يؤذيها))، فكيف لا تكون صادقة في تلك الدعوى، وقد شهد بصدقها أمير المؤمنين، ولا يشهد إلا بالحق، ولا يقول إلا الحق. انتهى باختصار.

*(1848/5)*

---

.

(وسخت عنها نفوس أخرين): يشير إلى نفسه وفاطمة والحسن والحسين، وإنما عدَّاه بعن؛ لأن السخاوة متضمنة لانقطاع الرغبة عن الشيء المسخو به، فلهذا عدَّاه بعن؛ لأنهم لما رأوا من كثرة المطالبة فيها أهملوها وتركوها.

(ونعم الحكم الله): بين الخلائق، أو فيما ندَّعي من فدك وغيرها.

(وما أصنع بفدك وغير فدك): استفهام وارد على جهة التقرير عند النفوس، وفيه معنى التعجب، وأراد وما تنفعني فدك وأضعافها من الدنيا.

(والنفس مظانها في غدٍ جدث): الجدث: القبر، قال الله تعالى: {يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً (1)}[المعارج:43]، ومظنة الشيء: موضعه الذي يظن حصوله فيه(2)، وأراد أن القبر مكانها وموضعها لا موضع لها سواه.

(ينقطع في ظلمته آثارها): فلا يوجد لها أثر بعد صيرورتها فيه.

(وتغيب أخبارها): فلا يسمع لها بخبر، وأراد امحاء جميع رسومها وأعلامها.

(وحفرة): أي ومظانها حفرة.

(لو زيد في فسحتها): لوبلغت كل غاية في السعة والفسحة.

(وأوسعت(3) يدا حافرها): وكان غرض الحافر لها توسيعها(4).

(لأضغطها الحجر والمدر): الضغط: هو الزحم، يقال: اللَّهُمَّ، ارفع عنا هذه الضغطة، وفي الحديث: ((إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد(5))) يريد سعد بن معاذ.

(وسد فرجها التراب المتراكم): الفرجة: الخلل في الشيء، وأراد أنها وإن فسحت في نفسها فإنها تزدحم بالأحجار المهيلة، وتسد ما فيها من الخلل بالتراب المحثي فيها.

---

(1) سراعاً، سقط من (أ).

(2) في (ب): فيها.

(3) في (ب): وأوسعتها.

(4) في (ب): ترشيقها.

(5) في (ب): لنجا منها سعد بن معاذ، وقوله: يريد سعد بن معاذ، سقط منها، وانظر الحديث في سيرة ابن هشام 158/3.

*(1849/5)*

---

(وإنما هي نفسي): أراد لا أملك سواها، ولا أمارس إلا إياها.

(أروضها بالتقوى): أعالجها بالرياضة كما يعالج المُهْرَ(1) المروض بمراقبة الله تعالى وخوفه، والانكفاف عن محرماته، والمواظبة على القيام بواجباته.

(لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر): أراد يوم القيامة كما سماه الله الفزع الأكبر(2)، إذ لا فزع أطمَّ منه. اللَّهُمَّ، نجنا من أهواله وعظائمه بكرمك الواسع.

(وتثبت على جوانب المزلقة(3)): المزلقة والمزلق: موضع لا يثبت عليه قدم يقال: مكان زلق، قال الله تعالى:{فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً}[الكهف:40]، أي أرضاً ملساء لا ثبات فيها، وإنما قال: على جوانب المزلق مبالغة في الاستقرار والثبوت؛ لأن المزلقة لا تثبت في وسطها قدم فضلاً عن جوانبها، فإذا كانت قدمه ثابتة على طرف المزلقة كانت في غاية الرسوخ(4) والاستقامة والثبوت، وكثيراً ما يرمز إلى مثل هذه الأسرار في كلامه، ويتفطن لها أولو البصائر.

(ولو شئت لاهديت الطريق إلى لباب هذا القمح): لباب كل شيء: خلاصته(5) ونقاوته، وأراد خلاصة البر ومخ الحنطة.

(ومصفى هذا العسل): وأعلا هذه الأعسال عندكم.

(ونسائج هذا(6) القز): والثياب الغالية المنسوجة من القز، يريد أعلا الإبريسم من الديباج وغيره.

(1) الْمُهْرُ: ولد الفرس.

(2) وهو قوله تعالى: {لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون}[الأنبياء:103].

(3) في شرح النهج: المزلق، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) في (ب): في غاية الثبوت والرسوخ والاستقامة.

(5) في (أ): خاصته.

(6) في (ب): هذه.

*(1850/5)*

---

(ولكن هيهات): هيهات: اسم من أسماء الأفعال دال على الخبر، والغرض منه بَعُدَ ذلك، ولكن هذه الاستدراك(1) عما ذكره من قبل، والمعنى بَعُدَ الإيثار مني لهذه الأشياء.

(أن يغلبني هواي): فأكون منقاداً له.

(ويقودني جشعي): الجشع بالجيم هو: الحرص، وأراد أني غير مغلوب للهوى، ولا سلس القياد للحرص.

(إلى تخيّر الأطعمة): انتقاء أطيبها، وأعلاها فآكله، وأغتنم قضمه.

(ولعل بالحجاز أو اليمامة(2)): اليمامة: اسم لجارية كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام، يقال لها: الزرقاء، يقال: أبصر من زرقاء اليمامة، واليمامة: قرية أيضاً(3)، وكانت تسمى الجو فسميت باسم هذه الجارية وغلبت عليها.

(من لا طمع له في القرص): لشدة الفقر والحاجة.

(ولا عهد له بالشبع): لا يكاد يذكر الشبع، ولا يخطر بباله لقلته وندوره.

(أو أبيت مبطاناً): البطنة: هي الامتلاء من العيش، وفي الحديث: ((البطنة تذهب الفطنة))(4) والمبطان: وصف للمبالغة، وهو: كثير الشبع.

(وحولي بطون غرثى): الغرث: الجوع.

(وبطون(5) حرى): رجل حران وامرأة حرى أي عطشى، والحِرة بالكسر: العطش، ومنه المثل: أشد العطش حرة على قرة، إذا عطش في يوم بارد.

(أو أن أكون كما قال القائل:

---

(1) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: للاستدراك.

(2) في شرح النهج: أو باليمامة.
(3) وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة على ستة عشر مرحلة من البصرة وعن الكوفة نحوها. (وانظر القاموس المحيط ص1514).
(4) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 323/4 إلى كشف الخفاء339/1، والأسرار المرفوعة لعلي القاري 153.
(5) في (ب): وأكباد حرى، و في شرح النهج: أو أكباد حرى.

*(1851/5)*

---

وحسبك داءً(1) أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحنُّ إلى القدِّ)

ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه.
أما إعرابه فهو ظاهر:
أن: في موضع رفع خبر لحسبك(2)، وداءً: نصب على التمييز، وإن رفعت داء على أنه خبر لحسبك، وأن في موضع رفع عطف بيان على داء أو بدل منه.
والقدُّ: جلد تحرقه العرب في الجدب، ويستفون رماده.
وأما موضع الشاهد منه: فإنما أورده تمثلاً به لما له في حالته التي هو عليها من المناسبة والملائمة في الإيثار على نفسه، والمواساة لغيره.
(أأقنع من نفسي بأن يقال: أمير المؤمنين): استفهام فيه معنى التعجب، والمعنى في هذا كيف يطلق عليَّ هذا اللقب، ويضاف إليَّ هذا الاسم، وأتسمى بإمرة المؤمنين والرئاسة لهم، ويأمر رسول الله بتلقيبي(3) به(4)، وكيف أنال هذه الحالة، وأترقى إلى هذه الدرجة العالية.

---

(1) في شرح النهج: وحسبك عاراً، والبيت ينسب لحاتم الطائي(انظر شرح النهج لابن أبي الحديد288/16)، وهو من أبيات وأولها:
أيا ابنة عبد الله وابنة مالك

ويا ابنة ذي الجدين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له

أكيلاً فإني لست آكله وحدي

قصياً بعيداً أو قريباً فإنني

أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

كفى بك عاراً أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحن إلى القد

وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً

وما من خلالي غيرها شيمة العبد

(راجع المصدر المذكور).
(2) في (أ): بحسبك.
(3) في (ب):بتلقيني.
(4) أخرج الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 141/1 بسنده عن بريدة الأسلمي قال: ((أمرنا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم أن نسلم على علي بن أبي طالب عليه السلام بيا أمير المؤمنين)).

*(1852/5)*

---

(ولا أشاركهم في مكاره الدهر): يعني وأنا غير مشارك لهم فيما يأتي به الدهر من الحوادث المكروهة، والجملة(1) السلبية في موضع نصب على الحال من الضمير في أقنع، والمعنى أقنع غير مشارك لهم.
(أو أكون(2) أسوة لهم في جشوبة العيش): الأسوة: ما يتأسى به الحزين ويتعزى به، والجشوبة: غلظ العيش وجرزه، والمعنى في هذا كله أني لا أكون أمير المؤمنين وراعياً لهم، ولا يصدق عليَّ إطلاق

هذا اللقب إلا مع مشاركتهم في المكاره، والتأسي بهم في غلظ العيش وجشوبته.

(فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات): لأن أكون مشتغلاً بالمأكولات الطيبة، أخضمها وأقضمها وأن أكون:

(كالبهيمة المربوطة همها علفها): لا هم لها سوى أكل ما يؤتى لها به من العلف حيث كانت مربوطة غير مرسلة.

(أو المرسلة): حبلها على غاربها من غير ربط.

(شغلها تقممها): التقمم: جمع البهيمة للمرعى والنبات بمقمتها وهي: شفتها.

سؤال؛ أراه قال في المربوطة: همها علفها، وقال في المرسلة: شغلها تقممها؟

وجوابه؛ هو أنها إذا كانت مربوطة فلا شغل لها تشتغل به، وإنما غايتها هو الهم لما تأكله ولما يوضع بين يديها من الأعلاف والحشائش، فأما إذا كانت مرسلة فهي مشتغلة لا محالة بإصلاح حالها فيما تجده، وتهتدي إليه من رزقها وتأخذه بمقمتها، وتستولي على إحرازه بها.

(تكترش من أعلافها): أي تجمع في الكرش، ومن هاهنا للتبعيض، أي تأخذ ما يكفيها من بعض الأعلاف.

(وتلهو): بالأكل وطلب المتاع لها.

(عما يراد بها): من التكاليف العظيمة، وتحصيل الأعباء المهمة.

---

(1) في (أ): والجملية.

(2) في (ب): وأن أكون.

*(1853/5)*

---

(أو أترك سدى): عطفاً على قوله: ليشغلني أكل الطيبات، أي أترك مهملاً من غير هم وشغل(1)، كما قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}[القيامة:36].

(أو ألهو عابثاً)(2): أو أكون مشتغلاً باللهو من غير حاجة وأرب.

(أو أجر حبل الضلالة): على غير بصيرة من أمري، ولا طريقة رشد.

(أو أعتسف طريق المتاهة!): الاعتساف هو: الأخذ على غير طريق، والمتاهة: هو التحير، والمتاهة: مفعلة من التيه.

(وكأني بقائلكم يقول): عند معرفته بحالي وتحققه بسيرتي في ذلك، وعلمه بمأكلي ومشربي.

(إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب): في الخشونة، ورقة العيش، وهونه وركته.

(فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران): أي حبسه، والقرن: المثل بالكسر، من قولهم: ما يقعدني

عنك إلا شغل أي ما يحبسني، وأراد فقد حبسه الهزال والضعف عن أن يقاتل قِرْناً مثله.

(و منازلة الشجعان): المنازلة: من النزول، وذلك يكون في الحرب، وهو أن يقتحم كل واحد عن فرسه، ويتجالدون بالسيوف على الأقدام، قال:

ودعوا نزال فكنت أول نازل

وعلام أركبه إذا لم أنزل

(ألا وإن الشجرة البريَّة): النابتة في البراري.

(أصلب عوداً): الصلابة: القوة، وأراد أن عودها صليب ليس دهساً(3).

(والروائع(4) الخضرة): أي والأشجار الرائعة، يريد المعجبة، من قولهم: راعني الشيء أي أعجبني، ومنه الأروع من الرجال، وغرضه أن المخضرة من الأشجار المعجبة التي يبدو لها رونق وطلاوة، ويظهر لها رواء ونضارة.

(أرق جلوداً): يريد أنها تنخدش بأدنى مس، ويزول رونقها بأدنى تغير.

---

(1) في (ب): ولا شغل.

(2) في شرح النهج: أو أهمل عابثاً.

(3) الدهس: النبت لم يغلب عليه لون الخضرة. (القاموس المحيط ص705).

(4) في شرح النهج: والرواتع.

*(1854/5)*

---

(والنابتات العذية(1)): يعني والأشجار النابتة بماء المطر دون غيره من الأمواء.

(أقوى وقوداً): الوَقود بالفتح هو: ما يوقد من حطب وغيره، والوُقود بالضم هو: المصدر.

(وأبطأ خموداً): يريد أن خمودها لا يكاد يذهب؛ لقوتها وصلابة عودها، وأراد من هذا كله بياناً لحاله، وأنه وإن كان على ما ذكر من القوت اليسير وأكل الطعام الخشن، فإن بنية جسمه قوية، وعظامه أقرب إلى الصلابة والشدة، فلا يضرها ذلك، وما ذكر من تنويع الأشجار تمثيل لحاله(2)، وبيان لصفاته في ذلك.

---

(1) في (ب): الغذية.

(2) في (ب): بحاله.

(وأنا من رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](1) كالصنو من الصنو(2)): يعني أن منزلته ومكانه من رسول الله مكان الصنو من صنوه في الدنو والمقاربة، فإذا خرج غصنان من أصل واحد فكل واحد منهما صنو، وأراد أنه هو ورسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم غصنان خرجا من أصل واحد، فهو منه بمنزلة الصنو من صنوه من غير مخالفة، وهذا ظاهر فإن عبد الله وأبا طالب لأب وأم أخوين(3)، ثم إن أبا طالب كفل رسول الله بعد جده عبد المطلب ورباه في حجره(4)، فهو بمنزلة الولد له؛ [لأنه ابن أخيه، ولأنه كفله ورباه فهو بمنزلة الولد له](5)، فلهذا قال أمير المؤمنين: إنه من الرسول بمنزلة الصنو من الصنو يشير إلى ما ذكرناه.

(والذراع من العضد): يريد أن الذراع متصل بالعضد لا حاجز بينهما ولا حائل، وهذا يضرب به المثل في شدة الاتصال.

قالت امرأة من العرب ترقص ولدها:

يا بكر بكرين يا خِلْب(6) الكبد

أصبحت مني كذراع من عضد(7)

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

(2) في شرح النهج: كالضوء من الضوء.

(3) وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران، من بني مخزوم، وقوله: أخوين، هكذا في النسخ بالنصب، وهو خبر لكان واسمها محذوفين والتقدير: كانا أخوين.

(4) خبر عناية وتربية أبي طالب بن عبد المطلب بعد أبيه عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهور، وانظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص116-127، وسيرة ابن هشام 122،120/1 تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(5) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(6) أي يا قطعة من الكبد، من خلب النبات واستخلبه إذا قطعه.

(7) أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج 290/16، بدون نسبة لقائله.

(والله لو تظاهرت العرب على قتالي): تظاهروا أي تعاونوا، وصار كل واحد منهم ظهراً للآخر يستند إليه عند الحوادث الكريهة، قال الله تعالى: {تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[البقرة:85]، وقال تعالى:{وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً}[التوبة:4]، والمظاهرة: المعاونة.

(لما وليت عنها): فراراً، وذلة وجبناً.

(ولو أمكنت الفرص من رقابها): الفرص:جمع فرصة وهي: النهزة(1)، يقال: فلان ينتهز الفرص أي يغتنمها ولا تفوته، وأراد أني لو تمكنت من رقابها لاغتنمت فرصها.

(لسارعت إليها): من غير تلبث ولا ترتب(2) في حالها، وأراد بذلك من كان من العرب مرتداً عن الدين أو باغياً(3) عليه، مخالفاً بالفسق والخروج والتمرد.

(وسأجهد في أن أطهر الأرض): أطلب الاجتهاد، ولا أوثر عليه شيئاً حتى أنقي وجه الأرض، وأزيل عنه ما يطخيه(4) ويكدره.

(من هذا الشخص المعكوس): يعني معاوية ومن قال بقوله وذهب إلى مذهبه في المخالفة والبغي، وإنما وصفه بالعكس؛ لأن العكس هو: رد الشيء مقلوباً، فإنه كان في أول حاله في أيام الرسول عليه السلام على حالة مستقيمة في الدين، وكان من جملة رواة الحديث، ثم انعكس أمره بعد ذلك بالفسق والبغي والخروج على أمير المؤمنين.

---

(1) في (ب): النصرة، وهو تحريف.

(2) أي: ولا تثبت.

(3) في (ب): أو باعثاً.

(4) أي يظلمه ويغطي نوره، ومنه الحديث: ((إن للقلب طخاء كطخاء القمر)) أي ما يغشيه من غيم يغطّي نوره. (انظر نهاية ابن الأثير 117/3).

*(1857/5)*

---

(والجسم المركوس): الركس: القذر، وفي حديث الاستجمار أنه أوتي بروثة فرمى بها وقال: ((إنها ركس))(1)، وأراد الجسم الخبيث من الذين قال الله تعالى فيهم:{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}[المائدة:41].

(حتى تخرج المذرة(2) من بين حب الحصيد): المذرة: الحبة الفاسدة، ومنه بيضة مذرة أي فاسدة، والمذر: الفساد والتغير، والحصيد: المحصودمن الزرع وهو الجيد الذي قد حضر استحصاده، وهو البالغ في الجودة، وأراد حتى يتميز الجيد من الردي والصحيح من الفاسد، والإشارة بما قاله من ذلك إلى تطهر الأرض من أهل الزيغ في العقائد، التاركين لأحكام الدين، والماحين لرسومه وأعلامه.

(إليك عني يا دنيا): إليك هذه اسم(3) من أسماء الأفعال في معنى الأمر، أي ارجعي عني وابعدي، كما تقول: إليك زيداً أي خذه، وعندك عمراً أي الزمه، وعني متعلق بما دل عليه إليك من الفعل، كما نصب الظاهر في قولك: عليك زيداً وإليك عمراً.

(فحبلك على غاربك): الغارب: من الجمل ما بين السنام والعنق، يقال: فلان حبله على غاربه، استعارة له من إلقاء خطام البعير على غاربه ليذهب حيث شاء، وقولك: حبلك على غاربك، كلمة كانت العرب يطلِّقون بها نساءهم في الجاهلية، والمراد بها اذهبي حيث شئت، ثم شرع في الإسلام الطلاق الصريح، وبقيت هذه كناية إذا نوى بها الطلاق الآن كانت طلاقاً.

---

(1) نهاية ابن الأثير 259/2، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 604/3.

(2) في (ب): المذرا، وأشار في هامشها إلى أنه في نسخة: المذرة، و في شرح النهج: المدرة.

(3) في (ب): إليك هذا الاسم ...إلخ.

*(1858/5)*

---

(قد انسللت من(1) مخالبك): خلصت وخرجت، والمخالب: جمع مخلب وهو ظُفُرُ البُرْثُن(2) في سباع الوحش كالأسد والنمر، وهو(3) المنقار الذي يخلب به في سباع الطير كالصقر والشاهين، وغير ذلك، فكل واحد منهما مخلب في حقه.

(وأفلت من حبائلك): أفلت بمعنى فلت وتخلص، والحبائل(4): جمع حبالة وهي الشبكة للصيد.

(واجتنبت الذهاب في مداحضك): جانبت المضي والسير في المزالق، ومنه دحضت رجله إذا زلقت وزلت، أخبريني حين أسألك:

(أين القوم(5) الذين غررتهم): الغرر(6): المكر والخديعة.

(بمداعيك!): فيه روايتان:

أحدهما: بالياء بنقطتين من أسفلها، وهوجمع مدعاة إلى اللهو واللعب، وسائر أنواع الطرب.

وثانيهما: بمداعبك بالباء بنقطة من أسفلها جمع مدعبة، وهي الدعابة والمزاح، والمعنى فيهما متقارب.

(أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك!): الفتنة: الاختبار والامتحان، والزخرف: الذهب في الأصل ثم شبه به كل مموه مزور، والمزخرف: المزين، وأراد أن الله تعالى جعلها في حقهم بلوى واختباراً لهم وامتحاناً، فكان سبباً(7) للضلال والهلاك.

(هاهم): ها هذه للتنبيه، مثلها في قولك: هاذاك، كما(8) قال تعالى: {مَا هَذَا بَشَراً}[يوسف:31]، والضمير هاهنا(9) منفصل راجع إلى من(10) تقدم من القرون والأمم.

(1) في نسخة: عن (هامش في ب).
(2) وجمعه البراثن وهي من السباع والطير كالأصابع من الإنسان، (وانظر مختار الصحاح ص45).
(3) هو، سقط من (ب).
(4) في (أ): والحابل.
(5) في شرح النهج: القرون، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(6) في (ب): الغر.
(7) في (ب): سبب.
(8) كما، سقط من (أ).
(9) في (ب): بها هنا.
(10) في (ب): ما.

*(1859/5)*

---

(رهائن القبور): موثقين بأعمالهم لا يفك رهنهم إلا بأدائها كاملة [عند الله تعالى] (1).

(ومضامين اللحود): قد ألصقوا إليها.

(والله لو كنت شخصاً مرئياً): شبحاً يرى ويدرك بالحاسة الناظرة.

(أو قالباً حسّياً): القالب بالفتح: ما يطبع على مثاله وحذوه، ومنه قالب النعل، وأراد أنك لو كنت مما يحتذى على مثاله ويحسه الراؤون له.

(لأقمت حدود الله عليك): أراد بالحد التعزير والأدب؛ لأن من(2) يَغِرُّ ويخدع لا يستحق إلا الأدب والتعزير، ويحتمل أن يكون مراده الحد بالقتل؛ لأنها لا محالة قاتلة لمن سبق من الأمم، ملقية لهم في المهالك العظيمة والمتالف المردية.

(في عباد): من خلق الله.

(غررتهم بالأماني): الكاذبة.

(وأمم): الأمة: الجماعة من الناس.

(ألقيتهم في المهاوي): جمع مهواة وهي: الحفرة العميقة يقع فيها الجاهل بها.

(وملوك): من الجبابرة.

(أسلمتهم): من الاستسلام وهو: الانقياد.

(إلى التلف): إلى الهلاك المتلف.

(وأوردتهم موارد البلاء): المورد: الموضع الذي يورد منه الماء، وقد استعاره هاهنا في نقيضه من الهلاك والردى.

(إذ لا ورد ولا صدر!): الورد هو: الوصول إلى الماء، والصدر: هو الصدور عنه بالارتواء، وهو هاهنا كناية عن عدم الحيلة في الأمر، يقال: فلان لا يملك في هذا الأمر ورداً ولا صدراً، هذه إذ معمولة لما قبلها من الفعل، وهو قوله: أسلمتهم إلى التلف وقت لا حيلة لهم ولا تصرف.

(هيهات!): بَعُدَ ما يرجى منك من الخير وفيك لراحته، وبرهان ذلك وعلامته هو أن:

(من وطئ دحضك): الدحض هو: المكان الزلق، وأراد أنه من تمكن منك، وتوطن في حالك(3).

---

(1) سقط من (ب).

(2) في (ب): ما.

(3) في (ب): حلالك، فلعله من المحلة وهو المكان الذي ينزل به.

*(1860/5)*

---

(زلق): أي زلت به رجله فلم تثبت ولم تستقر.

(ومن ركب لججك): اللجة هو(1): معظم الماء، وأراد ومن ركب سفن لججك.

(غرق): في بحارك.

(ومن ازوّر عن حبالك(2)): ازورَّ عن الشيء إذا مال عنه وعدل، وغرضه مال عن الاصطياد بحبالك.

(وفق): للنجاة في أمره وللسعادة في عمله.

(والسالم منك): والذي سلم من خدعك وغرورك، وكان بمعزل عن كذبك وأباطيلك.

(لا يبالي أن ضاق به مُنَاخُه): غير ملتفت على(3) ضيق مجلسه، وضنك موضعه، والمناخ: موضع الإناخة، واستعاره لموضع الاستقرار والكون في الأماكن.

(والدنيا عنده): بالإضافة إليه.

(كيوم حان انسلاخه): مثل يوم قد ذهب أكثره، وصار منسلخاً بورود الليل عليه.

(اغربي عني!): أي تباعدي بالغين المنقوطة والراء المهملة.

وفي بعض النسخ: (اعزبي): بالعين المهملة، والزاي المنقوطة، وهوتصحيف لا وجه له.

(فوالله لا أذل لك): أخضع وأكون في غاية الهوان لك.

(فتستذليني): أي فأكون ذليلاً عندك، ونصبه على أنه جواب للنفي في قوله: لا أذل لك.

(ولا أسلس لك القياد): القياد: الحبل الذي يقاد به الحيوان، وأراد ولا أرخيه لك.

(فتقوديني): به عند إرخائه، ولكن أملكه حذراً(4) من ذلك.

(وايم الله): جمع يمين، وقد مر تفسيره.

---

(1) في (ب): هي.

(2) في (ب) وشرح النهج: حبائلك.

(3) في (ب): عن.

(4) في (ب): حذاراً.

*(1861/5)*

---

(يميناً أستثني فيها(1) بمشيئة الله): إشارة إلى قوله تعالى:{وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً}[الكهف:23]، وانتصاب يميناً إما على المصدر(2) كأنه قال: أحلف حلفاً، وإما على التمييز أي وايم الله من الأيمان العظيمة، والمعنى فيه: ولا تقولنَّ قولاً من الأقوال كبيراً كان أو صغيراً إلا متلبساً بمشيئة الله تعالى قائلاً فيه: إن شاء الله، فلهذا قال أمير المؤمنين: أستثني بمشيئة الله، يشير إلى هذا الأدب من الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

(لأروضنَّ(3) نفسي رياضة): لأسوسنَّها سياسة في أكلها وشربها، وقد تقدم رياضتها بالتقوى، فرياضتها في المطعم هو أن:

(تهش معها): الضمير للرياضة، وتهش أي ترتاح، من قولهم: فلان يهش إلى سماع الشعر أي يرتاح له.

(إلى القرص): الواحد من الخبز.

(إن قدرت عليه): بشرط أن تكون قادرة عليه أيضاً.

(مطعوماً): أي طعاماً، وانتصابه على التمييز أي ممَّا تتطعم.

(وتقنع بالملح): أي وتكون قانعة بالملح من غير زيادة إن وجدته أيضاً.

(مأدوماً): أي إداماً، وانتصابه على الوجه الذي ذكرناه في مطعوماً، ويجوز أن يكونا منصوبين على الحال من القرص وبالملح، أي في حال كون القرص مطعوماً، وفي حال كون الملح مأدوماً به.

(ولأ دعنَّ مقلتي): المقلة: عبارة عن شحمة العين الجامعة لسوادها وبياضها.

(كعين ماء): كالعين التي ينبع منها الماء ويستقر فيها.

(نضب معينها): غار ماؤها وذهب، وأراد لأبكِينَّ حتى استفرغ دموعي كلها حتى لا أبقي منها شيئاً من خشية الله، وخوفاً من عذابه.

---

(1) فيها، زيادة في (ب)، و شرح النهج.

(2) في (ب): المصدرية.

(3) في (ب)، و شرح النهج: لأروضنَّ، كما أثبته، وفي (أ): لأروض.

*(1862/5)*

---

(مستفرغة دموعها): استفرغ الإناء إذا أذهب(1) ما فيه وصار فارغاً.

(أتمتلئ السائمة من رعيها): السائمة هي: الأنعام التي تهمل على رءوسها(2) من غير راعٍ لها، والرعي هو: النبات المرعي.

(فتبرك): للاستراحة عند الشبع، والبروك إنما هو في الإبل خاصة.

(وتشبع الربيضة): وهي الغنم، برعائها.

(من عشبها): وهو الحشيش.

(فتربض): والربوض للغنم والبقر.

(ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع!): الهجوع: النوم ليلاً، وأراد ويأكل عليٌّ من زاده قرير العين ناعم العيش لذيذ النوم، لا يكدر ذلك مكدر، ولا ينغصه منغص.

(قرَّت إذاً عينه): عما يسوءها ويزيل لذتها.

(إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة): إذا كان متابعاً بعد تكرير السنين والأيام على الرياضة للنفس، وتأديبها على التقوى.

(بالبهيمة الهاملة): وهي المرسلة لترعى ليلاً ونهاراً من غير راعٍ(3) لها، ولا حافظ يكلأها(4) ويحفظها.

(والسائمة المرعية!): والتي هي غير معلوفة.

(طوبى): من الطيب كالكوسى من الكيس، لكن قلبت ياؤها واواً لانضمام ما قبلها، وهي فعلى بضم الفاء، وأراد الطيب حاصل.

(لنفس أدت إلى ربها فرضها): أوصلت إليه ما افترض عليها على الوجه الذي افترضه عليها، وفعلته فعلاً مطابقاً مرضياً.

(وعركت بجنبها بؤسها): البؤس: الضر والشدة يقال: بئس الرجل يبئس بؤساً إذا اشتدت حاجته وفقره، وأراد وقلبت(5) جنبها في المضرة والحاجة تقرباً إلى الله تعالى، وطلباً لثوابه وفوزاً برضاه.

(وهجرت في الليل غمضها): الغمض: قلة النوم، وأراد أزالت نومها في عبادة الله وقياماً بحقه، وداومت على ذلك.

---

(1) في (ب): ذهب.

(2) في (ب): رأسها.

(3) في (أ): راعيٍ.

(4) في (ب): يكلأوها.

(5) في (ب): قلبت، بغير الواو.

*(1863/5)*

---

(حتى إذا غلب الكرى): يريد النوم.

(عليها): غشيها واستولى بجنده على حواسها.

(افترشت أرضها): يشير إلى أن الأرض صارت مهاداً لها من غير توطئة فراش، ولا تقرير قاعدة للنوم.

(وتوسدت كفها): لا وساد لها سواها، وغرضه من هذا كله خفة الحال وعدم الرفاهية عند النوم، وفي الحديث: ((أنه عليه السلام كان له فراش من أدم حشوه ليف، طوله ذراعان، وعرضه ذراع وشبر أو نحوه))(1).

(في معشر): جماعة من الناس.

(أسهر عيونهم): أذهب نومها وأزال هجودها.

(ذكر(2) معادهم): ما يذكرون من أمر القيامة، وذكر العودة إلى الله تعالى.

---

(1) روى قريباً منه الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار ص117 برقم (74) عن أنس قال: دخلت على النبيصلى الله عليه وآله وسلم، وهو في عبأة يهنأ بعيراً له ورداءه صلى الله عليه وآله وسلم أربع أذرع وشبر في ذراع، وضجاعه من أدم حشوه ليف.

(2) في نسخة وشرح النهج: خوف.

*(1864/5)*

---

(وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم(1)): التجافي هو: الارتفاع والتنحي عنها، أعني المضاجع، وهي(2) الفرش ومواضع الاستراحة للنوم، وفي الحديث: ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، ثم يرجع فينادي:

ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل))(3).

وعن أنس بن مالك أن ناساً كانوا من أصحاب رسول الله يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، [فنزلت فيهم: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}[السجدة:16]، وقيل: هم الذين يصلون صلاة العشاء الآخرة](4) لا ينامون عنها(5).

(وهمهمت بذكر ربهم شفاههم): الهمهمة: تردد الصوت في الصدر.

(وتقشعت بطول الاستغفار(6) ذنوبهم(7)): قشع السحاب وانقشع إذا زال وتفرق، وأراد أن الله تعالى أزال عنهم الذنوب وقشعها بما كان من جهتهم من العناية، والاستغفار لربهم والتضرع إليه.

---

(1) في شرح النهج: وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم.

(2) في (ب): وهو.

(3) رواه العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف 3/518-519 من حديث وبقيته بعد قوله: ((وهم قليل)). ((ثم يرجع فينادي: فليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء، فيقومون وهم قليل، فيسرحون جميعاً إلى الجنة، ثم يحاسب سائر الناس))، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 1/291 إلى تفسير ابن كثير 6/75، 366، والمطالب العالية لابن حجر رقم(4627).

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(5) الكشاف 3/519.

(6) في (ب) وشرح النهج: استغفارهم.

(7) بعده في شرح النهج: (({أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون} فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف أقراصك، ليكون من النار خلاصك)).

*(1865/5)*

---

(46) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

(أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين): أطلب تكون ظهراً لي، وأستند إليه على إقامة حدود الله، وتأدية واجباته والقيام بفروضه.

(وأقمع به): قمعه إذا ردَّه وكفَّه عما أراد.

(نخوة): العظمة والتكبر.

(الأثيم): كثير الآثام.

(وأسد به أفواه الثغر المخوفة(1)): الثغر هو: موضع المخافة من فروج المدينة والبلدان، والسد

للأفواه من الثغور من باب الاستعارة.

(فاستعن بالله): اطلب منه الإعانة.

(على ما أهمك): من أمور الدين والدنيا.

(واخلط الشدة بضغث من اللين): الضغث: الحزمة الصغيرة من حطب أو حشيش، وفي المثل: إنها لضغث على إبَّالة(2)، قال تعالى: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ}[ص:44]، وأراد تأديبه في سيرته بأن يمزج بين لين الأخلاق وشدتها، ولقد أحسن من قال:

ولا خير في حلم إذا لم تكن لهـ ... ـــ ... ـ

بوادر تحمي صفوه إن يُكَدَرا(3)

(وارفق ما كان الرفق أرفق): يريد أن الرفق إنما يستحسن في مواضع يدريها العاقل، ويتفطن لها الذكي.

(واعتزم بالشدة حين(4) لا تغني عنك إلا الشدة): عزمت على الشيء واعتزمت عليه إذا قطعت على فعله، وأراد اعتمد على فعل الشدة في المواضع التي لا يقوم غيرها مقامها.

(واخفض للرعية جناحك(5)): أي ضعه عن الارتفاع، من خفض الطائر جناحه إذا كسره للوقوع.

---

(1) في شرح النهج: وأسد به لهاة الثغر المخوف.

(2) الإبالة: الحزمة من الحشيش والحطب. (وانظر لسان العرب1/8).

(3) لسان العرب 174/1 ونسبه للنابغة.

(4) في (ب): حيث.

(5) بعده في شرح النهج: وابسط لهم وجهك.

*(1866/5)*

---

(وأَلِنْ لهم جنابك(1)): الجناب هو: الجانب، وغرضه سعة الخاطر واحتمال الأذى عنهم.

(آسِ(2) بينهم في اللحظة والنظرة): اللحظة هي(3): النظرة بمؤخر العين، والنظرة هي: المرة من المقابلة.

(والإشارة): بيدك وعينك، وغير ذلك مما يفهم منه.

(والتحية): أي ولتكن التحية مستوية بينهم من جهتك(4)، كل هذا تفعله معهم:

(كيلا(5) يطمع العظماء في حيفك): في أن تميل معهم.

(ولا ييأس الضعفاء من عدلك): ينقطع رجاؤهم، والمعنى في هذا هو أنه إذا ساوى بينهم فيما ذكر عرف العظماء حقهم، فلا يطمعوا من جهتك بالحيف معهم وإعطائهم أكثر من حقهم، ولا ييأس أهل المسكنة من(6) أن تعدل بينهم فتنقصهم عن حقهم، وقد تقدم هذا في خطبة قد ذكرت.

(47) ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن مُلْجَم لعنه الله وأخزاه

[بسم الله الرحمن الرحيم] (7)

(أوصيكما بتقوى الله): المراقبة بالإتيان بأوامره، والانكفاف عن مناهيه، وحقيقتها آيلة إلى أنه لا يفقدك حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك.

(وألاَّ تبغيا(8) الدنيا): تطلباها، وترغبا في تحصيلها، وجمعها وادِّخارها.

(وإن بغتكما): طلبتكما وأرادتكما، فإن طلبكما لها شغل وغرور، وطلبها لكما مكر وبور.

(ولا تأسفا على شيء منها): يشتد حزنكما على أمر من الأمور منها.

(زوي عنكما): قبض وأخفي لمصلحة لا تعلمانها.

(وقولا بالحق): في تعلق الباء وجهان:

---

(1) في نسخة وفي شرح النهج: جانبك.

(2) في (ب) وشرح النهج: وآس.

(3) في (ب): هو.

(4) من جهتك، سقط من (ب).

(5) في نسخة وشرح النهج: حتى لا.

(6) في (ب): بين.

(7) زيادة في نسخة ذكره في هامش (ب).

(8) في (ب): ولا تبغيا.



---

أحدهما: أن تكون للآلة كما تقول: كتبت بالقلم، ونجرت بالقَدُوْمِ، وأراد أن يكون الحق آلة في قولهما، حتى لا يمكنهما القول إلا به، كما لا يمكن الكتابة إلا بالقلم.

وثانيهما: أن تكون للحال، ويكون المعنى وقولا ملتبسين(1) بالحق في جميع أحوالكما كلها.

(واعملا للأجر): أي من أجل الأجر، ولا يكون عملكما رياء ولا سمعة، ولا مخالفاً(2) لمراد الله

وثوابه.

وفي نسخة أخرى: (واعملا للآخرة): أي من أجل الآخرة وثوابها ونعيمها، كما قال تعالى:{وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ}[الأحزاب:29].

(وكونا للظالم خصيماً(3)): أي ذوي خصام وإنكار، ورداً له عما هو فيه من الظلم.

(وللمظلوم عوناً):أي ذوي عون له على أخذ حقه وإيصاله إليه.

سؤال؛ القياس في قوله: خصيماً وعوناً التثنية لكونهما خبرين عن مثنى، فأراه ترك تثنيتهما هاهنا؟

وجوابه: أما قوله: عوناً؛ فلأنه مصدر، وهو على حذف مضاف، أي ذوي عون، كما تقول: الزيدان رضى والعمران زور، وأما قوله: خصيماً فإنما ترك التثنية فيه؛ لأن فعيلاً وفعولاً مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع فيه، قال الله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ}[ق:17]، وقوله: {وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ}[التحريم:4]، وقوله تعالى: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الشعراء:16].

(أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي): ممن يتوجه عليَّ نصحه، وتجب عليَّ موعظته، وتعريفه بما يجب عليه، من ولد وأهل والإخوان من المسلمين الذين يسمعون كلامي ويبلغهم كتابي هذا.

---

(1) في (ب): متلبسين.

(2) في (ب): ولا مخالفة.

(3) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: خصماً.

(1868/5)

---

(بتقوى الله ونظم أموركم): انتظامها وجمع الشمل فيها.

(وصلاح ذات بينكم): أحوال ما بينكم من المعاملات في المعاوضة والأمانات، وإيفاء الحقوق، والألفة والمحبة والقيام بطاعة الله تعالى في كل الأحوال.

(فإني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إصلاح(1) ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام)))(2): وإنما كان ذلك لأمرين:

أما أولاً: فلأن في إصلاح ذات البين إصلاح القلوب والسرائر، ومتى صلحت كانت هذه الأعمال البدنية أقرب إلى الصلاح والسداد.

وأما ثانياً: فلأن ذات البين عبارة(3) عمَّا ذكرناه من معاملات الخلق فيما بينهم، وما ذكره من الصلاة والصيام معاملة فيما بينهم وبين الخالق، وما هذا حاله فالأمر فيه أخف والحال فيه أسهل، فلأجل هذا كان إصلاح ذات البين أفضل لما ذكرناه.

(الله الله في الأيتام فلا تُغبُّوا أفواههم): الغب: أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً.

---

(1) في نسخة وشرح النهج: صلاح.
(2) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص128 رقم(98) بسنده عن عبد الله بن جندب عن أبيه، وهو فيه من وصية أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، والحديث بلفظ: ((إن صلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 344/3 وعزاه إلى البداية والنهاية لابن كثير 328/7، وأخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص325 بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي "، من وصية أمير المؤمنين أيضاً. (وانظر تخريجه فيه).
(3) عبارة، سقط من (ب).

*(1869/5)*

---

قال الكسائي: أغببت القوم إذا جئتهم يوماً وتركت يوماً(1)، وعن هذا يقال: زر غباً تزدد حباً، يريدون أنه في الزيارة في كل أسبوع يوماً، وأراد هاهنا إطعامهم كل يوم.
(ولا يضيعوا بحضرتكم): أي وأنتم حاضرون، لا يقع في حقهم تسهيل.
(الله الله في جيرانكم): والجار هو: من يكون بالقرب(2) من دارك.
وحد ذلك: ما قاله الرسول عليه السلام فإنه أمر منادياً ينادي على باب المسجد: ((ألا إن أربعين داراً جار، أربعون هكذا، وأربعون هكذا، وأومئ إلى أربع جهات)) (3)، وفي الحديث: ((الجيران ثلاثة،: فجار له حقوق ثلاثة: وهو الجار المسلم ذو الرحم، وجار له حقان: وهو الجار المسلم، وجار له حق واحد، وهو الجار المشرك، فله حق الجيرة لا غير))(4).

---

(1) لسان العرب 951/2.
(2) في (ب): في القرب.
(3) ورد منه قوله: ((إن أربعين داراً جار)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف31/3 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 306/6، والمعجم الكبير للطبراني73/19، وانظر تصفية القلوب للمؤلف عليه السلام ص404.
(4) الحديث بلفظ: ((الجيران ثلاثة: فجار له حق، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فصاحب الواحد جار مشرك لا رحم له، فحقه حق الجوار، وصاحب الحقين جار مسلم لا رحم له، وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رحم، وأدنى حق الجوار ألا تؤذي جارك بقتار قدرك، إلا أن تقتدح له منها))،

رواه مرفوعاً ابن أبي الحديد في شرح النهج10/17-11 من رواية جابر، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 516/4، وتصفية القلوب للمؤلف ص403.

*(1870/5)*

---

(فإنهم وصية نبيكم): يشير إلى قوله عليه السلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمنَّ جاره))(1)، وقوله عليه السلام: ((إذا رميت كلب جارك فقد آذيته)).
(ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه يورثهم(2)): كما قالعليه السلام: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))(3)، وفي الحديث: ((لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه))(4)

---

(1) رواه في مسند شمس الأخبار 176/2 في الباب (143)، عن أنس (وانظر تخريجه فيه)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 8/17، وللحديث مصادر جمة انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 506./8

(2) في (ب) وشرح النهج: أنه سيورثهم.

(3) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 8/17 من حديث عن عبد الله بن عمر، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص465 رقم(618) بسنده عن أبي أمامة، واللفظ في أوله: ((لم يزل جبريل ...)) الحديث، ورواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار 175/2 الباب (143) عن أبي أمامة (انظر تخريجه فيه)، وللحديث مصادر كثيرة انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف142/9.

(4) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 315/7 إلى مجمع الزوائد للهيثمي 75/8، وإتحاف السادة المتقين 306/6، والترغيب والترهيب للمنذري 584/1، وللحديث شاهد بلفظ: ((والذي نفسي بيده لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ويأمن جاره بوائقه)) قالوا: يا رسول الله، وما بوائقه؟ قال: ((غشمه وظلمه)) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج18/17 عن ابن مسعود مرفوعاً، وهو بلفظ: ((الرجل لا يكون مؤمناً حتى يؤمن جاره بوائقه)) رواه من حديث في مسند شمس الأخبار 176/2 (وانظر تخريجه فيه)، ورواه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام من باب ما تضمن به النفس بلفظ ((لا يكون الرجل مؤمناً حتى يأمن جاره بوائقه)).

*(1871/5)*

---

.

(الله(1) الله في القرآن): يريد في إقامة حقه وتلاوته حق تلاوته، وتعظيمه، ورفع منزلته.

(لا يسبقكم إلى العمل به غيركم): أراد أن تكونوا أول من دعا إلى امتثال أوامره والانكفاف عن مناهيه، والانزجار بوعيداته كلها، والعمل بمقتضياته.

(الله(2) الله في الصلاة): في المحافظة على أوقاتها والحث عليها وإتمام ركوعها وسجودها، وتمام هيئتها، وفي الحديث: ((مثل الذي لا يتم صلاته كمثل الحامل حملت حتى إذا دنا نفاسها أملصت(3)، فلا هي ذات حمل، ولا هي ذات ولد))(4)، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ}[الماعون:4-5]، يريد أنهم ينقرونها نقراً من غير خشوع ولا إخبات، ولا استيفاء أركان، يعبث أحدهم بلحيته، ويكثر التثاؤب(5) والالتفات يمنة ويسرة، ولا يخطر على باله تعظيم من يناجيه، ويقوم بين يديه.

(فإنها عمود دينكم): يشير إلى قوله صلى الله عليه وآله: ((الصلاة عماد الدين، فمن هدمها فقد هدم الدين))، وفي حديث آخر: ((لا خير في دين لا صلاة فيه)).

---

(1) في شرح النهج: والله الله، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في شرح النهج: والله الله، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(3) أملصت أي أسقطت.

(4) الحديث بلفظ: ((يا علي، مثل الذي لا يتم صلاته كحبلى حبلت، فلما دنا نفاسها أسقطت، فلا هي ذات حمل، ولا هي ذات ولد))، أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص308 رقم(295) بسنده عن علي عليه السلام، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 363/9، 200/10، وكما في أمالي أبي طالب أخرجه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه ص104 بسنده عن علي عليه السلام.

(5) تثاءب وتثأب: أصابه كسل وفترة كفترة النعاس. (القاموس المحيط ص79).

*(1872/5)*

---

(الله الله في بيت ربكم): يريد الكعبة وكل مسجد فهو بيت الله، ولكنها أشرفها وأعظمها، ولهذا جعلت مثابة للناس وأمناً، ومطافاً للخلق يطوفون حولها تعظيماً لحالها، وتشريفاً لقدرها.

(لا تُخْلُوه ما بقيتم): عن الحج والاعتمار، والتطواف حوله.

(فإنه إن ترك): عن القصد إليه وتعظيمه بالحج والقيام بالمناسك كلها.

(لم تناظروا): في الهلاك وإنزال العذاب عليكم، وفي الحديث: ((إذا ترك هذا البيت أن يؤم لم(1)

يناظروا))(2).

(والله الله في الجهاد): الجهد هو: الطاقة، وأراد إبلاغ الطاقة وبذل الوسع في حق الله تعالى.

(بأموالكم): إنفاقها بالصدقات لوجه الله تعالى، أو في إعزاز دين الله ببذلها في الجهاد.

(وأنفسكم): تعريضها للقتل بسبب أن تكون كلمة الله هي العليا.

(وألسنتكم): بقول الحق، ولا تأخذكم في الله لومة لائم؛ بقول الحق ولو على أنفسكم.

(وعليكم بالتواصل): التواصل: تفاعل من المواصلة بالخير والإحسان، وبذل المعروف واصطناعه.

---

(1) في (ب): لما تناظروا.

(2) هو جزء من حديث أخرجه الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص90 برقم (68) بسنده عن أبيه عن جده، عن علي " قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تزال أمتي يكف عنها البلاء ما لم يظهروا خصالاً: عملاً بالربا، وإظهار الرشا، وقطع الأرحام، وقطع الصلاة في جماعة، وترك هذا البيت أن يؤم، فإذا ترك هذا البيت أن يؤم لم يناظروا))، وأخرج هذا الحديث بلفظه الإمام أبو طالب في أماليه ص556 برقم (779) بسنده عن أبي خالد الواسطي رضي الله عنه قال: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي"، قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، فذكر الحديث السابق بلفظه.

*(1873/5)*

---

(والتباذل): من المباذلة، وهو: أن يبذل كل واحد منكم معروفه لأخيه ما كان قادراً عليه.

(وإياكم والتدابر): من المدابرة وهو: التولي والإعراض عن المواساة والإعانة.

(والتقاطع): يقطع كل واحد أخاه عن معروفه وإحسانه.

(لا تتركوا الأمر بالمعروف): الحظ عليه والحث.

(والنهي عن المنكر): المنع منه بكل ممكن تجدون(1) إليه سبيلاً باللسان واليد والقلب، وفي الحديث: ((القلب إذا لم ينكر المنكر نكس فجعل(2) أعلاه أسفل))(3) يريد إما أنه يصير بمنزلة من لا قلب له لعدم انتفاعه به، وإما أن يريد أن الله تعالى يخذله، فمن أجل خذلانه ينقلب حاله في ذلك، فيصير منكراً للمعروف(4) معترفاً بالمنكر مبالغة في ذلك وزيادة فيه.

(فَيُوَلَّى عليكم شراركم): فَيُوَلَّى إما منصوب؛ لأنه جواب النهي بالفاء، وإما مرفوع على الاستئناف(5) فهو يولي، وغرضه أن الله يسلِّط عليكم شراركم بالقهر والاستيلاء عليكم، والضيم.

(ثم تدعون): بعد ذلك لكشف ما أنتم فيه من البلاء والضر.

(فلا يستجاب لكم): عقوبة على فعلكم ومكافأة على ما ضيعتموه من تضييع الأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر.

---

(1) في (ب): بكل ممكن ممن تجدون...إلخ.

(2) في (ب): فيجعل أعلاه أسفله.

(3) أخرج مثله من حديث للإمام علي عليه السلام الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص275 برقم (668) والحديث فيه بلفظ: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: ((أول ما تغلبون عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأيديكم ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم، فإذا لم ينكر القلب المنكر وتعرَّف المعروف نكس فجعل أعلاه أسفله)).

(4) في (ب): فصير منكر المعروف ومعترفاً بالمنكر.

(5) في (ب): الاستثناء، وهو خطأ.

*(1874/5)*

---

(يا بني عبد المطلب): تشهير وإعلان بحالهم.

(لا ألفينَّكم): ألفاه إذا وجده، قال الشاعر:

فألفيته غير مستعتبٍ

ولا ذاكر الله إلا قليلا(1)

(تخوضون دماء المسلمين): تقتلون الجاني وغير الجاني.

(خوضاً): تأكيد ومبالغة في شأنهم في ذلك.

(تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين): يريد تسفكون دماء المسلمين على غير وجهها، وتعتذرون بقتلي، يريد أن الغيظ والحنق والتشفي تحمل على الزيادة في القتل في أقارب القاتل وأهله، حتى لا يبقى منهم مخبر، وهذه كانت عادة العرب قديماً وحديثاً، إذا قتل منهم رئيس المبالغة في قتل قاتله، وإهدار دماء أهله وأقاربه كما كان في قتل بني بكر لكليب، وما فعله فيهم أخوه، فأراد عليه السلام النهي عن ذلك والكف عنه بقوله:

(ألا لا يقتلنَّ(2) بي إلا قاتلي): من غير زيادة في ذلك كما قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ}[البقرة:178]، وكيف لا يكون ذلك وهو الذي شرع أمثلة العدل ليحتذى عليها وأوضح مسالك الحق ليهتدى إليها.

سؤال؛ أراه قال: (يا بني عبد المطلب) هاهنا، ولم يقل: يا بني هاشم، مع كون هاشم أجمع لكثير من

بطون قريش؟

وجوابه؛ هو أن غرضه هاهنا ذكر من يعنيهم القتل، ويلحقهم عاره ويتعلق بهم ثأره، فلا جرم ذكر بني(3) عبد المطلب لما كانوا أقرب رحماً وأكثر تلاصقاً بالرحم الماسة والقرابة الخاصة.

(انظروا إذا أنا مت): تفكروا في الأمر بعد موتي.

---

(1) لسان العرب 675/2، ونسبه لأبي الأسود الدؤلي.

(2) في شرح النهج: ألا لا تقتلن.

(3) بني، سقط من (أ).

*(1875/5)*

---

(من ضربته هذه): يحكى أن أمير المؤمنين خرج ليلة لتهجده فضربه ابن ملجم(1) الملعون على قرنه، فجاءه الطبيب فأدخل رية على رأس المجس فخرج دماغه على رأس المجس، فقال الطبيب: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك؟ فإن عدو الله قد بلغ(2)، يريد أنه قد بلغ فيك(3) مبلغه في إنفاد روحك وإهراقه.

(فاضربوه ضربة بضربة): يشير إلى المماثلة في القصاص من غير زيادة في ذلك.

(ولا يمثل(4) بالرجل): في القتل.

وروى ما سمعه عن رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](5) أنه قال: ((إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))(6).

---

(1) ابن ملجم، سقط من (أ).

(2) الرواية في أمالي أبي طالب ص 127-128 برقم (100) بسنده عن عمر بن تميم وعمرو بن بكار واللفظ فيها: أن علياً عليه السلام لما ضرب جمع له أطباء أهل الكوفة فلم يكن فيهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في بيعة عين التمر فسباهم، وأن أثير لما نظر جرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برية شاة حارة، فاستخرج عرقاً منها فأدخله في الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك. انتهى. وانظر الروضة الندية ص227.

(3) فيك، سقط من (أ).

(4) في شرح النهج: ولا تمثلوا.

(5) زيادة في (ب).

(6) لفظ الجملة من أولها في شرح النهج: (فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))).

*(1876/5)*

---

ويحكى أنه عليه السلام لما رأى عمه حمزة قد مُثِّلَ به يوم أحد، فرآه مبقور(1) البطن قد أُكِلتْ كبده، فقال: ((أما(2) والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلنَّ بسبعين فنزلت الآية: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ....}إلى آخرها[النحل:126]))(3).

سؤال؛ كيف جاز قتل الحسن بن علي(4) لابن ملجم لعنه الله قصاصاً، ولأمير المؤمنين يومئذٍ أولاد صغار، ومذهبكم أنه لا يجوز استيفاء القصاص إلا إذا كبروا؟

وجوابه عند أصحابنا من وجهين؛

أما أولا: فلأنه حكموا بردته؛ بقول الرسول عليه السلام: ((أشقى الأولين عاقر ناقة ثمود، وأشقى الآخرين قاتلك يا علي))(5) وأشقى الناس لا يكون إلا كافراً.

---

(1) في (ب): منقور.

(2) أما، سقط من (ب).

(3) أخرج نحوه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 187/2 بسنده يبلغ به إلى ابن عباس قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل بحمزة رضوان الله عليه يوم أحد قال: ((لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين منهم، فنزلت: {وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين} قال: بل نصبر يا رب)) فلم يمثل ونهى صلى الله عليه وآله وسلم عن المثلة. انتهى.

(4) في (ب): كيف جاز للحسن بن علي قتل ابن ملجم لعنه الله.

(5) الحديث بلفظ: ((أشقى الأولين عاقر الناقة، وأشقى الآخرين الذي يطعنك يا علي)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 543/1 وعزاه إلى الطبقات الكبرى لابن سعد 3: 1 : 23، وللحديث مصادر كثيرة قد سبق ذكر بعضها في تخريج حديث نحوه، وانظر الروضة الندية للبدر الأمير ص223-225.

*(1877/5)*

---

وأما ثانياً: فلأنه كان ساعياً في الأرض بالفساد، ولافساد أعظم من قتل أمير المؤمنين، فقتله عندهم إنما كان من جهة هذين الوجهين، لا بالقصاص، والظاهر من كلام أميرالمؤمنين أنه فاسق وليس(1) كافراً، وأن قتله إنما كان على جهة القصاص لا غير.

(48) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(وإن البغي والزور يوتغان المرء في دينه): الإيتاغ: الإهلاك، يقال: فلان يوتغ دينه بالإثم إذا أهلكه.

(ودنياه): أي وهما يهلكان حاله في الدنيا، ويكدران ما هو عليه، وهذان الوصفان يختصان بمعاوية(2) لما هو عليه من المخالفة لأمير المؤمنين، وتزويره في أقواله وأفعاله.

(ويبديان خلله عند من يعيبه): ويظهران نقصه ومعائبه عند من يريد نقصه.

(وقدعلمت أنك غير مدرك ما قُضِيَ(3))): يعني وأنت تعلم قطعاً ويقيناً أنك لا تقدر بالتحيل ولا بالقوة ما قدر الله.

(فواته): منك، وقضي بامتناعه عليك، ولا لك قدرة على تحصيله وإيجاده.

(وقد رام أقوام أمراً بغير الحق): يريد طلب قوم ولاية أمر الأمة(4) بغير حق لهم في ذلك من الله، ولا من جهة رسوله.

(فتأولوا على الله): أول وتأول بمعنى، وهو: صرف الظاهر إلى غير وجهه لوجه ما، وفيه معنيان: أحدهما: أن يريد أنهم تأولوا القرآن تصديقاً لما قالوه، كقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء:59]، فقالوا لمن نصبوهم: أنتم أولوا الأمر بنص الله.

---

(1) في (ب): أنه فاسق لا كافر.

(2) في (أ): معاوية.

(3) في (أ): ما مضى، وما أثبته من (ب)، ومن شرح النهج.

(4) الأمة، سقط من (ب).

*(1878/5)*

---

وثانيهما: أن يكون غرضه أنهم حلفوا(1) على الله تعالى وتحكمواعليه بالأيمان، وفي الحديث: ((من يتألَّ على الله تعالى يكذِّبْه))(2) أي من يقسم على الله متحكماً لم يصدقه فيما حلف عليه، وخيب مأموله.

(فأكذبهم الله): إما على الوجه الأول فبقوله: {لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[البقرة:124]، وإما على الثاني فبقوله: ((يكذبه الله)).

(فاحذر يوماً): يريد يوم القيامة.

(يغتبط فيه من حَمِدَ(3) عاقبة عمله): الغبطة هي: حسن الحال، أي يحسن حال من كانت عاقبة أعماله فيه محمودة من أهل الدين، والصلاح والخير.

(ويندم): فيه.

(من أمكن الشيطان من قياده): من تمكن الشيطان من جذب زمامه.

(فلم يجاذبه): يملكه عليه ويأخذه من يده مخافة أن يملكه عليه.

(وقد دعوتنا إلى حكم القرآن): أي بما كان منك من الخديعة والمكر بالدعاء إلى كتاب الله تعالى وحكمه.

(ولست من أهله): الضمير إما للقرآن أي لست من أهل القرآن؛ لأن أهله الذين يعملون بأحكامه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وإما للحكم أي ولست أهلاً لحكمة لمخالفتك له في كل أمورك وأحوالك.

(ولسنا إياك أجبنا): بما كان من كفنا للحرب والمقاتلة، واستئصال الشأفة لك.

(ولكن(4) أجبنا القرآن إلى حكمه): لما دعينا إليه فأجبناه محتكمين(5) لأمره، واقفين عنده.

---

(1) على هذا الوجه تكون الجملة المشروحة: فتألّوا على الله، من التألي وهو الحلف.

(2) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 610/8 إلى الدر المنثور للسيوطي225/2، وهو بلفظ: ((من تألَّ على الله أكذبه الله))، رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 12/17.

(3) في شرح النهج: أحمد.

(4) في شرح النهج: ولكنَّا.

(5) في نسخة: متحكمين (هامش في ب).

*(1879/5)*

---

(49) ومن كتاب له عليه السلام إلى غيره(1)

(أما بعد؛ فإن الدنيا مشغلة عن غيرها): المشغلة هي: الشغل، وأراد أنها ذات شغل عن الآخرة، فمن كان همه الدنيا لاجرم اشتغل بها عن طلب الآخرة، وإرادتها والعمل لها(2).

(ولم يصب صاحبها منها شيئاً): من لذاتها ونعيمها.

(إلا فتحت له حرصاً عليها): الحرص: أشد الرغبة في الشيء، قال الله تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[يوسف:103].

(ولهجاً بها): ولوعاً وكثرته طلباً لها.

(ولن يستغني صاحبها مما(3) نال منها عما لم يبلغه منها): يعني أن كل ما لم يدركه الإنسان ولا يناله منها فهو مفتقر إليه، وما قد أحرزه منها لا يكفيه عما لم يدركه.

(ومن وراء ذلك): ما أدركه وما لم يدركه منها.

(فراق ما جمع): من حطامها ومتاعها.

(ونقض ما أبرم): ما أحكمه من أموره وأتقنه بالموت وذهابه عنه، وانقطاعه عن يده وانفلاته عنه.

(ولو اعتبرت بمن مضى): من الأمم الماضية، والقرون الخالية كيف تفرق ما جمعوه، وبطل عنهم ما توهموه، من إخلادهم إلى الدنيا، وانقطاعهم إليها.

(حفظت ما بقي): من عمرك وتداركته في فعل الأعمال الصالحة وإحرازها، أو يريد لو اتعظت بمن مضى؛ لكنت أحفظ على ما بقي في الاتعاظ والانزجار به.

(50) ومن كتاب له [عليه السلام](4) إلى أمرائه على الجيوش

[بسم الله الرحمن الرحيم](5)

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح): المسالح: جمع مسلحة وهي: الثغر والمرقب، قال الشاعر:

بكل قياد مسنِفة عنود

---

(1) في شرح النهج: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً.

(2) في (ب): بها.

(3) في شرح النهج: بما نال فيها.

(4) زيادة في شرح النهج.

(5) زيادة في نسخة ذكره في هامش (ب).



---

أضرَّبها المسالح والغِوار(1)

والمسنفة: بكسر النون هي: الفرس التي تتقدم(2) الخيل في سيرها، وبفتحها: الناقة التي يُشَدُّ عليها بالسِناف وهو: الحبل.

(أما بعد؛ فإن حقاً على الوالي أن لا يغيِّره على رعيته فضل ناله): أراد أن الحق الواجب لله تعالى على من تولى أمر هذه الأمة وتصرف عليهم، أن الله تعالى إذا خصه بفضل وأعطاه كرامة من

عنده لم يتغير عمَّا كان عليه قبل ذلك، من التواضع والرفق والنصيحة.

(ولا طَوْلٌ خُصَّ به): أي ولا يغيره ما خصه الله به من الكرم والطَّوْل، عن أن يزيده ذلك رفقاً وتواضعاً لهم.

(وأن يزيده ما قسم الله له من نِعَمِهِ): وأن يكون ما أمده الله به من النعم وخوله من العطاء.

(دُنُوّاً من عباده): قرباً منهم.

(وعطفاً على إخوانه): عوداً عليهم بالمصلحة، ورجوعاً عليهم بالمنفعة، من قولهم: عطفت الناقة على بوّها(3) إذا رجعت عليه بالإرامة(4).

(ألا وإن لكم عندي): المتوجه من حقكم، والواجب علي لله من أجلكم.

(ألاّ أحتجز دونكم سراً): أي لا أمنعه بل أفضيه إليكم وأطلعكم عليه.

(إلا في حرب): إلا ما كان مصلحة في تدبير الحرب، ومصالح الجيوش، فإنه لا ينبغي إفضاؤه إلى كل أحد؛ لما في ذلك من المصلحة في الأمر العام وهو الجهاد.

---

(1) لسان العرب 179/2 ونسبه لبشر، والغِوار بكسر الغين أي كثرة الغارات بها.

(2) في (أ): الذي يتقدم.

(3) البوُّ: ولد الناقة ساعة أن تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه، وفي (ب): على ولدها.

(4) رئمت الناقة ولدها ترأمه رأماً ورأماناً عطفت عليه ولزمته، والناقة رؤوم ورائمة ورائم: عاطفة على ولدها، وأرأمها عليه: عطفها فترأمت هي عليه تعطفت، ورأمها ولدها الذي ترأم عليه. (انظر لسان العرب 1091/1).

*(1881/5)*

---

(ولا أطوي دونكم أمراً): أسرُّه، ويكون مطوياً لا يعلم بحاله.

(إلا في حكم): فإن إخفاءه مصلحة لما يرجع إلى الخصومة والتنازع فيها، وفي هذا دلالة على أن الحاكم لا ينبغي منه أن يكون مفتياً، وإنما يحكم في القضية بما أداه إليه رأيه فيها.

(ولا أؤخر لكم حقاً(1) عن محله): محل الدين: أجله، ومحل الهدي: موضعه الذي يُنْحَرُ فيه، وأراد لا أؤخره عن موضعه الذي يستقر فيه .

(ولا أقف به(2) دون منقطعه): يعني ولا أقطعه قبل وقت انقطاعه، وغرضه من هذا كله الوفاء بما يجب الوفاء به من حقوقهم، وإتمامها وإكمالها لهم.

(وأن تكونوا عندي في الحق سواء): لا فضل لأحدكم على الآخر في ذلك، ضعيفاً كان أو قوياً.

(فإذا فعلت ذلك): من نفسي لكم والتزمته.

(وجبت لله عليكم النعمة): بما هداكم إليه من الأحكام، وتعليمكم ما لا تعلمون من سنن من كان قبلكم.
(ولي عليكم الطاعة): بما وفيت به من الحقوق لكم.
(وألاَّ تنكصوا عن دعوة): ترجعوا على أعقابكم عند دعائي لكم، وتتأخروا عن مرادي.
(ولا تفرطوا في صلاح): تهاونوا في إصلاح حال تقدرون على إصلاحه وتتحققون وجوبه عليكم.
(وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق): الغمرات: جمع غمرة وهي: الماء الكثير، وأراد أنكم تجاوزا في الوصول إلى الحق الأمور الصعبة والأهوال العظيمة.
(فإن أنتم لم تستقيموا لي(3) على ذلك): الذي أشرت إليه من امتثال الأمر(4) والمناصحة في كل شيء.
(لم يكن أحد أهون عليَّ ممن اعوجَّ منكم): أراد أنه قد بلغ في الهوان كل غاية من أجل اعوجاجه عن الاستقامة على ما قلته والميل عنه.

---

(1) في (ب): أمراً.
(2) في نسخة: بكم (هامش في ب).
(3) لي، زيادة في (ب)، وفي شرح النهج.
(4) في (ب): الأوامر.

*(1882/5)*

---

(ثم أعظم له العقوبة(1)): التعزير البالغ والإهانة العظيمة، وفي هذا دلالة على جواز التعزير عند مخالفة الإمام لما يأمر به من أوامر الدين ومصالح الشرع.
(ولا يجد عندي فيها رخصة): أي ولا أتركها طلباً للرخصة في ذلك.
(فخذوا هذا من أمرائكم): أي الذي أشرت إليه ممن كان أميراً عليكم فهو حق واجب عليهم لكم.
(وأعطوهم من أنفسكم): ما فرض الله عليكم من طاعتهم، والامتثال لما أمروا به، وهو:
(ما يصلح الله به أمركم(2)): في الدين وجهاد أعداء الإسلام.

(51) ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج
(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج): والخراج: هو عبارة عما يؤخذ على هذه الأراضي التي تجعل في يدي أهلها على خراج يؤدونه، افتتحها عمر وجعلها على هذه الصفة(3)، وهي سواد العراق، وهي ما بين عُبَّادان إلى الموصل في الطول، وما بين القادسية إلى حلوان في

العرض(4)، واستمر ذلك بعد عمر فلم يغيره أمير المؤمنين.

(أما بعد؛ فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه): من الأهوال العظيمة كالموت والقبر والإفضاء إلى القيامة، وغير ذلك من الفجائع.

(لم يقدِّم لنفسه ما يحرزها): عن هذه المخافات؛ لأنه إذا كان آمناً لها لم تخطر له على بال ولا هو في شيء منها.

(واعلموا أن ما كلفتم يسير): بالإضافة إلى نعم الله تعالى عليكم، وبالإضافة إلى ما يستحقه من التعظيم.

(وأن ثوابه): الذي جعله الله جزاء عليه.

(كثير): بغير نهاية لا يعلم حاله إلا الله.

---

(1) في (ب): في العقوبة.

(2) بعده في نسخة وشرح النهج: والسلام.

(3) انظر عن الخراج وكيفية وضعه الاعتصام 2/293-294 للإمام القاسم بن محمدعليه السلام.

(4) انظر المصدر السابق 2/294.

*(1883/5)*

---

(ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف): يريد لو فرضنا فرضاً على جهة التقدير أنه لا يستحق في مقابلة هذه المناهي من البغي والعدوان شيء من العقوبات المخوفة.

(لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه): لكان ما وعد الله على اجتنابه من الثواب العظيم ما لا يعذر أحد في ترك طلبه، فكيف به وقد أوعد عليه هذه العقوبات العظيمة، وفي كلامه هذا دلالة على أن لطلب النفع موقعاً عظيماً في النفوس لا يخفى حاله،وينبغي المواظبة على تحصيله،وتشير إليه العقول، ويدل على أن توقي الضرر أدخل في الاجتناب من طلب النفع لا محالة، ولهذا لو لم(1) يكن في ذلك إلا فوات النفع فكيف بحاله وقد اختص بضرر عظيم لا يقوم له شيء، فهو بالانكفاف لا محالة أحق.

(فأنصفوا الناس): حقوقهم.

(من أنفسكم): وأعطوهم إياها سمحة من جهتكم.

(واصبروا لحوائجهم): أي من أجل قضائها وإنفاذها.

(فإنكم خزان الرعية): تحفظون ما أعطوكم من أموالهم.

(ووكلاء الأمة): يشير إلى العامل على الصدقة هو وكيل صاحب المال، وأمينه على ما دفعه إليه،

ولهذا فإن القول هو قوله على ما دفعه إليه.

(وسفراء الأئمة): الذين يختلفون بين الإمام ورعيته، ويسفرون في حوائجهم فيأخذون من الرعية ما أعطوهم، ثم يؤدونه إلى الإمام.

(ولا تحسموا أحداً عن حاجته): بالسين منقوطة من أسفلها، أي لا تقطعوه بما يشغله عنها، وفيه رواية أخرى: بالشين المنقوطة من أعلاها(2) أي ولا تغضبوه ولا تؤذوه عن حاجته.

(ولا تحبسوه عن طَلِبَتِهِ): الطلبة: ما يطلب، أي ولا تمنعوه عن إدراك مطلوبه وإحرازه.

---

(1) لم، سقط من (ب).

(2) أي: ولا تحشموا.

*(1884/5)*

---

(ولا تبيعنَّ للناس(1) في الخراج): لا تكلفوهم إذا طلبتم منهم الخراج.

(كسوة شتاء): يتوقون به البرد عند شدته.

(ولا صيف): ولا ما يتوقون به الحر عند فورته.

(ولا دابة يعتملون عليها): كالبقر للحرث والزراعة، والإبل للحمل، والدواب التي للاعتمال والاضطراب، فأما ما عدا ذلك من الدواب كالخيل(2) والسوائم، وغير ذلك مما لا مضرة عليهم في بيعه فيؤخذ منه.

(ولا عبداً): للخدمة يضر بصاحبه فقده.

(ولا تضربنَّ أحداً سوطاً لمكان درهم): حاصل كلامه هذا أن طلب الخراج فيه سهولة من جهة الشرع ورفاهية لما ذكره من هذه الآداب، وتقرير هذه الوظائف، ولكن إن أعطى صاحب الخراج قُبِلَ منه وإلا فضربه حرام، لا يحل لمكان آدائه .

---

(1) في شرح النهج: الناس.

(2) في (ب): فأما عدا ذلك كالخيل والسوائم ...إلخ.

*(1885/5)*

---

(ولا تمسنَّ مال أحد من الناس): لما ورد عن الرسول: ((لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه))(1).

(مصلٍ ولا معاهد): من أهل الصلاة والإسلام فإنه قد أحرز ماله بإسلامه، ولا معاهد من أهل الذمة كاليهود والنصارى، فإن هؤلاء لا يحل شيء من أموالهم لأحد.

(إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً): في أيدي البغاة عند قتالهم، ولهذا قال:

(يعدى به على أهل الإسلام): يتعدى عليهم بالقتال به، ويبغي عليهم:

(فإنه لا ينبغي للمسلم(2) أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام): فيكون سبباً للقوة والاستظهار على المسلمين، ولا يُتْرَكُ في أيديهم.

(فيكون(3) شوكة عليه): أي قوة.

---

(1) رواه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام في باب من يقتل حداً، ورواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار 2/262-263 الباب (163) وعزاه إلى أمالي أبي طالب، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه أبو داود، والبيهقي في الشعب، وابن قانع، وأبو نعيم، عن أبي حرة الرقاشي، عن عمه حرة الرقاشي، وعبد الرزاق، عن الحسن مرسلاً بلفظه. انتهى، قلت: وهو بلفظ: ((لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 7/363 وعزاه إلى السنن الكبرى للبيهقي 6/100، 8/182، وسنن الدارقطني3/26، ومجمع الزوائد للهيثمي4/172، وتلخيص الحبير لابن حجر3/45، والتمهيد لابن عبد البر1/202، وكنز العمال برقم (397)، وكشف الخفاء2/96، قلت: ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام 4/519.

(2) في (ب): لمسلم.

(3) في (ب): فيكون ذلك ...إلخ.

*(1886/5)*

---

(ولا تدِّخروا أنفسكم نصيحة): ولكن ابذلوها لله تعالى(1) ولرسوله، وللأئمة ولسائر المسلمين، فالدين هو النصيحة.

(ولا الجند حسن سيرة): أي ولا تكتموا الجند تعليم حسن السيرة.

(ولا الرعية معونة): أي وأعينوا الرعية بما أمكن في أمورهم.

(ولا دين الله قوة): ولا تتدخروا عنه ما يكون قوة في حاله.

(وأبلوا في سبيل الله): أي أعطوا، من قولهم: أبلاه الله بلاءً حسناً إذا أعطاه، ومنه قولهم: أبليته

معروفاً أي أعطيته.

(ما استوجب عليكم): ما طلب وجوب الإعطاء فيه، وهي الأمور المفروضة في الأموال، وقد عرفها وأعلم بها.

(فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم): أي وضع صنائع ونعماً عندنا وعندكم، يعني معاشر الأئمة بما فضلهم، وأوجب طاعتهم، ومعاشر الرعية بما رزقهم، وأعطاهم من الخيرات.

(أن نشكره بجهدنا): أي من أجل أن نؤدي شكره على حد طاقتنا.

(وأن ننصره ما بلغت قوتنا): ننصر دينه مقدار القوة في ذلك.

(ولا قوة): لنا على ذلك الذي أوجبه علينا.

(إلا بالله): بتقوية الله لنا، وإعانته ولطفه بنا.

(العلي): المتعالي بنعمه، أو المتعالي عن شبه الممكنات بذاته.

(العظيم): فلا يمكن وصفه، أو لا يمكن بلوغ غاية شكر نعمه [جلّ وعلا](2).

(52) ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى(3) الصلاة

وانما فعل ذلك ليعلم أنه لم يبق شيئاً من معالم الدين إلا أوضحه، ولا طريقاً في تعليم الخير إلا سلكه، ولقد أبان لمن تحقق وأبصر، ورمز إلى المواعظ لمن اتعظ واعتبر.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) زيادة في (ب).

(3) معنى، زيادة في (ب) وشرح النهج.

*(1887/5)*

---

(أما بعد؛ فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز): اعلم أن المعتمد في تقرير الوقت المشروع للصلاة، ما رواه ابن عباس عن الرسول أنه قال: ((أمَّني جبريل عند باب البيت مرتين، فصلَّى بي الظهر حين زالت الشمس، وصلَّى بي العصر حين صار ظلُّ كلِّ شيء مثله، وصلَّى بي المغرب حين أفطر الصَّائم، وصلَّى بي العشاء حين غاب الشَّفق الأحمر ، وصلَّى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، ثم عاد فصلَّى بي الظهر حين صار ظلُّ كلِّ شيء مثله، وصلَّى بي العصر حين صار ظلُّ كلِّ شيء مثليه، وصلَّى بي المغرب كصلاتي بالأمس، وصلَّى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل، وصلَّى بي الصبح حتى كاد حاجب الشمس يطلع، ثم قال: يا محمَّد، الوقت ما بين هذين الوقتين(1)

(1) الوقتين، زيادة في (ب)، والحديث أورده الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 321/1 وعزاه إلى المنتخب للإمام الهادي عليه السلام حيث قال ما لفظه: وفي المنتخب: أجمعوا جميعاً يعني المحدثين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكر الخبر المذكور في المنتخب وهو فيه باختلاف في بعض لفظه عما هنا، والمعنى واحد، واللفظ في آخره: ((ثم التفت إليَّ جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، الوقت فيما بين هذين الوقتين))، قال الإمام القاسم: قال -أي الهادي في المنتخب: وروى هذا الحديث من أهل العراق أبو بكر بن أبي شيبة وغيره، ورواه عبد الرزاق عن سفيان الثوري، وابن أبي سبرة عن عبد الرحمن بن الحارث قال: حدثني حكيم بن حكم عن نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم...الخبر -يعني المتقدم المذكور في المنتخب- قال الهادي: وقد جاء هذا الحديث من وجوه شتى لم نذكرها لئلا يطول الكلام. انتهى كلام الهادي عليه السلام في المنتخب. ثم ساق الإمام القاسم رواية أخرى للخبر وعزاها إلى شرح التجريد للمؤيد بالله عليه السلام بسنده عن ابن عباس وذكر مخرجيها من أصحاب الحديث. انتهى. (انظر المصدر المذكور 321/1-325، وانظر سيرة ابن هشام 160/1، تحقيق عمر محمد عبد الخالق).

*(1888/5)*

---

)) فهذه هي الأوقات المشروعة من جهة الرسول للصلاة.

فأما أمير المؤمنين فقد اختار هاهنا أموراً على قدر المصلحة نذكرها ونظهر وجهها، فبدأ بالظهر تأسياً بجبريل، فقدَّر فيها رجوع الشمس مثل مربض العنز في ناحية المشرق(1)، فاختار إدخال نصف الذراع في الوقت، ووجهه ما ورد عن الرسول: ((أبردوا عن الصلاة بالظهر، فإن شدة الحرِّ من فيح جهنم))(2)، فالإبراد سنة على هذا خاصة في الحجاز، فإن الحرِّ فيه شديد.

(وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء): ليس فيها اصفرار.

(حية): لم يضعف ضوؤها.

(في عضو من النهار): أي في بعض كثير منه.

(حين يسار فيه(3) فرسخان): [ستة أميال](4) يأتي نصف بريد؛ لأن البريد أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال، فيأتي الفرسخان ستة أميال من اثني عشر، وهي البريد، فكلامه في العصر يدل على بعض تأخر ليس بالكثير.

---

(1) في (ب): الشرق.

(2) الحديث بلفظ: ((إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة)) في الاعتصام للإمام القاسم بن محمد عليه السلام 333/1 وعزاه إلى البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي عن أبي ذر رحمه الله، وهو بلفظ: ((أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 33/1، وعزاه إلى سنن ابن ماجة (679)، والكامل لابن عدي1335/4، وبلفظ: ((أبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم)) وعزاه إلى البخاري 142/1، ومسلم في المساجد (181) وللحديث شواهد عدة وروايات مختلفة انظرها ومصادرها في الموسوعة.

(3) في نسخة وشرح النهج: فيها.

(4) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

*(1889/5)*

---

(وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم): يعني حين تغيب الشمس، ولا خلاف أن وقت وجوبها متعلق بغروب الشمس، ولكن الخلاف إنما هو في أمارة(1) الغروب.

(ويدفع الحاج(2)): يسير(3) من عرفة إلى مزدلفة، فإنه أيضاً يتعلق بالغروب.

(وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق): يريد الأحمر.

(إلى ثلث الليل): يشير إلى أن وقت اختيارها إلى ثلث الليل.

(وصلوا بهم الغداة): يعني صلاة الصبح.

(والرجل يعرف وجه(4) صاحبه): يشير إلى أن الإسفار(5) هو المستحب، كما ورد عن الرسول(6) صلى الله عليه وآله وسلم: ((أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر))(7)، وقد ورد أنه كان في آخر عمره [يداوم](8) على التغليس بها، ثم لأصحابنا وللفقهاء في هذه الأوقات اضطراب عظيم، وليس من همنا ذكره.

(وصلوا بهم صلاة أضعفهم): يريد في صلاة الجماعة، كما جاء عن الرسول:((صلوا بهم صلاة أضعفهم))(9).

---

(1) في (ب): أمارات.

(2) في شرح النهج: ويدفع الحاج إلى منى.

(3) في (أ): يشير.

(4) وجه، سقط من (ب).

(5) أسفر الصبح: أضاء وانكشف.

(6) في (ب): عن النبي.

(7) رواه ابن الأثير في النهاية 372/2 وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف521/1 إلى سنن الترمذي (154)، وسنن النسائي (المجتبى) 272/1، ومسند أحمد بن حنبل 142،143/4، 429/5، والسنن الكبرى للبيهقي 457/1، والمعجم الكبير للطبراني 295/4، ومصنف ابن أبي شيبة320/1، إلى مصادر أخرى انظرها هناك..

(8) زيادة من هامش في (ب) حيث أثبتها هناك، وظنن عليها بقوله: ظ.

(9) الحديث بلفظ: ((صل بهم صلاة أضعفهم)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 533/5 وعزاه إلى الكنز العمال برقم (22872)، والمطالب العالية لابن حجر423، والطبقات الكبرى لابن سعد27/7.

*(1890/5)*

---

(ولا تكونوا فتانين): تفتنون الناس بإطالة الصلاة عليهم جماعة، والفتنة: البلوى، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ}[الدخان:17].

(53) ومن عهد [له عليه السلام](1) كتبه للأشتر النخعي حين ولاه مصر وأعمالها، لما اضطرب أمرمحمد بن أبي بكر رضي الله عنه وهو أطول عهد كتبه، وأجمعه للمحاسن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين): اسم الله مكتوب في صدر كل كتاب من كتبه، وكل وصية من وصاياه، ولكنها أسقطت لما كانت مجموعة في كتاب واحد، وكيف لا وهو أحق الناس بالعمل على السُّنة وملاحظة أدبها.

(مالك بن الحارث الأشتر): يحتمل أن يكون تلقيبه بالأشتر؛ لانقلاب جفن عينه، ويحتمل أن يكون ذلك أخذاً له من لقب الديك، فإنه يسمى أشتر، وإنما لقب بذلك وصفاً له بالشجاعة، وتشبيهاً(2) له في لقط الرجال في الحرب (3) بالديك في لقط الحبوب وانتقائها.

ويحكى أن الطرمّاح دخل يوماً على معاوية، وكان من أصحاب أمير المؤمنين، فقال له معاوية: قل لابن أبي طالب: إني قد جمعت من العساكر بعدد حبات جاورس(4) الكوفة، وها أنا قاصده، فقال له الطرِّماح: إن لعلي ديكاً أشتر يلتقط جميع ذلك، فانكسر معاوية لكلامه(5).

---

(1) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) في (ب): تشبيهاً، بغير الواو.

(3) في (ب): بالحرب.

(4) الجاورس: هو حب الدخن. تمت من الجوهري (هامش في (أ)، و(ب)، ونسخة أخرى) فلعله تفسير من المؤلف.

(5) أعلام نهج البلاغة –خ– للشريف علي بن ناصر الحسيني، وشرح نهج البلاغة لميثم بن علي البحراني 127/5، منشورات دار الثقلين بيروت – لبنان (ط1 سنة1420هـ- 1999م) والرواية فيه مع اختلاف يسير.

*(1891/5)*

---

(في عهده إليه حين ولاَّه مصر): جعله أميراً فيها ووالياً على أمورها.

(جبوة(1) خراجها): الجبوة والجباوة هو: أخذ الخراج، والواو فيهما على غير قياس، والوجه فيهما الياء.

(وجهاد عدوها): من كان معادياً لها.

(واستصلاح أهلها): القيام فيهم بما يصلحهم في أمور الدين والدنيا.

(وعمارة بلادها): بالعدل فيهم والسيرة الحسنة.

(أمره بتقوى الله): اتِّقاه في ملاحظة أمره ونهيه.

(وإيثار طاعته): آثرته بكذا إذا جعلته أحق به، وأراد إيثارها على كل شيء من الأعمال.

(واتباع ما أمر به): فعله والاحتكام له.

(في كتابه من فرائضه وسننه): مما أوعد على تركه بالعقاب، وهو الفرض، وما لم يكن حاله كذلك وهو عبارة عن السنة، والفرض والواجب أمر واحد، ومن خالف في ذلك فخلافه متعلق بالعبارة لا غير.

(الذي(2) لا يَسْعَدُ أحد إلا باتِّباعها): امتثالها والإتيان بها، والسعادة هي: إحراز الجنة.

(ولا يشقى أحد إلا مع جحودها): إنكارها.

(وإضاعتها): إهمالها واطّراحها، والشقاوة: الخسارة بالوقوع في النار.

(وأن ينصر الله بيده): في تغيير المنكر.

(وقلبه): بأن يكون كارهاً له.

(ولسانه): بالنهي عنه والذم لمن فعله.

(فإنه جلَّ اسمه قد تكفَّل بنصر(3) من نصره): حيث قال تعالى(4): {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ}[الحج:40].

(وإعزاز من أعزَّه): برفع درجته، وإعلاء كلمته وإنفاذها.

(وأمره أن يكسر نفسه(5) عند الشهوات): كسرالنفس: وضعها عن العلو وإنزالها عند(6) السمو،

ومخالفتها في كل ما تريده وتهواه.

---

(1) في شرح النهج: جباية.

(2) في نسخة وشرح النهج: التي.

(3) في نسخة: بنصرة (هامش في ب).

(4) تعالى، سقط من (ب).

(5) في نسخة وشرح النهج: من نفسه.

(6) في (ب): عن.

*(1892/5)*

---

(ونزعها عند الجمحات(1)): كفَّها عند تقحمها والوثبات لها على ما يهلكها، ثم تلا قوله تعالى:

(ف{إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ})[يوسف:53]: في جميع حالاتها.

({إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي})[يوسف:53]: بالتدارك بالألطاف الخفية، والحماية عن الشر بالتوفيقات المصلحية.

واعلم: أن رياضة النفس هي من أهم المقاصد، وأجل المطالب بتصفيتها عن الأخلاق المذمومة؛ لتكون واصلة إلى سعادة الأبد، ونعيم السرمد.

(ثم اعلم يا مالك): ناداه باسمه على جهة الملاطفة.

(أني قد وجهتك إلى بلاد): مصر وأعمالها.

(قد جرت على أهلها دول قبلك): الدول: جمع دولة بالفتح، وهي: ما يتداوله(2) الناس بينهم مرة لهذا ومرة لذاك.

(من عدل وجور): يريد من استقامة طرقهم في العدل، واعوجاجها في الجور.

(وأن الناس ينظرون من أمورك): أفعالك وأحوالك كلها.

(في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر(3) الولاة قبلك): من المعاملة وحسن السيرة، وطيب المعاشرة، وغير ذلك من الأحوال.

(ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم): من الثناء الحسن أو خلافه.

---

(1) في شرح النهج: وينزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء.

(2) في (أ): ما تداوله.

(3) أمر، سقط من (ب)، وفي شرح النهج: أمور.

(فإنما(1) يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة(2) عباده): من الثناء الحسن والذكر الجميل، وفي الحديث: ((لو أطيع الله من وراء سبعين باباً لأظهره الله))(3) وهكذا حال المعصية.

(فليكن أحب الذخائر إليك): الذخيرة: واحدة الذخائر، وهو(4): ما يخبأ.

(العمل الصالح(5)): إما الذي أصلح حال صاحبه في القيامة، أو(6) الصالح الذي يصلح للقبول عند الله تعالى.

(فاملك هواك): أراد لا تكون سيقة له، ولا يكون مالكاً لك فتهلك.

(وشُحَّ بنفسك عمَّا لا يحل لك): أراد اقبضها عن فعل ما لا يحل فعله، ولا تبذلها فيه.

(فإن الشح بالنفس): وهو منعها.

(الإنصاف منها فيما أحبت و(7)كرهت): أراد أنك إذا ملكتها وشححت عليها فقد انتصفت منها في مرادها ومكروهها.

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية): اجعل الرحمة شعاراً له تلاصقه في حالاته كلها.

(والمحبة لهم): الشفقة والحنو عليهم.

(واللطف بهم): في جميع أمورهم.

(ولا تكوننَّ عليهم سَبُعاً ضارياً): في معاملتك لهم، التي من طبعها(8) العداوة والافتراس.

---

(1) في شرح النهج: وإنما.

(2) في شرح النهج: ألسن.

(3) له شاهد رواه من حديث طويل عن أنس بن مالك، القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار 392/1 الباب (66)، ولفظ الشاهد فيه: ((ولو أن عبداً اتقى الله في بيت في جوف بيت إلى سبعين بيتاً، على كل بيت باب من حديد، لألبسه الله رداء عمله، حتى يتحدث به الناس وحتى يزيدوا))، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الحاكم في تأريخه عن أنس. انتهى.

(4) في (ب): وهي.

(5) في شرح النهج: ذخيرة العمل الصالح.

(6) في (ب): وإما.

(7) في شرح النهج: أو.

(8) أي السباع.

(تغتنم أكلهم): تجعل أكلهم بمنزلة الغنيمة التي لا تبعة(1) في أخذها.

(فإنهم صنفان): يريد على تفاوت أخلاقهم وبيان طرقهم، لا ينفكون عن نوعين:

(إما أخ لك في الدين): وإن كانت رتبتك فوق رتبته، فأنتما سواء من جهة الأخوة في الدين.

(وإما نظير لك في الخلق): مماثل لك في الطبائع والسجايا.

(يفرط منه(2) الزلل): يتقدم منه، ومنه الفارط وهو: الذي يتقدم القوم لطلب الماء.

(وتعرض لهم العلل): في أجسامهم ومقاصدهم وأغراضهم.

(ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ): ويعرض لهم الزلل والخطأ في تصرفاتهم عمدها وخطئها، وفي الحديث: ((الناس كإبل مائة، لا تجد فيها راحلة))(3).

(فأعطهم من عفوك): عن زللهم.

(وصفحك): عن خطأهم.

(مثل الذي تحبُّ أن(4) يعطيك الله من عفوه وصفحه): يريد اجعل حالهم بالإضافة إليك على مثل حالك بالإضافة إلى الله تعالى، فإذا(5) كنت تحبُّ عفوه وصفحه مع استغنائه عنك، فهم أيضاً يحبُّون عفوك وصفحك، مع افتقارك إليهم في أكثر الأمور.

(فإنك فوقهم): بما جعل لك من الولاية عليهم، والتصرف في أمورهم.

(ووالي الأمر عليك فوقك): يريد والإمام الذي ولاَّك مَالِكٌ لتصرفك أيضاً.

---

(1) أي لا ذنب ولا حرج.

(2) في شرح النهج: منهم.

(3) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 145/2 بسنده عن أبي هريرة مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وهو في نهاية ابن الأثير 15/1، وقال في شرحه: يعني أن المرضيّ من الناس في عزة وجوده كالنجيب من الإبل القوي على الأحمال والأسفار الذي لا يوجد في كثير من الإبل.

(4) في شرح النهج: مثل الذي تحب وترضى أن ...إلخ.

(5) في (ب): فإن.

(والله فوق من ولاّك): وهذه الفوقية هي فوقية القهر والسلطنة، والاحتكام والولاية، لا فوقية الجهة في جميع مواقعها هاهنا.

(وقد استكفاك أمرهم): طلب منك، والضمير لله تعالى(1) أو للإمام، أن تكون كافياً فيما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

(وابتلاك بهم): امتحنك بالتصرف عليهم واختبرك في ذلك.

(لا تنصبن نفسك لحرب الله): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد لا تفعل شيئاً من المعاصي التي تكون مؤدية لحرب الله تعالى، نحو أكل الربا، فإن الله تعالى أوعد عليه بالمحاربة، كما قال تعالى(2): {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}[البقرة:279].

وثانيهما: أن يكون غرضه لا تحاربنَّ أولياء الله من المؤمنين وأهل الصلاح، فتكون في الحقيقة محارباً لله بحرب أوليائه(3).

(فإنه لا يَدَىْ لك بنقمته): أي لا طاقة لك بعقوبته، وإنما حذفت النون للإضافة، واللام هاهنا مقحمة مؤكدة للإضافة.

(ولا غنى لك عن عفوه ورحمته): أي لا يعقل لأحد غناء من دون رحمة الله وعفوه لكل مخلوق، فكل غنى ليس فيه رحمة من الله ولا عفو فهو باطل كذب.

(ولا تندمنَّ على عفو): عن عقوبة عن جريمة لأحد من الخلق، فإن الله تعالى قد ندب إليه مطلقاً، ولا حالة يمكن قبحه فيها.

(ولا تبجحنَّ بعقوبة): التبجح: إظهار التكبر والفرح بما أصابه من تلك العقوبة، وأراد لا تفرح بذلك.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) تعالى، سقط من (أ).

(3) يشير المؤلف عليه السلام إلى الحديث القدسي: ((من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة)) أخرجه من حديث طويل المرشد بالله في الأمالي الخميسية 204/2 بسنده عن أنس بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبريل عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى قال: فذكر الحديث بطوله.



---

(ولا تُسْرِعنَّ إلى بادرة): البادرة: ما تسرع النفس إليه.

(وجدت عنها مندوحة): المندوحة: السعة، وأراد لا تعجل إلى ما تدعو إليه النفس من بوادر السوء من(1) فعل أو قول، ما دام لك عنها سعة في تركها، والتغاضي عنها.

(ولا تقولن: إني مؤمر آمر(2) فأطاع): يعني لا تحدثك نفسك وتزين لك الإسراع إلى البوادر، وتوقع(3) في نفسك أن تقول: أنا أمير على ما تحت يدي من هذه الولاية، وأمير على هذه الرعية، فلا بد لهم من الانقياد لي في كل ما أمرت به.

(فإن ذلك إدغال في القلب): إفساد له وإبطال لقاعدة أمره.

(ومنهكة للدين): إضعاف له، يقال: نهكته الحمى إذا أضعفت قواه وحواسه.

(وتقرُّبٌ من الغِيَرِ): دنو من حوادث الدهر ونوازله.

(وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك): يريد وإذا وجدت في نفسك وانقدح في فؤادك(4) لما ترى من العظمة والإمرة والحالة الجليلة بالسلطنة، ونفوذ الأمر لك(5):

(أُبَّهةً): العظمة والكبر.

(أو مَخِيلَةً): خُيَلاءَ في حالك.

(فانظر إلى عِظَمِ ملك الله فوقك): تفكَّر في نفوذ ملك الله عليك وقهره لك وسلطانه عليك.

(وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك): وأنه(6) قادر من تدبيرك وتصريفك على ما لا يمكنك القدرة عليه من جهة نفسك.

(فإن ذلك): التفكر.

(يُطَامِنُ إليك): يخفض إليك.

(من طِمَاحِكَ): الطماح: علو النفس وارتفاعها(7)، وهو مثل الجماح.

(ويكف عنك من غَرْبِكَ): غرب الشيء: حدّه، وأراد يكفُّ حدَّة النفس وشرتها(8).

---

(1) من، سقط من (ب).

(2) آمر، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(3) في (ب): ويقع.

(4) في نسخة أخرى: مرادك.

(5) لك، سقط من (ب).

(6) في (ب): فإنه.

(7) وارتفاعها، سقط من (ب).

(8) شرتها أي غلبة حرصها.

(ويفيء إليك ما(1) عزب عنك من عقلك): فاء الشيء إذا رجع، وأراد يرجع إليك(2) ما بَعُدَ من فهمك، وينبِّهك على خطئك في ذلك.

(وإياك ومساماة الله في عظمته): الترفع عليه في عظم كبريائه، من قولهم: سما إذا ارتفع وعلا، و(3)إياك والعلو عليه والتكبر في ذلك.

(والتشبه(4) به في جبروته): والمشابهة له فيما اختص به، وجعله رداءً له وهو الكبرياء.

(فإن الله يُذِلُّ كلَّ جبَّار): بما ادَّعى(5) من تجبُّره وتكبُّره.

(ويُهِيْنُ كل مختال!): أهانه إذا أذلَّه، وأراد يُهِيْنُ كلَّ من تكبّر وتعاظم.

ثم إنه شرع في نوع آخر من الأدب، بقوله:

(أنصف الله): من نفسك في أداء حقوقه الواجبة عليك، وفروضه اللازمة.

(وأنصف الناس من نفسك): بأداء حقوقهم التي هي واجبة عليك.

(ومن خاصَّة أهلك): من يقرب إليك من أهلك وعشيرتك(6).

(ومن لك فيه هوى من رعيتك): يريد ومن تميل إليه ولك به اختصاص وميل، واتركهم في الحق على سواء ولا تميل(7) عن الحق لأجل اختصاصهم بك.

(فإنك إلاَّ تفعل): ما أمرتك به فيهم من الإنصاف للحق منهم.

(تظلم): لا محالة من كان له حق عندهم.

(ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه): مخاصماً له على مخالفته لما نهى عنه من الظلم.

(دون عباده): أي يتولى خصومته بنفسه دونهم؛ لأن الأمر لله ذلك اليوم.

(ومن خاصمه الله): كان خصيماً له.

(أدحض حجته): حجة داحضة أي باطلة منقطعة عن الحق.

(وكان لله حرباً): لا ينزع عن محاربته.

(حتى ينزع): يقلع عما هو فيه من الظلم.

(ويتوب): يرجع إلى الله تعالى.

---

(1) في نسخة وشرح النهج: بما.

(2) في (أ): إليه.

(3) في (أ): أو.

(4) في (ب): والتشبيه.

(5) في (ب): ادعاه.

(6) في (ب): وعترتك.

(7) في (ب): ولا تمل.

(وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله): إزالتها وتحويلها.

(وتعجيل نقمته): عقوبته وعذابه.

(من إقامة على ظلم)(1): سواء كان ذلك ظلماً في عِرْضٍ، أو ظلماً في حق، أو مال، أو غير ذلك من أنواع الظلامات، ولهذا نكَّره أي ظلماً أي ظلم كان.

(وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق): لما ورد في الحديث:((خير الأمور أوساطها))، ولأن الوسط أقرب إلى جانب الإنصاف من غير إفراط في الأمر ولا تفريط فيه.

(وأعمَّها في العدل): أجمعها لمعانيه، وأشملها لمقاصده.

(وأجمعها لرضاء الرعية): فإن في رضاهم صلاح الأمر، وقوام قانونه.

(فإن سُخْطَ العامة يجحف برضاء الخاصة): الإجحاف: الإذهاب، ومنه سيل جحاف أي يذهب بكل شيء، وأراد أن العامة مهما سخطت عليك تغير الأمر، ورضا الخاصة لا وقع له مع ذلك لذهابه عند سخط العامة.

(وإن سُخْطَ الخاصة يغتفر مع رضاء العامة): الغفر: التغطية، ومنه المغفر، وغفر الله ذنوبه إذا غطاها وسترها، وأراد أن أهل البطانة والخاصة إذا غضبوا فإنه لا يضر مع كون العامة راضين.

(وليس أحد أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء): لأنهم يسألون الكثير ولا يقنعهم.

(وأقل معونة له(2) عند البلاء): لنكوصهم وإعراضهم.

(وأكره للإنصاف): من أنفسهم الحق.

(وأسأل بالإلحاف): يريد الإلحاح، وألحف السائل في سؤاله إذا ألح، وعن هذا قيل: ليس للملحف مثل الرد(3).

(وأقل شكراً عند الإعطاء): لما يظهر في نفوسهم من استقلاله، وازدراء النعمة عليهم.

---

(1) بعده في النهج: فإن الله سميع دعوة المضطرين، وهو للظالمين بالمرصاد.

(2) له، زيادة في (ب)، وشرح النهج، وقوله: عند البلاء، في شرح النهج: في البلاء.

(3) مختار الصحاح صـ.

(وأبطأ عذراً عند المنع): يريد أنهم إذا منعوا عن العطاء فهم أبطأ الناس وأعظمهم تأخراً عن العذر عند منعهم، وحرمانهم عن المعروف والإحسان.

(وأضعف صبراً عند ملمات الدهر): ألم الخطب إذا خالط وعظم، وأراد أنهم لا يصبرون عن الخطوب العظيمة، والنوازل الكريهة.

(من أهل الخاصة): الأقارب والعشيرة، والبطانة من الأصحاب والأخدان.

(وإنما عمود الدين): الذي يستقيم به.

(وجماع المسلمين): معظم أمرهم، ومجتمع رأيهم.

(والعدة لأعداء الملة): والأمر الذي يعد ويهيأ لمن كان عدواً للدين والإسلام.

(العامة من الأمة): هم العامة من الأمة، فإنهم الأساس للدين، وعليهم تدوار عموده.

(فليكن إليهم صِغْوُك): صغا إلى كذا إذا مال إليه، ومنه قولهم: صغت النجوم إذا مالت عند غروبها، وأراد الإصغاء إلى أحاديثهم، والتفطن لما تقوله من غير إعراض عن ذلك.

(وميلك معهم): أراد أنك تكون مصاحباً لهم في أكثر حالاتك.

(وليكن أبعد رعيتك منك): أقصاهم مكاناً، وأكثرهم تأخراً.

(وأشنأهم عندك): أبغضهم إليك، والشناءة: هي البغض.

(أطلبهم لمعايب الناس): المعاب والمعيبة: العيب، وهو ما يكون فيه الذم واللوم.

(فإن في الناس عيوباً): وفي الحديث: ((إذا أراد الله بعبد خيراً بصَّره عيوب نفسه))(1).

ولما قدم سلمان على عمر رضي الله عنه، قال له: ما الذي بلغك عني مما تكرهه؟ فاستعفى، فألحَّ عليه.

فقال له: سمعت أنك تجمع بين إدامين على مائدتك، وأن لك حلتين: حلة بالليل، وحلة بالنهار.

فقال: وهل بلغك غيرهما؟

---

(1) الحديث بلفظ: ((إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيب نفسه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 234/1، وعزاه إلى المغني عن حمل الأسفار للعراقي320/4، وإتحاف السادة المتقين614/9.

*(1900/5)*

---

قال: لا، فقال: أما هذان(1) فقد كفيتكهما، فالعيوب كثيرة في الخلق.

(الوالي أحق من سترها): لأمرين:

أما أولاً: فلأن ذلك من حسن الرعاية، وقد استرعي وهذا من أعظمها.

وأما ثانياً: فلما في ذلك من المصلحة؛ لأنه إذا كان هو الساتر لها مع قدرته وقهره فغيره بذلك أحق وأولى.

(فلا تكشفنَّ عمَّا غاب عنك منها): بَعُدَ عنك خبره، ولم يظهر لك أمره.

(فإنما عليك تطهير ما ظهر لك): بالحدود المشروعة، والآداب المفوضة إلى آراء الولاة، ومصالح استصوابهم في الزيادة والنقصان.

(والله يحكم على ما غاب عنك): بما قد شرع من الوعيد العظيم عليها، والعقوبة في الآخرة.

(فاستر العورة ما استطعت): بقدر إمكانك وقوتك على ذلك، وفي الحديث: ((أنا ستار، فمن ستر على أحد من خلقي سترت عليه)).

(يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك): من العيوب التي تلام عليها، وعن هذا قال بعضهم:

لا تَكْشِفَنْ عن(2) مساوى الناس ما ستروا

فيكشف الله ستراً من مساويكا

(أطلق عن الناس عقدة كل حقد): الحقد: الضغن الكامن، وأراد هاهنا أطلقه عن قلبك بإظهار البشاشة في وجهك، والسرور في قلبك.

---

(1) في (ب): هذين.

(2) في (ب): لا تكشفنَّ، وقوله: عن سقط منها، والبيت أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج 38/17 بدون نسبة لقائله وأوله فيه: لا تلتمس من ... إلى آخره، وبعده فيه:

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكِرُوا

ولا تَعِبْ أحداً منهم بما فيكا

*(1901/5)*

---

(واقطع عنك(1) سبب كل وتر): وتره حقه إذا نقصه إياه، قال تعالى: {وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}[محمد:35]، والموتور هو: المقتول الذي لم يؤخذ بدمه، واستعاره من ذلك، وغرضه قطع التذكار لما سلف من الجرائم، والذحول(2) المتقدمة.

(وتجاف(3) من كل ما لا يضح(4) لك): مما يوجب الحد، أويوجب التعزير والأدب، وفي الحديث أنه جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إنّي قبَّلتُ امرأة فأعرض عنه، وقال: ((توضأ وصلِّ معنا)).

(ولا تعجلنَّ إلى تصديق ساعٍ): بمكر أو وشاية.

(فإن الساعي غاش): لك لا محالة بإيصاله إليك معائب الناس، ونقصهم عندك.

(وإن تشبه بالناصحين): لك لأنه في الظاهر يريد نصحك بما أهدى إليك من ذكر معائب الناس، وهذا هو الغش بعينه لما فيه من الفساد والرذالة(5).

(لا تدخل(6) في مشورتك بخيلاً): يريد إذا جمعت جمعاً من إخوانك للاستشارة فيما يعرض من أمورك وإصلاح حالك وقوام دولتك، فلا يكن من جملتهم بخيل في معروفه وفضله، فإنه لا محالة.

(يعدل بك عن الفضل): إما عن أفضل الأمور وأعلاها، وإما عن الإحسان والمعروف، وكله نقص وخطأ.

(ويعدك الفقر): من أجل بخله وضنته، فلا يزال يتوهم الفقر، ويعمل عليه.

(ولا جباناً): الجبن: الخور والفشل، وأراد ولا تدخل من يغلب عليه الجبن والفشل، فإنه لا محالة:

---

(1) عنك، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) الذَحْلُ: الحقد والعدواة، يقال: طلب بِذَحْلِه أي بثأره، والجمع ذحول (مختار الصحاح ص220)

(3) في شرح النهج: وتغاب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) في (ب): يصلح.

(5) في (أ): والرذلة، و في (ب): الرداءة، وما أثبته من نسخة أخرى.

(6) في شرح النهج: ولا تدخلنَّ.



---

(يضعِّفك عن الأمور): أي يقل جسرتك على الأمور المهمة، ويفتِّرك عن مقاساة الشدائد العظيمة مما يكون زيادة في قدرك، وعظماً في أمرك.

(ولا حريصاً): الحرص: التهالك في الحفظ والضِّنة.

(يزين لك الشره بالجور): يحسن في عينيك الحرص، فيكون ذلك سبباً في التسرع إلى الجور.

(فإن البخل والجبن والحرص): وغير ذلك من المساوئ.

(غرائز شتى(1)): طبائع وشيم وخلائق.

(يجمعها سوء الظن بالله): لأن من وثق بالله وبعطائه وخيره جاد بكل ما تحويه يده، اتكالاً على عوض الله وخيره، ومن أساء الظن بالله أقدم على هذه الخلائق(2).

(شر وزرائك من كان وزيراً للأشرار قبلك(3)): الوزير: هو الذي يتحمل الأثقال وينهض بالأعباء، وغرضه هو أن أبعدهم عن الحق وأعظمهم شراً عليك، من مارس(4) الظلمة قبلك، وكان متحملاً

لأثقالهم، فمن هذه حاله لا تعدم مضرة من جهته.

(ومن شركهم في الآثام): بدخوله معهم فيها، واتخاذهم إياه ذريعة إلى المآثم والمظالم.

(فلا يكوننَّ لك بطانة): لفساد دينه وإهلاك آخرته بما فعل من ذلك لغيره.

(فإنهم أعوان الأثمة): أعوانهم على تحصيل الآثام وكسبها.

(وإخوان الظلمة): المؤاخين لهم على أخذ المظالم وخضمها وقضمها، فإن فعلت ذلك كنت شريكاً لهم.

(فأنت واجد منهم): في الظلم والإثم.

(خير الخلف): بعدهم وأفضلهم في السيرة، وأحرزهم في الديانة.

(ممن له مثل آرائهم ونفاذهم): في الأمور، وحسن تدبيرهم وإتقان سياستهم.

---

(1) شتى، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) في (ب): الأخلاق.

(3) في (ب) وشرح النهج: شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً.

(4) تمرس بالشيء، وامترس: احتك به. (القاموس المحيط ص741).

*(1903/5)*

---

(وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم(1)): الآصار: جمع إصر، والأوزار: جمع وزر، وهي: الأعباء والأثقال عليهم(2)، فهؤلاء خير الخلف بعد السابقين لهم.

(ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه): يكون عوناً له وقوة لعضده، وردفاً(3) له عند حاجته إليه في ذلك.

(ولا آثماً على إثمه): ولا يكون عوناً له فيما يكسبه من المآثم والأوزار.

(أولئك أخف عليك مؤونة): لسهولة الحال فيهم، وقلة أثقالهم.

(وأحسن لك معونة): في تدبير الأمور والإرشاد إلى الطاعة، والقربة إلى الله تعالى.

(وأحنى عليك عطفاً): الحنو: هو الشفقة، والعطف: الرحمة، وأراد أعظم عليك رحمة وشفقة.

(وأقل لغيرك إلفاً): يريد(4) أنهم لا يألفون غيرك، ولا يخالطون سواك.

(فاتخذ أولئك خاصة بخلواتك(5)): عند المخاضة في الأمور المهمة في الأوقات الخالية والساعات الخفية.

(وحفلاتك): وعند المحافل العظيمة، والمشاهد المجتمعة.

(ثم ليكن آثرهم عندك): أحقهم بالإيثار والتمكن وعلو المنزلة.

(أقولهم بمرِّ الحق لك): أنطقهم بالحق، وإن كان مرّا على من سمعه؛ لأن من هذه حاله فهو ناصح لله ولك.

(وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه): وأكثرهم تأخراً عنك في الأمور التي كره الله لأوليائه فعلها والتلبس بها.

---

(1) بعده في شرح النهج: وآثامهم.

(2) عليهم، سقط من (ب).

(3) الرِّدْف بالكسر: الراكب خلف الراكب، وكل ما تبع شيئاً، والردف أيضاً: المعاون، (وانظر القاموس المحيط ص1049-150).

(4) في (ب): ويريد.

(5) في (ب) وشرح النهج: لخلواتك.

*(1904/5)*

---

(واقعاً ذلك(1) من هواك حيث وقع): يعني افعل ذلك وواظب عليه سواء كان مخالفاً لهواك أو موافقاً له، وانتصاب واقعاً على الحال من فعل مقدر تقديره ما فسرنا به كلامه، ومن هذه لابتداء الغاية.

(والصق بأهل الورع والصدق): كن لاصقاً بهم في جميع أحوالك وتقلباتك، وأكثر المخالطة لهم حتى كأنك ملاصق لهم.

(ثم رُضْهُمْ على ألاَّ يطروك): أدبهم بأدبك واجعلهم مرتاضين على ترك المدح لك، وإنما قال: رضهم، ولم يقل: انههم يشير بذلك إلى حسن الممارسة وجودة السياسة لما في النهي من الخشونة والانزواء مع الوحشة.

(ولا يبجحوك بباطل لم تفعله): التبجح: الفرح والسرور، وأراد ولا يدخلون عليك المسرة بالأباطيل والأكاذيب تقرباً إليك.

(فإن كثرة الإطراء): المدح.

(تحدث الزهو): الخيلاء والفخر.

(وتدني من العزة): التكبر والأنفة.

(ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء): يعني لا يكونان بالإضافة إلى تعظيمك وقربك وإنصافك وإدنائك وجميع تصرفاتك، على السوية من غير تفرقة بينهما، ولا فضل لأحدهما على الآخر.

(فإن في ذلك): يشير إلى المساواة لهما.

(تزهيداً لأهل الإحسان في إحسانهم): ترغيباً لهم عنه، لأنهم موقعون في أنفسهم عدم ثمرته وإبطال فائدته، فيدعوهم ذلك إلى تركه وترك التعلق به لما ذكرناه.

---

(1) في نسخة: ذاك (هامش في ب).

*(1905/5)*

---

(وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة): التدريب(1): بدال بنقطة(2) من أسفلها هو العادة، يقال: فلان له دُرَبَةٌ بالخير أي عادة، وبذال بنقطة من أعلاها هو: الحدة في الأمر، من قولهم: فلان ذرب اللسان أي حديده، والأول هو الوجه، وهو سماعنا في الكتاب، وأراد إما يكثر اعتيادهم لها، وإما يزيدهم حدة فيها وجرأة عليها.

(وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه): من ذلك يعني خصهم بحكم ما خصوا به أنفسهم من أحكام الإحسان أو بأحكام الإساءة.

(واعلم أنه ليس شيء بأ دعى إلى حسن ظن والٍ برعيته): أراد أن الذي يدعو الوالي إلى أن يكون محسناً للظن بالرعية، وإلى عدم التهمة لهم في جميع أحوالهم وأمورهم.

(من إحسانه إليهم): لأنه إذا كان محسناً عليهم دعاه ذلك إلى تحسين الظن بهم والمحبة لهم.

(وتخفيفه المؤونات(3) عليهم(4)): يعني ولا تحملهم الأمور الصعبة، ولا تكلفهم الأشياء الشاقة.

(وترك استكراهه إياهم على ما ليس قِبَلَهم(5)): أي ولا يكرههم على أخذ ما لا يتعلق بهم ولا يكون متوجهاً عليهم، فإن هذه الأمور كلها تكون داعية إلى حسن ظنه بهم، وسلامة خاطره وقلبه في حقهم.

(فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك): يعني فاجتهد في تحصيل ما يكون سبباً في حسن ظنك بهم.

(فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً): يريد أن حسن الظن يسد عنك أبواباً كثيرة في المحتملات، لو اجتهدت في العناية في سدها وعلاجها لكان ذلك يحصل بنَصَبٍ عظيم ومكابدة شديدة، وحسن الظن يرفع ذلك عنك، ويغلق عنك تلك الأبواب والاحتمالات.

---

(1) في (ب): التدرب.

(2) في (ب): منقوطة.

(3) في نسخة أخرى: المؤديات.

(4) في نسخة: عنهم (هامش في ب).

(5) في (ب) وشرح النهج: على ما ليس له قبلهم.

*(1906/5)*

---

(وإن أحق من حَسُنَ ظنك به): من كان ظنك في حقه صالحاً لا ميل فيه ولا اعوجاج في طريقه.

(لمن حَسُنَ بلاؤك عنده): هو الذي أحسنت إليه وأعطيته وأوليته المعروف؛ لأنه يقع منه موقعاً عظيماً.

(وإن أحق من ساء ظنك به): من كان ظنك سيئاً في حقه.

(لمن ساء بلاؤك عنده): هو الذي حرمته إحسانك ومنعته معروفك.

(ولا تنقض سنة صالحة): تبطل العمل بها وتمحو رسمها(1) بإهدارها.

(عمل عليها(2) صدور هذه الأمة): الصدور: جمع صدر وهو العالم النحرير، وأراد أهل الصلاح من هذه الأمة المتقدمون في أوائلها، فإن عملهم عليها هو الحق.

(واجتمعت بها الألفة): يعني كانت سبباً في الألفة واتفاق الكلمة وجمعها.

(وصلحت عليها الرعية): وكانت سبباً في صلاح الرعية وجمع شملهم.

(ولا تحدثنَّ سنة تضر بما مضى(3) من تلك السنن): تبطلها وتفسدها.

(فيكون الأجر لمن سنها): فعلها ودعا إليها.

(والوزر عليك): يعني الإثم متعلق بك.

(بما نقضت منها): في إبطالها وتغييرها، وأراد في جميع هذا(4) كله ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنه لا سبيل لأحد إلى نقضه وإبطاله، وكيف لا وإجماعهم قاطع فيما تعلق به(5)، فيكون ما عداه خطأ وضلالة، وبدعة وجهالة.

(أكثر(6) مدارسة العلماء): أراد إما الوقوف معهم والدرس عليهم، وإما أن يريد مناطقتهم في المسائل ومراجعتهم عليها، فإن مجالسة العلماء زيادة في الدين وإصلاح للبصيرة، وبعد عن الزلل، وتذكر لأحوال الآخرة.

---

(1) في (ب): رسومها.

(2) في شرح النهج: بها، وكذا في نسخة ذكره في ها مش (ب).

(3) في نسخة: بماضي تلك السنن (هامش في ب)، وفي شرح النهج: تضر بشيء من ماضي تلك السنن.

(4) في (ب): ذلك.

(5) في (ب): بهم.
(6) في شرح النهج: وأكثر.

*(1907/5)*

---

(ومثافنة الحكماء(1)): المثافنة: المجالسة والقعود معهم، أخذاً لها من ثفنة البعير، وهو ما يقع على الأرض من أعضائه كالصدر والركبتين وغيرهما.

سؤال؛ من هم العلماء، ومن هم الحكماء، حتى فرق بينهما ها هنا؟

وجوابه؛ هو أن الحكماء هم الزهاد؛ لأنهم أحكم الناس، لأنهم آثروا الآخرة على الدنيا وأعرضوا عن الفاني، وقيل: هم العالمون العاملون بما علموا، فمن جمع إلى العلم العمل به فهو الحكيم بعينه.

(في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك): في معاملاتهم ومقدار ما يؤخذ منهم من الأموال في الضيق والسعة والرخاء والقحط، وغير ذلك من الأمور المصلحة للأحوال.

(وإقامة ما استقام به الناس قبلك): من الخلفاء في أمر الرعية، واعتمد ذلك في سيرتك معهم ومعاملتك لأحوالهم، فإن فيه صلاحاً لما أنت فيه.

ثم أردف ما ذكره بالرعية وبيان طبقاتهم بقوله:

(واعلم أن الرعية طبقات): يريد أنهم وإن اشتركوا في الرعاية وأنهم تحت حكم الله تعالى وحكمك، فهم على أنواع مختلفة وطبقات متفاوتة.

(لا يصلح بعضها إلا ببعض): أي أن كل واحد من هذه الطبقات صلاح في الطبقة المخالفة.

(ولا غنى ببعضها عن بعض): يريد أن كل واحد(2) منها مفتقر إلى الأخرى كما قال تعالى: {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً}[الزخرف:32]، فكل واحد منهم يعود بالمنفعة على صاحبه من غير عناية منه لذلك ولا إرادة.

---

(1) في شرح النهج: ومناقشة الحكماء.
(2) في (ب): واحدة.

*(1908/5)*

---

(فمنها جنود الله): وهم عساكر الإسلام وأهل الإيالة(1)، وإنما قدمهم على سائر الطبقات لما يحصل للإسلام بسببهم من القوة والأبهة العظيمة، ولما يقع في نفوس أعدائه من أجلهم من الخيفة والمهابة،

فإن بهم قوام الدين وشدة أمره.

(ومنها كُتَّاب العامة والخاصة): فأما العامة فهم الزرعة وأهل الحرف والصناعات، وأما الخاصة فهم البطانة والشعار المتولي من أهل دولته، والحافظين لأمره، والمتولين لإصلاح أحواله.

(ومنها قضاة العدل): الحكام والمتولين للفصل لشجار الخلق وقطع لجاجهم ودفع خصوماتهم، العادلين في أحكامهم من غير حيف ولا ميل فيها.

(ومنها عمال الإنصاف والرفق): أراد الكتاب والعمال على الخراج والصدقات وكُتَّاب الشروط وغير ذلك.

(ومنها أهل الجزية): وهم الذين أقروا على أديانهم مع التزام الجزية، إذا كانوا أهل كتب نحو اليهود والنصارى.

(والخراج من أهل الذمة): وهو ما يؤخذ من أموالهم على جهة الخراج مما يضطرب(2) فيه من هذه الأموال.

(ومسلمة الناس): الضعفاء والمساكين، والمسلمين من الأمة.

(ومنها التجار): المضطربين في البلدان لزيادة الأموال ونمائها.

(وأهل الصناعات): العائدين بهذه الارتفاقات على الناس من أجل صناعاتهم.

(ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة): وإنما أخرهم لضعفهم، وازدراء الأعين لهم، ولهذا سماهم الطبقة السفلى إشارة إلى ما ذكرناه من حالهم.

(وكل قد سمى الله سهمه): وكل من ذكرت من هؤلاء قد أعطاه الله تعالى حظه من ماله.

---

(1) الإيالة: السياسة، آل الملك رعيته إيالاً ساسهم، وعلى القوم أولي وإيالاً وإيالة: ولَي، والمال: أصلحه وساسه. (القاموس المحيط ص1244).

(2) أي يتجر فيه.

*(1909/5)*

---

(ووضع على حده وفريضته): يعني أنه أعطاه ما يستحقه من ذلك على قدر حاله وحاجته.

(في كتابه أوسنة(1) نبيه [صلى الله عليه وآله](2)): يعني تحديد نصيبه مذكور في الكتاب أو في السنة.

(عهداً منه عندنا محفوظاً): الضمير للرسول أي عهده إلينا، وعهده محفوظ عندنا لا نخالف في ذلك.

(فالجنود بإذن الله): بأمره في تجنيدهم وعلمه بما فيهم من النفع للإسلام.

(حصون الرعية): يلجأون إليهم عند النوائب، ويحرزون بهم أنفسهم عن أعداء الله وأعداء الإسلام.
(وزين الولاة): لما يحصل لهم فيهم من الجمال وحسن الهيئة والمنظر ونفوذ الأمر.
(وعز الدين): عن أن يضام أو تبطل قاعدة من قواعده، وتمحى رسومه وأعلامه.
(وسبل الأمن): طرق الأمان للخلق، وحراس الإسلام وحفظته.
(وليس تقوم الرعية إلا بهم): إذ لا سبيل إلى حفظ الرعية إلا بقوة الجند وشدة أمرهم وحالهم.
(ثم لا قِوَامَ للجنود): لا تنتظم أحوالهم ولا تستقيم صورتهم(3).
(إلا بما يخرج الله لهم من الخراج): فرضه من هذه الحقوق في جميع الأموال وأصنافها، ما أخرجت الأرض مكيلاً أو غير مكيل، وما وصف على هذه النقود وأموال التجارة، وغير ذلك من أصناف الأموال.
(الذي يتقوون به في(4) جهاد عدوهم): يصرفونه في السلاح والكراع(5) وآلة الحرب.
(ويعتمدون عليه فيما أصلحهم(6)): مما يحتاجون إليه من ذلك.
(ويكون من وراء حاجتهم): فيه وجهان:

---

(1) في (أ): وسنة.
(2) زيادة في شرح النهج.
(3) في (أ): صورهم.
(4) في شرح النهج: على، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب)، وقوله هنا: يتقوون، في شرح النهج: يقوون.
(5) الكراع: الخيل.
(6) في شرح النهج: يصلحهم.



---

أحدهما: أن يريد أن يكون ذلك زائداً على مقدار الكفاية لما يحصل في ذلك من التقوي؛ لأن مقدار الكفاية من غير زيادة لا تحصل به قوة ولا نهضة أصلاً.
وثانيهما: أن يريد أن يكون ذلك مهيئاً معداً، حتى إذا ندب إليه الحاجة كان حاصلاً من غير طلب.
(ثم لا قوام لهذين الصنفين): يعني الجند والرعية.
(إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكُتَّاب): فهؤلاء أيضاً الحاجة إليهم ماسة والنفع بهم كثير.
(لما يحكمون من المعاقد): يبرمون من هذه العقود من المعاوضات والأنكحة والإجارات وغير ذلك.
(ويجمعون من المنافع): بحفظ أموال الناس وضبطها حذراً من النزاع وخيفة من التظالم والتشاجر.

(ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها): يعني الحكام في حكوماتهم وأحوال الشهادات التي يسمعونها، والعمال بالإضافة إلى ما تحت أيديهم من الجبايات والخراجات العظيمة، والكتاب بالإضافة إلى كتابة الشروط وحفظها للأموال.

(ولا قِوَامَ لهم جميعاً): من جميع من(1) ذكرهِ من الجند، والرعية، والقضاة، والعمال، والكتاب.

(إلا بالتجار وذوي الصناعات): فالتجار يخوضون البر والبحر في تأدية المنافع من بلد إلى بلد، بحيث لا يمكن ذلك إلا بتصرفهم وعنايتهم، وأهل الصناعات عنايتهم وجهدهم في تحصيل هذه الارتفاقات للخلق، بحيث لا تنقام لهم صورة إلا معهم.

(فيما يجتمعون عليه من مرافقهم): يعني من تحصيل هذه المنافع بالاجتماع من جهتهم.

(ويقيمونه من أسواقهم): لأن إقامة الأسواق لا تقوم إلا بأهل الحرف والصناعات.

(ويكفونهم عن الترفق(2) بأيديهم): يعني أن أهل الصناعات فيهم كفاية في صناعتهم عن أن يكون المنتفع بها هو المتولي لعملها، وهم كفاة في ذلك.

---

(1) في (ب): ما.

(2) في (ب) وشرح النهج: من الترفق.

*(1911/5)*

---

(مما لا يبلغه(1) رفق غيرهم): يعني بحيث لا يمكن غيرهم أن يبلغ مبلغهم في ذلك، وهذا ظاهر لا يمكن دفعه، فإن أهل كل صناعة قد مهروا في تلك الصناعة، وحصَّلوا علومها والاطلاع على دقائقها بحيث لا يمكن حصول تلك الصناعة على وجهها ممن ليس من أهلها.

(ثم الطبقة السفلى): وهم(2) آخر الطبقات، وأضعفهم حالاً، وأنزلهم قدراً.

(من أهل الحاجة): يعني الفقر، فإنه هو الحامل على الحاجة لهم إلى غيرهم.

(والمسكنة): وخمول القدر وركة الهمة.

(الذين يحق رفدهم): مواساتهم وإعطائهم.

(ومعونتهم): وإعطاءهم ما يستعينون به على حاجاتهم ومصالحهم.

(وفي الله لكل سعة): يعني وفي كرم الله تعالى وفضله وسعة جوده ما يسع الكل من هذه الطبقات، ويقيم حالته ويستغني به عن غيره.

(ولكل): من هؤلاء الذين ذكرناهم.

(على الوالي حق بقدر ما يصلحه): نظر خاص معه تصلح أحواله وتستقيم أموره، وليس يخفى ما يختص كل واحد من هذه الطبقات من النظر في مصالحه، فليس النظر في أحوال العلماء وأهل

الفضل مثل النظر في أحوال الحاكة، والحدادين وسائر أهل الصناعات، وهكذا فإن أهل(3) كل طبقة يخالف نظرهم سائر الطبقات، ولا استمداد لبعضها من بعض.

(فولِّ(4) من جنودك): من رعيتك وأهل أمانتك.

(أنصحهم في نفسك): أعظمهم نصحاً لك ولمن وليته عليه، وأدخلهم في ذلك مراقبة.

---

(1) في (ب): ولا يبلغه، وأشار في الهامش إلى أنه في نسخة: مما لا يبلغه.

(2) في (ب): وهي.

(3) أهل، سقط من (ب).

(4) قبله في شرح النهج: (وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل).



---



(لله ولرسوله ولإمامك): فإن هذه الخصلة من أعظم ما يراعى في الولاة.

(وأنقاهم(1) جيباً): أكثرهم أمانة، يقال: فلان نقي الجيب إذا كان غير خائن في أموره.

(وأفضلهم(2) حلماً): أعلاهم في الحلم، وهو الانكفاف عند الغضب عن المحرمات.

(ممن يبطئ عند(3) الغضب): لا يعاجل إليه ويتأخر عنه.

(ويستريح إلى العذر): يقبله إذا قيل له، وإنما قال: يستريح إليه مبالغة في قبوله؛ كأنه بحصول الاعتذار إليه عن الخطيئة يحصل له لذة ومسرة يستريح إليهما.

(ويرأف بالضعفاء): يكون في قلبه لهم رأفة ورحمة ورقة وتعطف.

(وينبو على الأقوياء): يرتفع حكمه عليهم ولا يُهِنْ ولا يضعف من أجلهم في ذات الله تعالى.

(ممن لا يثيره العنف): يحرك غضبه غلظته وقساوة قلبه وجرز أخلاقه.

(ولا يقعد به الضعف): عن استيفاء الحقوق وإبلاغها غايتها.

(ثم الصق بذوي الأحساب(4)): خالط واتصل بأهل الرئاسة ومن كان له حسب فاخر.

(وأهل البيوتات الصالحة): أهل التقوى والصلاح والعفاف والديانة، والبيوتات: جمع بيوت جمع بيت، ولا يجمع جمع الكثرة إلا بالألف والتاء، وذلك نحو دورات وطرقات وغيره، وهو: عبارة عن القبيلة والجماعات المجتمعة.

(والسوابق الحسنة): والعنايات المرضية في الدين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ}[يونس:2]، أي سابقة حسنة، وسميت المسعاة الجميلة قدماً لما كان السبق بالقدم، كما سميت النعمة يداً لما كان إعطاؤها باليد.

(1) في شرح النهج: وأطهرهم، وكذا في نسخة (هامش في ب).

(2) في (ب): وأكثرهم.

(3) في شرح النهج: عن، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) في شرح النهج: بذوي المروءات والأحساب.

*(1913/5)*

---

(ثم أهل النجدة): أراد الصق نفسك بأهل النجدة: أهل النفاسة في الحرب.

(والشجاعة والسخاء والسماحة): وغير ذلك من الخصال المحمودة وشرائف الخصال العالية.

(فإنهم جماع الكرم(1)): منتهاه وغايته ومجتمعه.

(وشعب من المعروف(2)): وأنحاء وأودية من المعروف والإحسان.

(ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما): يشير إلى كثرة الحنو والتعطف على هؤلاء، ويأمر بإصلاح أمورهم وأحوالهم كلها، وأن ينزِّلوا منزلة الأولاد في البر والكرامة.

(ولا يتفاقمنَّ في نفسك شيء قويتهم به): ولا يعظمنَّ في نفسك ويكبرنَّ، من قولهم: تفاقم الخطب إذا عظم وكثر، فإن ذلك يقلُّ من حق من هذه حاله(3).

(ولا تُحَقِّرَنَّ لطفاً تعاهدتهم به): أي ولا تستقل شيئاً يكون عوناً لهم على أمورهم.

(وإن قلَّ): أي وإن كان حقيراً فهو عند الله كثير، وفي الحديث: ((لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، لا تحقرنَّ من المعروف ولو أن تلقى أخاك بوجه منطلق))(4).

(فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك): في كل أمورك عن اجتهاد في ذلك.

(وحسن الظن بك): ويدعوهم ذلك إلى حسن المعاملة والظنون الصادقة الحسنة فيك.

(ولا تدع تفقد لطيف أمورهم): أصغرها وأحقرها وأقلها قدراً عندك وعندهم.

---

(1) في شرح النهج: فإنهم جماع من الكرم.

(2) في شرح النهج: العرف.

(3) في (ب): حالته.

(4) الحديث بلفظ: ((لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرِّغ من دلوك في إناء المستسقى، ولو أن تكلِّم أخاك ووجهك إليه منبسط)) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص522 برقم (708) بسنده يبلغ به إلى أبي جُرَيّ الهجيمي، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 81/7-82.

*(1914/5)*

---

(اتكالاً على جسيمها): أعلاها وأعظمها، والاتكال: هو الاعتماد، وفلان يتكل على كذا أي يعتمد عليه.

(فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به): يشير إلى أن اليسير من جهة الوالي له موقع عظيم تقر به نفسه، ويطمئن إليه خاطره، وينشرح به صدره.

(وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه): يريد ولما عظم من إحسانك وجليل امتنانك محل ومكان لا غنى لهم عنه.

(وليكن آثر رءوس جندك عندك): أعلاهم حالة وأحقهم بالأثرة والنفع من عظماء الجند وأكابرهم وأهل المكانة منهم.

(من واساهم في معونته): الضمير في واساهم لمن قدم ذكرهم من أهل الشجاعة والنجدة؛ فإنه في ذكرهم وذكر حكمهم، من جعلهم أسوته فيما يستعين به على نفسه ومن تحت يده وجعل لهم قسطاً منه.

(وأفضل عليهم من جَدتِهِ): وأعطاهم مما يجد من جهة نفسه.

(بما يسعهم ويسع من وراءهم): بما يكون فيه كفاية لهم وكفاية لما يموّنون من ورائهم.

(من خُلُوفِ أهليهم): الخلوف: جمع خلف وهو: من يخلف عليه الرجل من أهله ويموِّنه.

(حتى يكون همُّهم همَّاً واحداً في جهاد العدو): يشير أنه إذا فعل هذه الآداب مع من ذكرنا حاله من أهل النجدة، لم يتفرق همهم، مرة في طلب القوت وهم العيال، ومرة في جهاد الأعداء، فإذا كُفِيْتِ عنهم هذه المؤن أقبلوا على همٍّ واحد هو جهاد عدو الإسلام ونفع الله بهم.

(فإن عطفك عليهم): بالإحسان والتفقد والتعاهد بما ذكرته.

(يعطف قلوبهم عليك): بالمودة والنصيحة وحسن الظن بك، والعطف: هو الميل بالشفقة، ويقال للناقة: تعطف على البوِّ إذا كانت مائلة(1) مشفقة عليه.

---

(1) مائلة، سقط من (ب)، والبوّ: ولد الناقة ساعة أن تضعه، أو إلى أن يفصل عن أمه.

*(1915/5)*

---

(ولا تصح(1) نصيحتهم إلا بحيطتهم): أي ولا يحصل لك التمكن من نصيحتهم لك وإشفاقهم عليك إلا بالشفقة والتحنن على ما يحوطونه ويشفقون عليه من الأهلين والأولاد.

(على ولاة أمورهم): ما يلونه من المهمات في أنفسهم.
(وقلة استثقال دولتهم(2)): يعني ولا تستثقل بقاء أيامهم ودوام أمرهم ودولتهم.
(وترك استبطاء انقطاع مدتهم): يعني واترك الاستبطاء لانقطاع أيامهم، ولا تستعجل ذلك من نفسك.
(وافسح في آمالهم): أوسع فيما يرجونه من جهتك، ويحبون وصوله من عندك.
(وواصل في(3) حسن الثناء عليهم): مرة بعد مرة؛ ليكون ذلك فضلاً على الاستمرار.
(وتعديد ما أبلى الله ذوي البلاء منهم(4)): يعني وعدد ما أعطى الله أهل الصبر منهم والابتلاء من حسن الثناء ومزيد الذكر، وجميل الأحدوثة في المواقف المشهودة والمشاهد المجتمعة.
(فإن كثرة الذكر بحسن(5) أفعالهم): لما فعلوه من بذل الأرواح والسماحة بالمهج لوجه الله تعالى.
(تهز الشجاع): تحرك نشاطه على فعل أمثال ذلك، وتحمله على الازدياد منه.
(وتحرِّض الناكل(6)): وتجرِّئ الجبان على القتال والإقدام عند الحرب، والناكل: هو المتأخر عن القتال.
(ثم اعرف لكل امرئ منهم بلاء ما أبلى): يريد أن واحداً منهم إذا فعل مكرمة في الدين من قتال عدو أو إقداماً في حرب أو إصابة في رأي أو غير ذلك من البلاءات في الإسلام الحسنة، فاعرف ذلك له في نفسك وتحققه واذكره به، وأشهر أمره في ذلك، ولا تكتم له كل خصلة محمودة فعلها.

---

(1) في (ب): ولا تحصل.
(2) في شرح النهج: دولهم.
(3) في شرح النهج: من.
(4) في شرح النهج: وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم.
(5) في شرح النهج: لحسن.
(6) بعده في شرح النهج: إن شاء الله.

*(1916/5)*



---

(ولا تضم(1) بلاء امرئ إلى غيره): يعني إذا فعله على انفراده فلا تضم غيره معه؛ فإن ذلك يوقع في نفسه ويكسر همته عن فعل أمثاله، مع ما فيه من الكذب والتقول والافتراء.
(ولا تقصرنَّ به دون غايته(2)): يريد وإذا كان يستاهل مدحاً عظيماً وإشادة في ذكره كثيرة فلا تحسده(3) ذلك، ولا تنقصه عما أعطاه الله؛ فإن ذلك عطية من جهة الله تعالى، فلا يقصر دون الوصول إلى غايتها، فإنه حقيق بذلك يستاهله.
(ولا يدعوك(4) شرف امرئ أن تعظِّم من بلائه ما كان صغيراً): يعني أن بعض الجند وإن كبر

مكانه عندك وعظم قدره في نفسك، وكانت عنايته قليلة في الدين وجهاد العدو؛ فليس كبر مكانه مما يكبِّر ما كان صغيراً من عنايته، ولا يزيد مكانه عند الله مع كونها حقيرة.

(ولا ضعة امرئ):كونه وضيعاً مستحقراً في العيون.

(إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً): فلا يدعوك صغر قدره إلى استحقار ما فعله مع عظمه عند الله وشدة حاله في موقعه الذي وقع فيه، ولهذا فإن الله تعالى لم ينس صنيع بلال وصهيب وغيرهما من الموالي، وخباب بن الأرت وكثير من ضعفاء المسلمين فيما فعلوه في بدر، وأثنى عليهم الثناء العظيم، ولم يحتقر أقدارهم في ذلك، وأعطاهم الجنة مع رضوانه الأكبر.

ولقد بالغ أمير المؤمنين في الوصية بحال هؤلاء، وأنزلهم هذه المنازل الكريمة، وما ذاك إلا لعظم(5) موقعهم في الدين، وشرف مكانتهم(6) في العناية فيه.

---

(1) في شرح النهج: ولا تضُمَّنَّ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب) وشرح النهج: ولا تقصرن به دون غاية بلاءه.

(3) في (ب): فلا تخسرِّه.

(4) في (ب) وشرح النهج: ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم ...إلخ.

(5) في (ب): لعظيم.

(6) في (ب): مكانهم.

*(1917/5)*

---

(واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب): ومن جملة ما تراعيه من الآداب أن الأمور التي تقهرك، وأمر مضلع إذا كان قاهراً لصاحبه، والضلع: العرج، فاردده إلى من هو أعلم بحاله، وأقدر على إصداره منك.

(ويشتبه عليك من الأمور): فلا تدري كيف تصيره، ولا تعلم حاله في إيراده وإصداره.

(فقد قال الله سبحانه(1) لقوم أحب إرشادهم): يشير إلى الصحابة رضي الله عنهم، فإن الله خاطبهم خطاب من يريد الرشاد بهم، حيث قال، ثم تلا هذه الآية:

({يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ})[النساء:59]: بامتثال أوامر الله والانكفاف عما نهى عنه ورسوله(2).

({وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ})[النساء:59]: يعني المتولين لإصلاح(3) أحوالكم والقيام بأموركم.

({فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ})[النساء:59]: من أمور الدين ولم تعلموا حاله وحكمه.

({فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ})[النساء:59]: تعالى(4).

({وَالرَّسُولِ}).

(فالرد إلى الله أن نأخذ بمحكم كتابه(5)): يعني إن اعتاص على أفهامكم أمر من الأمور الدينية فلم يمكنكم اقتباسه من أفهامكم واجتهاده بآرائكم الصائبة، فارجعوا به إلى كتاب الله، فإنه شامل لحكمه، لا يغيب عنه، كما قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام:38].

(والرد إلى الرسول الأخذ بسنته): يعني فإن لم تجدوه في الكتاب لغموضه ودقة استنباطه منه فردوه إلى السنة.

---

(1) سبحانه، زيادة في شرح النهج.

(2) ورسوله، سقط من (ب).

(3) في (ب): من إصلاح.

(4) تعالى، سقط من (ب).

(5) في (ب) وشرح النهج: فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه.

*(1918/5)*

---

(الجامعة): للأحكام كلها، أو الجامعة لكتاب الله تعالى(1).

(غير المفرقة): التي لا تفريق(2) فيها ولا تناقض في شيء من أحكامها لما في كتاب الله تعالى.

سؤال؛ فِيْمَ هذا التنازع الذي ذكره الله، وكيف يكون الردُّ إلى الكتاب والسنة، وهل فيه إشارة إلى بطلان العمل على القياس(3)؟

وجوابه؛ أما التنازع فيحتمل أن يكون في المقدرات التي لا مجال للقياس فيها وهي أكثر العبادات، فإن معظمها محكمات من جهة الشارع، لا اهتداء لنا إلى معانيها، ولا تجري فيها الأقيسة، ويحتمل أن يكون ذلك في جميع الأحكام كلها.

وأما كيفية الردِّ فما كان مقدراً فالحكم فيه موكول إلى الكتاب والسنة ونصوصهما، وما يجري من جهتهما، ولا أصل لها سواهما، إذ لا يعلم التقدير إلا بأمر غيبي، وليس ذلك إلا ما يكون من لفظ الشارع واقتراحه(4)، وما كان من الأحكام غير مقدر فهو موكول إليهما أيضاً، بالنظر في ظواهرهما ونصوصهما وأخذ الحكم من ذلك.

قوله: هل في الآية إشارة إلى ردِّ القياس وإنكاره؟ فهو فاسد؛ لأن العمل بالقياس مردود إلى الكتاب والسنة وأخذه منهما، فكيف يقال: إن فيها إشارة إلى بطلانه.

ثم ذكر حال القضاء وما يجب مراعاته فيه، بقوله:

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).
(2) في (ب): لا تفرق.
(3) في (ب): بالقياس.
(4) من معاني الاقتراح: ارتجال الكلام، واستنباط الشيء من غير سماع، والاجتباء، والاختيار، والتحكم. (انظر القاموس المحيط ص302).

*(1919/5)*

---

(ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك): يريد أنه لابد للناس من حاكم يفصل شجارهم، ويقطع مواد خصوماتهم، ويوّصل إلى كلٍ حقه(1)؛ لأن ترك ذلك يؤدي إلى دوام التخاصم ويثير التظالم بين الخلق، وهو من أهم قواعد الشريعة وأعلاها بالمحافظة والمراقبة، فاختر له أحق الناس بالفضل من الرعية التي تحت يدك، وأعلاهم همة في الدين، وأعظمهم:

(في نفسك): بالإضافة إليك وإلى فراستك فيه وتفكرك في حاله، لا تكليف عليك سوى ما ينقدح في نفسك من ذاك.

(ممن لا تضيق به الأمور): ينزعج ويفشل عند ازدحام الأحكام والأقضية وتشاجر الخصوم وكثرة الدعاوي فتضيق نفسه.

(ولا تمحكه الخصوم): المحك هو: اللجاج، يقال: محكته فامحك كما يقال: خاصمته فخصمته.

(ولا يتمادى في الزلة): يعني أنه إذا زلَّ فليس يتمادى فيها(2) بالإصرار، بل لا يتمالك في تداركها والرجوع عنها.

(ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه): الحصر هو: العي، وأراد أنه لا يعيا عن الرجوع إلى الحق إذا تحقق ذلك وتيقنه.

(ولا تشرف نفسه على طمع): يعني ولا تتطلع نفسه إلى تحصيل الأطماع، من قولهم: أشرفت على(3) كذا إذا كان مطلعاً عليه، والغرض أنه بعيد عن الورود في المطامع.

(ولا يكتفي): في قضائه وحكمه.

(بأدنى فهم دون أقصاه): بسابق النظر والفهم من دون أن يكون تابعاً لمنتهى ذلك وغايته بالتدبر والتفهم والإبلاغ.

(أوقفهم في الشبهات): أكثر توقفاً في الأمور المشتبهة.

(وآخذهم بالحجج): أي وأقطعهم عند ظهور الحجة الواضحة.

---

(1) في (ب): ويوصل إلى كل جهة.

(2) في (ب): بها.

(3) في (ب): إلى.

*(1920/5)*

---

(وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصوم(1)): البرم هو: السآمة والملل، وأراد أنه لا يكون سائماً بمراجعة أهل الخصومات مالاًّ لها؛ لأن ذلك يؤدي إلى تغير حاله وطيشه وفشله.

(وأصبرهم على تكشف(2) الأمور): بالملمات والدواهي العظيمة، وأراد عند ظهورها وبدوها، يقال: كشفته فانكشف وكاشفته بالعداوة إذا بدأته بها، وفي الحديث: ((لو تكاشفتم ما تدافنتم))(3) أي لو أظهر بعضكم لبعض عيبه.

(وأصرمهم عند اتضاح الحكم): أفصلهم للقضية، وأقطعهم للجاج الخصوم عند قيام البينة، ووضوح الحجة، والمعنى في هذا أنه لا يقدم من غير بصيرة، وإذا حصلت البصيرة فهو غير متردد في الإنفاذ لقضائه وحكمه.

(ممن لا يزدهيه إطراء): أي لا يستخفُّه مدح.

(ولا يستميله): إلى الحكم بالباطل.

(إغراء): من يغري، وحث من يحثه على ذلك.

(أولئك قليل): يريد المستحقين لهذه الأوصاف العاملين على ما قلته من هذه الوظائف، ولقد صدق عليه السلام في مقالته هذه، فإن أكثر أئمة الزمان يعدم فيهم مراعاة هذه الصفات فضلاً عن حكامهم وولاة أمر حكمهم.

(ثم أكثر تعاهد قضائه): تفقده مرة بعد أخرى، والمطالعة لأحكامه الصادرة من جهته وإنفاذاته، وراقبها بعين كالية.

(وأفسح له في البذل): أمدَّه(4) من جهتك بالعطاء وارزقه رزقاً غامراً له.

(ما يزيح علته): أي يزيلها عن الرشوة والتباعد عن الأطماع الباردة والتهور فيها.

---

(1) في شرح النهج: الخصم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب): وأصبرهم بكشف الأمور... إلخ.

(3) النهاية لابن الأثير 176/4 وقال في شرحه: أي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه.

(4) في (ب): أفده.

(وتقل معه حاجته إلى الناس): يريد أنك إذا أعطيته عطاء فاضلاً لم يحتج إلى أحد من الخلق في قليل ولا كثير.

(وأعطه من المنزلة لديك): من رفع المكانة وإشادة المنزلة من جهة(1) نفسك.

(ما لا يطمع فيه أحد(2) من خاصتك): الضمير في قوله: فيه له معنيان:

أحدهما: أن يكون عائداً إلى الحاكم، وأراد ما لايطمع أحد من الخاصة في السعاية به إليك، ويأمن ذلك.

وثانيهما: أن يكون عائداً إلى نفس المعطي، وغرضه وأعطه من الإنصاف ما لا يطمع فيه أحد من الخاصة فيكون له مثل حقه.

(ليأمن بذلك): ليكون على ثقة وأمن من وقوع إنصافك له ورفع منزلته عندك.

(اغتيال الرجال(3)): غدرهم ومكرهم به من حيث لا يشعر ولا يدري.

وفي نسخة أخرى: (اغتياب الرجال): أي أن يغتابوه بحضرتك وفي وجهك؛ لما يرون من شدة إنصافك له وارتفاع درجته عندك، فلا ينطقون فيه بما يكرهه منهم.

(فانظر في ذلك نظراً بليغاً): الإشارة بقوله: في ذلك يريد أمر القضاء؛ لأنه يتكلم فيه، ويحتمل أن يكون عاماً لجميع ما أسلفه من الآداب كلها، والأول هو الوجه.

(فإن هذا الدين قد كان أسيراً): يشير إلى ما كان قبل النبوة من أمر الجاهلية، يعني لا حكم له(4).

---

(1) جهة، زيادة في (ب).

(2) في شرح النهج: غيره، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) في شرح النهج: اغتيال الرجال له عندك.

(4) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 60/17 ما لفظه: ثم قال: (إن هذا الدين قد كان أسيراً) هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكامه، وأنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده، بل بالهوى لطلب الدنيا. وأما أصحابنا فيقولون: رحم الله عثمان! فإنه كان ضعيفاً، واستولى عليه أهله، وقطعوا الأمور دونه، فإثمهم عليهم، وعثمان بريء منهم. انتهى.

(في أيدي الأشرار): من حكَّام الجاهلية نحو عامر بن الظرب(1) وغيره من الكهان، نحو شق(2) وسطيح(3) وغيرهما.

(يعمل فيه بالهوى): من غير هدى من الله بنبي ولا كتاب منير من عنده.

---

(1) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني، رئيس من الجاهليين، كان رئيس مضر وحكمها وفارسها، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً، وهو أحد المعمرين في الجاهلية. (انظر الأعلام 252/3).

(2) هو شق بن صعب بن يشكر بن رهم القسري البجلي الأنماري الأزدي، المتوفى سنة55ق.هـ، كاهن جاهلي. (المصدر السابق 170/3).

(3) هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذئب من بني مازن من الأزد، المتوفى نحو سنة52ق.هـ. كاهن جاهلي غساني، من المعمرين، يعرف بسطيح، كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه. (المصدر السابق 14/3).

*(1923/5)*

---

(وتطلب به الدنيا): حطامها والرئاسة فيها نحو ما كان من حديث الحمس(1)

---

(1) ذكر ابن هشام حديث الحمس في السيرة النبوية 131/1 فقال ما لفظه: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش لا أدري أَقَبْل الفيل أم بعده ابتدعت رأي الحمس رأياً رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرمة، وولاة البيت، وقطان مكة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها ونحن الحمس، والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم، بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم. انتهى، ثم استطرد الكلام في ذلك.

(انظره في المرجع السابق131/1-134 تحقيق عمر محمد عبد الخالق (ط1) 1420هـ/1999م دار الفجر. القاهرة).

، وما كان من وضع القيافة في بني مدلج، ونحو البحيرة والسائبة والوصيلة(1) والحامي(2) وغير ذلك من الجهالات والضلالات، حتى جاء الله بالنور والضياء بالرسول والقرآن، فأمات هذه البدع ومحاها، وأحيا ما اندرس من السنن وأعلاها.

ثم ذكر حال العمال على جباية الخراجات، بقوله:

---

(1) وقد ذكر الله عز وجل ذلك في سورة المائدة الآية103 فقال سبحانه: {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون} صدق الله العظيم. قال العلامة المفسر جار الله الزمخشري رحمه الله في تفسيرها في الكشاف717/1 ما لفظه: كان أهل الجاهلية إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعيي لم يركبها، واسمها البحيرة، وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبداً قال: هو سائبة فلا عضل بينهما ولا ميراث، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: من حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى، ومعنى {ما جعل} ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك، ولكنهم بتحريمهم بما حرموا {يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون} فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارها. انتهى.

(2) والحامي، سقط من (ب).



(ثم انظر في أمور عمالك): جباة الخراج إليك والكتَّاب وأهل الديوان وحفَّاظ الجيوش، ومن كان مستعملاً على عمل من الأعمال لك.

(فاستعملهم اختياراً): من جهة نفسك لما ترى من صلاحيتهم لتلك الأعمال ومطابقتهم لإتقانها وعملها.

(ولا تولهم محاباة): مصانعة لهم ومداهنة وميلاً عن الحق في ذلك.

(وأثرة): الأثرة هي: الاسم من الاستئثار، وأراد وإيثاراً لهم على ذلك العمل من غير استحقاق، ومحبة

لا ستبدادهم به.

(فإنهم أجماع(1) من شعب الجور والخيانة): الأجماع جمع جمع، ويروى: (جماع): أخذاً له من قوله عليه السلام: ((الخمر جماع الآثام(2)))، وأراد أنهم مجموعون من شعب الجور والخيانة، يشير بذلك إلى أنهم مطبوعون على ذلك مجبولون عليه، فما أحوجهم إلى المراقبة لأحوالهم والمطالعة(3) لتصرفاتهم.

(وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء): فاختر منهم وتحرى(4) ممن(5) كان له تجربة في ذلك وحياء، فلعل من يكون بهذه الصفة بمنعة عن التهور في المطامع والوقوع في المآثم بالخيانة، والإقدام على الأمور المحظورة.

(من أهل البيوتات الصالحة): ممن يشار إليه بالصلاح من القبائل وأهل المنازل الرفيعة.

(والقدم في الإسلام المتقدمة): ومن له عناية في الدين وقدم راسخة .

(فإنهم أكرم أخلاقاً): عن أن تتطرق إليهم التهمة.

(وأوضح أعراضاً(6)): عرض واضح إذا كان نقياً، وأراد أنهم أبعد عن الخيانة فيما اعتملوا عليه من الولايات.

---

(1) في شرح النهج: فإنهما جماع ...إلخ.

(2) في (ب): الإثم.

(3) في (ب): والمراقبة.

(4) في نسخة: وتوخَّ (هامش في ب).

(5) في (ب): من.

(6) في شرح النهج: وأصح أعراضاً.

*(1926/5)*

---

(وأقل في المطامع إسرافاً(1)): أراد وإن بدا منهم يوماً مطمع من المطامع فهو قليل لا إسراف فيه، لما يحذرون من اللوم ويخافون من الفضيحة.

(وأبلغ في عواقب الأمور نظراً): يعني وأنظارهم فيما يؤمل من العواقب بالغة في الجزالة والحصافة(2) مبلغاً عظيماً.

(ثم أسبغ عليهم الأرزاق): أفضلها على مقدار كفايتهم وأوسعها عليهم.

(فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم): في القيام بأعمالهم التي يختصون بها وزيادة في عظم حالهم؛ لما يحصل بالقوة من الشيار(3) والأُبهة.

(وغنى لهم(4) عن تناول ما تحت أيديهم): ويكون فيه استغناء عن الخيانة فيما هم فيه؛ لأن أكثر ما تحصل به الجرأة على الخيانة لمن هذه حاله، هو الفقر إليه والحاجة الماسة من أجله.

(وحجة عليهم إن خالفوا أمرك): ومبالغة في وجوب الحجة عليهم مع المخالفة فيما أؤتمنوا عليه من ذلك، إذ لا عذر لهم في ذلك مع الغنى والتمكن والبسطة في الرزق.

(وثلموا(5) أمانتك): بالخيانة التي هي خلاف الاستقامة، والتي هي ثلم في الدين والأمانة.

(ثم تفقد أعمالهم): راقب ما وضعت لهم من تلك الأعمال وأرصدتهم لحفظها وأخذها.

(وابعث العيون): الحراس وأهل الحفظ.

(من أهل الصدق والوفاء(6)): ممن لا يكذب فيما ينقله إليك من أفعالهم، ولا يخون عهداً فيما قلته له من أجلهم، وعهدته إليه من إبلاغ أسرارهم إليك.

---

(1) في شرح النهج: إشرافاً.

(2) في (ب): والحصانة.

(3) في (أ): السيار، بدون تنقيط، وفي (ب): الشنار، وهو تصحيف، والشيار بالياء: الحسن، والجمال، والهيئة، واللباس، والزينة. (انظر القاموس المحيط ص539).

(4) لهم، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(5) في (ب) وشرح النهج: أو ثلموا.

(6) في (ب) وشرح النهج: من أهل الصدق والوفاء عليهم.

*(1927/5)*

---

(فإن تعاهدك(1) في السر لأمورهم): تفقدك لها في الخفية والاطلاع عليها سراً.

(حدوة لهم): بعث لهم عليها وحث على حفظها وصيانتها.

(على استعمال الأمانة): التي تحت أيديهم لك واستصحابها ومدوامتها، وكفاً لهم عما يخطر لأحد منهم على باله من خلاف ذلك.

(والرفق بالرعية): أي وحث على الرفق بالرعية؛ لأن أحوالهم إذا كانت على هذه الهيئة من المراقبة(2) كان ذلك أدعى إلى ما ذكره، وأبعد من الخيانة وعن تطرق التهمة.

(وتحفَّظ من الأعوان): من الخدم والجند والكتاب وسائر أعوان الدولة، وغرضه أنه يملك حذره في ذلك ويراقب أحوالهم.

(فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة): فيما اعتملته عليه من العمالات، أو في غيرها مما يتعلق بالدولة والرعية في مال أو خان في أي وجه من الخيانات.

(اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك): يشير إلى أن العمل في ذلك على سابق الرأي، وأول الظن(3) لا وجه له؛ لأنه يطرق خللاً عظيماً، ويؤدي إلى بطلان النظام واختلال أحوال العمال، ولابد في ذلك من غلبة ظن قوية تكون حاصلة من جهة العيون بأخبار مختلفة، بحيث لا يتطرق إليهم التواطؤ في ذلك.

(اكتفيت بذلك شاهداً): على صحة ما جنى، ولم يراع قيام البينة العادلة وتعديل الشهادة عند الحاكم، بل ذلك يكون(4) كافياً في الإقدام على الأدب عليه.

(فبسطت عليه العقوبة): أذقته وبالها.

(في بدنه): بالضرب وصبِّ جلدات النكال عليه.

(وأخذته بما أصاب من عمله): يعني أنك تخمِّن الأمر في مقدار ما خان في تلك الولاية وأتلف من أموال الله، فتأخذه به وتقتطعه من ماله.

---

(1) في نسخة: فإن بتعاهدك (هامش في ب).

(2) في (ب): في المراقبة.

(3) في (ب): وأول النظر.

(4) في (ب): بل يكون ذلك.

*(1928/5)*

---

ويحكى أن عمر بن الخطاب استعمل خالد بن الوليد في بعض الولايات، فاتهمه في الخيانة(1) فيها، فضرب بسهام الرأي في ذلك، فرأى أنه قد استغرق في تلك الولاية نصف ماله فقاسمه في نصفه، حتى لقد أخذ منه فردة نعله ونصف عمامته(2)، حراسة لأموال الله عن الإهمال، ومراقبة للولاة بالأعين الكالية.

(ثم نصبته): بعد ذلك.

(بمقام المذلة): الصغار والمهانة.

(ووسمته بالخيانة): علمته للناس بأنه خائن في عمالته حتى لا يعتمل على عمل قط، ولا يؤمن في قليل ولا كثير.

(وقلدته عار التهمة): جعلته بمنزلة القلادة في عنقه، وكل ذلك مبالغة في الأمر، وحفظ للدولة ومراعاة لأحوال السياسة والإيالة.

ثم عقب ذلك بذكر الخراج والتعهد لأحواله، بقوله:

(وتفقد أمر الخراج): وهو عبارة عن جميع الأموال المأخوذة من الخلق من أموال المصالح وغيرها،

ثم هو ضربان:

فالضرب الأول من ذلك:

---

(1) في (ب): بالخيانة.

(2) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 180/1 ما لفظه: عزل عمر خالداً عن إمارة حمص في سنة سبع عشرة، وأقامه للناس، وعقله بعمامته، ونزع قلنسوته عن رأسه وقال: أعلمني من أين لك هذا المال؟ وذلك أنه أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم، فقال: من الأنفال والسهمان، فقال: لا والله لا تعمل لي عملاً بعد اليوم، وشاطره ماله، وكتب إلى الأمصار بعزله، وقال: إن الناس فتنوا به، فخفت أن يواكلوا إليه، وأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع. انتهى.

*(1929/5)*

---

أموال المصالح وهي الفيء، والأموال المضروبة(1) للخراج، والجزية، واللقط، والأموال التي لا مالك لها، فهذه كلها مصروفة في مصالح الدين، في العلماء، وإصلاح الطرقات، وبناء المساجد، وأرزاق القضاة، وما تكون مصلحته راجعة إلى جملة الدين، وهل يعطى الفقير الذي لا مصلحة فيه؟ فيه تردد للنظر، وقد كان ابن عمر يعطيه.

الضرب الثاني من ذلك:

أموال الفقراء وهي عبارة عن الزكوات، والفطر، والكفارات، والنذور المطلقة، فهذه لا يجوز صرفها في المصالح، وإنما هي مصروفة في الأصناف الثمانية التي ذكرها الله في كتابه، ولها أحكام مخصوصة ليس هذا موضع ذكرها.

(بما يصلح أهله): بما يكون نظراً في صلاح أهله، وتعهد لأحوالهم من أجله.

(فإن في(2) صلاحه): بالحفظ والصيانة.

(وصلاحهم): بالتخفيف(3) والرفق في أحوالهم.

(صلاحاً لمن سواهم): من الجند والديوان بحفظ بيضة الإسلام.

(ولا صلاح لمن سواهم): من الجند والضعفاء والمساكين وغيرهم من أهل الخراج.

(إلا بهم): بسبب قوتهم وإصلاح أحوالهم(4).

(لأن الناس كلهم): من أجناد الإسلام وأعوانه وسائر الفقراء والمساكين وغيرهم ممن له حظ في الخراج ونصيب فيه.

(عِيَالٌ على الخراج): ثقل عليه وَكلٌّ.

(وأهله): ومن يؤخذ الخراج منه.

(وليكن نظرك في عمارة الأرض): يعني اجعل أهم أنظارك في عمارة البلدان والأراضي بالقوة لأهلها.

(أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج): في تحصيله وكثرته.

(لأن ذلك لايدرك إلا بالعمارة): يعني أن كثرة الخراج وقوته لا يدرك إلا بالعمارة للأرض(5).

---

(1) في (ب): المصروفة.

(2) في، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(3) في (ب): بالتحقيق.

(4) في (ب): حالهم.

(5) في (ب): بعمارة الأرض.

*(1930/5)*

---

(ومن طلب الخراج من غير(1) عمارة أخرب البلاد): يريد أن الوالي إذا كان همه تحصيل الخراج على أي وجه كان من غير نظر في عمارة الأراضي وتقويتها، فإن ذلك إخراباً للأرض وإفساداً لها؛ لأنهم إذا كانوا يطلبون الخراج من أهله من غير عمارة ضعفوا بأخذ أموالهم وهانوا عن عمارة الأرض، فيكون ذلك سبباً في خرابها لا محالة، وهذه عادة كثير من الظلمة وأهل الجور، يطلبون ما في الأيدي(2) من غير التفات حتى تهلك الأرض، وتبطل عمارتها، ويهلك أهلها فقراً وهزالاً بما يلحقهم من الظلم في ذلك.

(وأهلك العباد): بالظلم والجور.

(ولم يستقم أمره إلا قليلاً): لأمرين:

أما أولاً: فلإسراع الله تعالى له بالعقوبة وتعجيل النقمة بما كان منه من الظلم والجور.

وأما ثانياً: فلأن قوامه ودوامه إنما هو بما يحصل من الخراج وقوة أهله، فإذا بطل الخراج وضعف أهله فلا بقاء له بحال، فلهذا قال: لم يستقم أمره إلا قليلاً.

(فإن شكوا ثقلاً): يعني الموظف(3) عليهم الخراج من الرعية زيادة تثقل عليهم أداؤها وتضعف أحوالهم.

(أو علة): أصابت الزرع من المصائب المتلفة له والناقصة لأحواله كالبرد والدود أو غير ذلك من الآفات.

(أو انقطاع شرب): يريد فيما كان شربه بالعيون والآبار فينقطع الماء عنه.

(أو بالّة): يعني(4) إما جعله كناية عن الماء القليل قدر ما يبل، ولهذا يقال: لا تبل فلان عندي

بالَّة أي لا يصيبه مني خير ولا ندى، وإما أن يريد السحب البالَّة، والأمطار تكون قليلة، فيضعف الزرع لأجلها.

---

(1) في شرح النهج: بغير، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(2) في (ب): ما في أيدي الناس.
(3) أي المقدر عليهم الخراج.
(4) يعني، سقط من (ب).

*(1931/5)*

---

(أو إحالة أرض): تحولّها عما كانت عليه من الصلاح للزراعة، ثم فسر ما حولها غير ذلك بقوله:
(اغتمرها غرق): أي علاها ودام عليها حتى أهلكها.
(أو أجحف بها عطش): أذهبها وأزال ما زرعته.
(خففت عليهم(1)): الخراج المطلوب منهم ورفعته.
(بما ترجو أن يصلح به أمرهم): يريد أن التخفيف على قدر الحال في ذلك، فإن اقتضى رفع الكل أو رفع البعض كان ذلك على قدر ما يراه الوالي مصلحاً لأحوالهم وأمورهم.
(ولا يثقلنَّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم(2)): أراد ولا يصعبنَّ عليك إزالة ما تزيله عنهم من المطالب وتخففه عنهم من الغرامات والمؤن.
(فإنه ذخر): كأنك ذخر ته عندهم وخبيَّة خبأتها في أيديهم.
(يعودون به عليك): يرجعون بها إليك، وينفقونها:
(في عمارة بلادك): إصلاح أحوالها وتهيئتها للزراعة والقوة.
(وتزيين ولايتك): لأن البلاد إذا كانت عامرة وأهلها في دعة ورخاء وبُلَهْنِيَةٍ(3) من العيش وأمن من السبل؛ فإن ذلك كله يزين الوالي ويحسِّن ظن الخلق فيه.
(مع استجلابك حسن ثنائهم): بما فعلته معهم من التخفيف والرفق.
(وتبجَّحك باستفاضة العدل عليهم(4)): يعني وظهور ما يظهر من جهتك من النشاط والفرح بما أسبلته عليهم من ستر عدلك.
(معتمداً): فيما فعلته من رفع المطالب وإزالة الغرامات.
(أفضل(5) قوتهم): أعظم ما يتقوون به ويكون سبباً في قوة أمرهم.

---

(1) في شرح النهج: عنهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب): عليهم.
(3) هو في بُلَهْنِيةٍ من العيش بضم الباء أي سعة ورفاهية. (انظر القاموس المحيط ص1524).
(4) في (ب) وشرح النهج: فيهم.
(5) في شرح النهج: فضل.

*(1932/5)*

---

(بما ذخرته(1) عندهم من إجمامك لهم): خبأته عندهم من ترفيهك وإراحتك لهم عن هموم المطالب وعموم الغرم، يقال: فرس جامٌ إذا كان متروكاً عن السير(2)، مقيماً على الراحة.
(والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم): وواثقين بما ألفوه من بسط العدل من جهتك إليهم.
(في رفقك(3) بهم): وبالرفق الواصل إليهم من عندك والرحمة لهم في ذلك، فطابت خواطرهم إلى ذلك، واطمأنوا إليه، وانشرحت به صدورهم.
(فربما حدث من الأمور): العظيمة والنوائب الهائلة.
(ما إذا عوَّلت فيه عليهم): الذي إذا طلبتهم لأجله من الأموال العظيمة والخراجات الكثيرة.
(من بعد): يعني من بعد ما قد فعلت ما فعلته من التخفيف والرفق.
(احتملوه طيبة أنفسهم به(4)): حملوه ودفعوه على طيب من أنفسهم وثلج من خواطرهم، لا يتضررون به لقوتهم وعمارة أوطانهم.
(فإن العمران محتمل ما حمَّلته): يريد أن البلدان والأقاليم وسائر الأقطار كلها إذا كانت قوية عامرة، فهي محتملة لما حمَّلتها من الخراجات الواسعة لا تحتفل(5) بها، ولا تشغر(6) بما دفعوه من ذلك.
(وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها): الإعواز: الفقر والإملاق، وأراد أنهم إذا كانوا فقراء عوزين محتاجين ضعفوا عن عمارة الأرض، فلهذا كان ذلك سبباً في خرابها ودمارها.
(وإنما يعوز أهلها): يكون السبب في فقرهم.

---

(1) في شرح النهج: ذخرت، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).
(2) عن السير، سقط من (ب).
(3) في (ب) وشرح النهج: ورفقك بهم.
(4) به، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(5) أي لا تبالي.
(6) أي ولا تنقص، من قولهم: شغر السعر إذا نقص.

(لإسراف أنفس الولاة على الجمع): لتجاوزهم الحد في الجمع والادخار للأموال وكسبها من غير حلها، هذا إذا كانت الرواية بالسين المنقوطة(1) من أسفلها، فأما من رواه بالشين منقوطة(2) من أعلاها، فالغرض إقبالهم على جمع الأموال، من قولهم: فلان مشرف على أمره إذا كان مقبلاً عليه بإصلاحه.

(وسوء ظنهم بالبقاء): يعني أنهم موطنون نفوسهم على الزوال والذهاب فلا يلتفتون إلى العاقبة للأمر في ذلك.

(وقلة انتفاعهم بالعبر): بالمواعظ، هذا على رواية من رواه بالعين المهملة، فأما(3) من رواه بالغين المنقوطة(4)، فالغرض به تغيرات الدهر وحوادثه أي لا يحتفلون بها، ولا يكنزون(5) من أجلها، ولقد بالغ في تعليم كيفية أخذ الخراج من أهله مخافة تجرِّي(6) الظلم في حق الخراج، ومحافظة على الترفيه بالرعية والرفق بأحوالهم، رعاية من كان همه خوف الله وإشادة قوانين العدل، ووضع موازين القسط، ورفقاً بالأمة وحماية لهم.

ثم أردف ذلك بذكر أحوال الكتَّاب، بقوله:

(ثم انظر حال(7) كتَّابك): يعني الذين يكتبون الرسائل ويصدرون الأجوبة، مما يرد من العمال والأسرار وأحوال الحوادث في الأقاليم والبلدان وغير ذلك، مما يستدعيه أمر الكتابة.

(فولِّ على أمورك): فيما يكون متعلقاً بها.

(خيرهم):أفضلهم في الدين والتقوى.

---

(1) في (أ): منقوطة.

(2) أي لإشراف.

(3) في (أ): وأما.

(4) أي بِالْغِيَرِ.

(5) في (ب): ولا يكترثون.

(6) في (ب): مخافة أن يجري ...إلخ.

(7) في (ب) وشرح النهج: في حال.

(واخصص رسائلك(1) التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك): الكيد هو: الخدع، والمكايد: المخادع والمراصد، ومنه قولهم: عرف فلان ما يكاد به أي ما يخدع به ويرصد له، وأراد ها هنا تخصيص الرسائل التي تُضَمِّنُها مراصد الحرب، ومكايدها وأسرارك التي تضمرها لمصالح دولتك وإصلاح أمرك.

(بأجمعهم لوجود(2) صالح الأخلاق): بالذي تجتمع فيه الخلائق المرضية والشمائل الشريفة.

(ممن لا تبطره الكرامة): يخرج بها عن الحد، والبطر: المرح وشدة الاختيال.

(فيجترئ بها عليك): فيكون سبباً للإقدام في الأمور المكروهة عليك.

(في خلاف لك): فيما يخالفه(3) من أمرك الذي أمرته به.

(في ملأ): في مجمع من(4) الخلق ومحفل من محافلهم.

(ولا تقصِّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك): يعني ولا يتهاون بأمرك تقصيراً منه وتغافلاً عن إيراد المكاتبات الواصلة من العمال؛ لأن في تأخيرذلك ضرراً عظيماً وخللاً في الدولة بإغفال ذلك.

(وإصدار جواباتها على الصواب عنك): من غير مخالفة لرأيك فيما يصدره من الأجوبة.

(وفيما يأخذ لك): على الرعية والولاة من الحل والعقد والقبض والبسط.

(ويعطي عنك(5)): من الجوائز والإنعامات والذمم والعهود والأمانات، فإن الكتاب هم حفظة الأسرار، وبأيديهم ملاك الأمور ومقاليد الدولة.

(ولا يُضْعِفُ عقداً اعتقده لك): ولا يهوِّن ما أخذ(6) لك من العقود، ويبلغ فيها كل مبلغ من تأكيدها والتحفظ فيها والمبالغة في وثاقها.

---

(1) في (ب): برسائلك.

(2) في (ب): بوجوه.

(3) في (ب): يخالفك.

(4) من، سقط من (ب).

(5) في شرح النهج: منك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(6) في (ب): أخذه.

*(1935/5)*

---

(ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك): وإذا عقد عليك عقداً من ذمة أو وفاء بأمر، أو غير ذلك فلا يتأخر عن إطلاقه لمن هو له، فأنت أحق الناس بالوفاء بالعهد وأصونهم للميثاق.

(ولا يجهل مبلغ قدر(1) نفسه في الأمور): يعني وليكن عالماً بمنتهى قدره في الأمور فيما يأتي منها وما(2) يذر، وفيما يكون له(3) التصرف فيه، وفيما لا يكون كذلك.

(فإن الجاهل بقدر نفسه): [في الأمور](4) الذي لا يعرف حالها في الإقدام والإحجام والأخذ والترك.

(يكون بقدر(5) غيره أجهل): لأن نفسه أخص، فإذا جهلها فغيرها أدخل لا محالة في الجهالة، ومهما جهل حالك لم يكن داخلاً في مرادك ولا كان على وفقه، وفي ذلك ما لا يخفى فساده وضرره عليك.

(ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك): الفراسة في الشيء هي: الخبرة بحاله والانتقاد لأمره، يعني وإذا اخترت واحداً منهم للكتابة فلا تختره على تفرسك في حاله.

(واستنامتك): الاستنامة: السكون والاطمئنان إلى الشيء، يقال: استنام إليه إذا سكن واطمأن، ومنه النوم.

(وحسن الظن منك): بأحوالهم وما يبدونه من حسن سيرهم وطرائقهم.

(فإن الرجال يتعرفون فراسات(6) الولاة بتصنعهم): التصنع: تكلف حسن السمت وإظهار جميل الحال، وغرضه أن الرجال يزورون الولاة ويتطلعون على خلائقهم بما يظهرونه لهم من حسن الهيئة في أول الأمر بإظهار السمت الحسن.

(وحسن خدمتهم(7)): ليخبروا كنه حالهم.

---

(1) قدر، سقط من (ب).

(2) ما، زيادة في (ب).

(3) له، سقط من (ب).

(4) زيادة في (ب).

(5) في (ب): لقدر.

(6) في شرح النهج: يتعرضون لفراسات.

(7) في شرح النهج: وحسن حديثهم.

*(1936/5)*

---

(وليس وراء ذلك من النصيحة شيء والأمانة(1)): وليس يفعلونه نصحاً وإنما غرضهم الاختبار، فلا ينبغي للوالي أن يغتر بمثل ذلك ولا ينخدع به.

(ولكن) استدراك عما(2) نفاه أولاً.

(اختبرهم بما(3) ولوا للصالحين قبلك): يعني وإذا أردت الامتحان الصادق في حقهم فامتحنهم بما قد

كانوا تولوا لأهل الصلاح قبل دولتك.

(فاعمد): في التولية والاستخدام.

(لأحسنهم(4) في العامة أثراً): لمن كانت آثاره حسنة جميلة، محمودة طرائقه، وإنما قال: في العامة؛ لأنهم لسان العالم وعنهم حصول الخبرة الصادقة والفراسة المؤكدة .

(وأعرفهم بالأمانة وجهاً): وأكثرهم علماً ومعرفة بالوجوه التي تحتملها الأمانات وتؤدى عليها(5).

(فإن ذلك): يريد ما قدمه من حسن النظر والتفرس في أحوال الكتَّاب والتعهد لأحوالهم كلها.

(دليل على نصيحتك لله): بامتثالك لأمره، وحسن رعايتك لخلقه(6) واحتياطك في ديانتك، وبلوغك أقصى الجهد في رعاية أمورهم.

(ولمن وُلِّيت أمره): ولإمامك الذي مكَّنك من هذه الولاية، فعملت فيها على ما يريده منك ويرجوه من حالك.

(واجعل لرأس كل أمر من أمورك): يحتمل أن يكون هذا عاماً في جميع أحوال الدولة، وأراد أن إيالات الدولة كثيرة وأمورها متشعبة، فاجعل على كل نوع من أنواعها من يصلحه ويقوم به، ويحتمل أن يكون خاصاً في الكتَّاب، وغرضه أن أنواع الكتابة كثيرة منتشرة فاجعل على كل نوع من أنواعها ومرتبة من مراتبها.

(رأساً منهم): يعني الكتَّاب يدري بأحوالها ويتعهد أمورها.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء.

(2) في (ب): لما.

(3) في (ب): عما.

(4) في (ب) وشرح النهج: لأحسنهم كان في العامة أثراً.

(5) في (ب): إليها.

(6) في (ب): لحقه.

*(1937/5)*

---

(لا يقهره كبيرها): فيضعف عن إتقانه وضبطه.

(ولا يتشتت عليه كثيرها): فيغيب عنه ويغفل عن مهماته ويتقاصر عن إدراكه.

(ومهما كان في كتَّابك من عيب فتغابيت عنه): يريد وتحقق أنه مهما اطلعت على عيب ومكر في كتَّابك، فتغافلت عنه وأغضيت عن إنكاره وتغييره:

(أُلْزِمْتَه): كان الله هو الملازم لك والآخذ عليك في ترك إنكاره وتغييره.

ثم أخذ في ذكر الوصية بالتُّجّار، بقوله:

(استوص بالتجَّار وذوي الصناعات): مفعولا استوص محذوفان تقديرهما: استوص بالتجار(1) نفسك فيهم خيراً، وفي الحديث: ((استوصوا بالنساء خيراً، فإنهنَّ عوارٍ عندكم))(2).

(وأوص بهم خيراً): أي وأوص الولاة بهم خيراً.

(المقيم): يريد من التجُّار؛ لأن منهم من يقيم في بلده لا يخرج منها أبداً، وإنما تقلباته كلها فيها إيثاراً للدعة وشهوة للراحة وعجزاً عن الأسفار.

(منهم والمضطرب بماله): المختلف بالأموال في الأقاليم والأقطار لطلب الأرباح والفوائد.

(والمترفق بيديه(3)): الارتفاق باليد هو: العمل بها والانتفاع بسببها؛ لأن أكثر أعمال المحترفين من ذوي الصناعات تكون بأيديهم.

---

(1) قوله: بالتجار، زيادة في (ب).

(2) الحديث هو جزء من خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع أورده ابن هشام في السيرة النبوية 275/4-276، وابن أبي الحديد في شرح النهج126/1-127، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 516/1 إلى آداب الزفاف 149، وقوله هنا: ((عوار)) في المصادر المذكورة: ((عوان))، وأشار في هامش سيرة ابن هشام إلى أن في بعض الروايات: ((عوار)) بالراء المهملة جمع عارية.

(3) في شرح النهج: ببدنه.

*(1938/5)*

---

وفي نسخة أخرى: (ببدنه) بالنون، وهو أن يؤجر نفسه للمنافع العظيمة كالرعاية وحفظ الأموال وغير ذلك مما لايكون فيه عمل باليد.

(فإنهم مواد المنافع): يمدون الخلق بما يأتون به من البلدان، ويكتسبونه(1) من أقاصي الأرض وأطرافها.

(وأسباب المرافق): الانتفاعات كلها.

(وجلاَّبها من المباعد): والجالبون لها من الأماكن البعيدة.

(والمطارح): جمع مطرح وهو: المكان البعيد، واطَّرحه أي أبعده، والطرَحُ بالتحريك: البعيد من الأمكنة، قال الأعشى:

تبتني الحمد(2) وتسمو للعلى

وتُرَى نارك من ناء طَرَحْ(3)

أي بعيد.

(في برك وبحرك، وسهلك وجبلك): وإنما أضاف هذه الأمور إليه لاستيلائه عليها وكونها في ولايته وتحت أمره وحكمه، فلهذا أضافها إليه.

(وحيث لا يَلْتِئِمُ الناس لمواضعها): يعلمون بها فيؤدونها ولكنهم يتصلفون(4) على أدائها وتحصيلها، وفي نسخة أخرى: (يلتئم(5) الناس): أي يجتمعون على أدائها وتحصيلها.

(ولا يجترئون عليها): لما في أماكنها من المخافة والوحشة، وطرو الآفات الكثيرة، فلهذا تأخروا عن أدائها، واجترى التجار عليها طلباً للفوائد.

---

(1) في (ب): ويكتسبونها.

(2) في (ب): للحمد.

(3) البيت في لسان العرب 578/2 ورواية الشطر الأول فيه:

تبتني الحمد وتسمو للعلى

وقد أصلحته منه، وهو في النسخ: يبتني الحمد ويسمو للعلى

(4) الصلف: مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً فهو رجل صلف وقد تصلَّف. (مختار الصحاح ص368).

(5) وكذا في شرح النهج، أي يلتئم.

*(1939/5)*

---

(فإنهم سلم لا تُخاف بائقته): يعني التجار سلم إما ذوو سلم أي مسالمة، وإما على جهة المبالغة كقولك: رجل رضى وعدل، لكثرة ما يحصل منهم من المسالمة، وكف الشرور من جهتهم، والبائقة: الداهية، فإنها مأمونة من نفوسهم، لا يخشاها أحد من جهتهم.

(وصلح لا تخشى غائلته): إما وذوي(1) صلح، أو على طريق المبالغة، والغائلة: الشر والخديعة والمكر.

(وتفقد أمورهم بحضرتك): يريد في البلد التي أنت فيها.

(وفي حواشي بلادك): أطرافها ونواحيها البعيدة، والحاشية هي: طرف الثوب وجانبه.

(واعلم –مع ذلك–): الذي أمرتك به وحققته لك من حالهم، وما ينبغي من مراعاة جانبهم من الرحمة والشفقة عليهم.

(أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً): على نفسه وأهله وولده وغيرهم.

(وشحاً قبيحاً): بخلاً لا يمكن وصفه.

(واحتكاراً للمنافع): ما ينتفع به الناس في الأقوات نحو الحنطة والشعير والزبيب والتمر وغير ذلك من أنواع المأكولات، يدخرونها من أجل التربص(2) لغلاء أثمانها، وكلامه ها هنا دال على أن الاحتكار كما يكون في الأقوات فقد يكون في غيرها كالزعفران والفلفل وغير ذلك؛ لأنه عمم المنافع من غير تخصيص لبعضها عن بعض، وأن حكم الاحتكار جار فيها كلها.

(وتحكماً في البياعات): لا يريد أن يبيع شيئاً من هذه إلا بحكمه وهواه من غير مراقبة للدين ولا مراعاة لأمر الله في ذلك.

(وذلك باب مضرة(3)): الإشارة إلى الاحتكار لما فيه من المضرة بالمسلمين وسائر الخلق.

(للعامة): يشير إلى عموم مضرته بالخلق أجمع، لا يختص واحداً دون واحد.

---

(1) في (ب): ذوي.

(2) التربص: الانتظار، والمتربص: المحتكر. (مختار الصحاح ص229).

(3) في (ب): باب مضر.

*(1940/5)*

---

(وعيب للولاة(1)): مدخل للطعن عليهم عظيم لما يلحق بسببه من المضرة.

(فإن رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](2) منع منه): يشير إلى قوله عليه السلام: ((من احتكر أربعين يوماً فقد برئ الله منه))(3)، وفي حديث آخر: ((المحتكر ينتظر اللعنة، والمنفق ينتظر الرحمة))(4).

واعلم: أن الاحتكار إنما يكون حراماً على فاعله، مستحق للنكير، باعتبار أمور ثلاثة:

أما أولاً: فبأن يكون زائداً على قوته وقوت من تحت يده.

وأما ثانياً: فبأن يكون بالمسلمين إليه حاجة ماسَّة.

وأما ثالثاً: فبأن لا يكون موجوداً إلا معه، فإن كان يوجد معه ومع غيره وبذله غيره حتى استغني عنه، فلا يكون بذلك محتكراً، فإن امتنعوا كلهم كان حكمهم حكم(5) واحد(6) في الإنكار والوعيد.

---

(1) في شرح النهج: على الولاة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب)، وبعده في شرح النهج: فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ...إلخ.

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) الحديث بلفظ: ((من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه)) رواه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام (تحت الطبع بتحقيق الأستاذ العلامة عبد الله حمود العزي) ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام في تتمة الاعتصام 54/4 وعزاه إلى أصول الأحكام، وأمالي الإمام أحمد بن عيسى، والشفاء وقال: وأخرجه رزين، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 36/8.

(4) أوله وهو قوله: ((المحتكر ينتظر اللعنة)) هو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 661/8 وعزاه إلى المعجم الكبير للطبراني427/12، ومجمع الزوائد للهيثمي191/9، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي 425/9 وإلى غيرها.

(5) حكم، سقط من (ب).

(6) في (ب): كان حكمهم واحداً.

*(1941/5)*

---

(وليكن البيع سمحاً(1)): من غير غلاء فيضر بالمشتري، ولا رخص فيضر البائع.

(بموازين قسط وعدل(2)): لاحيف فيها بزيادة ولا نقصان.

(وأسعار): وجري أسعار.

(لا تجحف بالفريقين من البائع والمشتري(3)): أي لا تضر بهما جميعاً، وإنما بالغ في أمر البيع بالكيل والوزن، وحرم الاحتكار؛ لأن الله أنزل فيهما سورة وافتتح أولها بالويل، حيث قال: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}[المطففين:1]، وعقب ذلك بالوعيد العظيم بالبعث بقوله: {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ}[المطففين:4]، وذكر اليوم الهائل بقوله: {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}[المطففين:5]، وهو يوم القيامة، وذكر المحاسب بقوله: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[المطففين:6].

(فمن قارف حُكْرَةً): خالطها ولابسها، والمقارفة: المخالطة.

(بعد نهيك إياه): بعد أن سمع المنع في ذلك من جهتك وبلغه ذلك ليتحقق جرمه.

(فنكِّل به): اجعله نكالاً وعبرة لغيره يُتَمَثَّلُ بها وتكون وازعة له.

(وعاقب): أدِّب وعزِّر.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: وليكن البيع بيعاً سمحاً.

(2) في شرح النهج: بموازين عدل.

(3) في شرح النهج: والمبتاع، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(من غير إسراف): تجاوز حد(1) في جنس العقوبة، بأن تكون مخالفة لعقوبة من سلف من الأفاضل في الصدر الأول، نحو جدع الأنف واصطلام الشفة(2)، فإن مثل هذا لا وجه له، أو في مقدار العقوبة فيكون الضرب بالغاً مبلغ الحد، فهذا أيضاً لا وجه له، وفي الحديث: ((من ضرب الحد فهو من المعتدين))(3) يريد من(4) ضرب الحد من غير حد.

وعن أمير المؤمنين: أنه مر برجل يبيع الزعفران وقد أرجح، فقال له: أقم الوزن، ثم أرجح بعد ذلك، كأنه أمره التسوية ليعتادها(5)، ويرجح بعد ذلك ما شاء.

وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له: اتق الله، وأوف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن(6).

ثم عقب ذلك بذكر حال أهل المسكنة، بقوله:

(ثم الله الله في الطبقة السفلى): وإنما كرر ذكرهم مبالغة في الاهتمام بهم والتعهد لأمورهم.

(من الذين لا حيلة لهم): لايستطيعون التحيل لاكتساب المعيشة، ولا يهتدون لها.

(والمساكين(7) والمحتاجين): أهل الفاقة والفقر.

---

(1) حد، سقط من (ب).

(2) جدع الأنف: أي قطعه، واصطلام الشفة: أي استئصالها.

(3) رواه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام من باب التعزير، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ضرب حداً في غير حد فهو من المعتدين))، وهو بلفظ: ((من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين)) رواه العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام 149/5 عن الضحاك، وعزاه إلى الجامع الكافي لأبي عبد الله العلوي، والشفاء للأمير الحسين بن بدر الدين.

(4) من، زيادة في (ب).

(5) الكشاف 720/4.

(6) المصدر السابق 720/4.

(7) قوله: والمساكين، زيادة في (ب)، والعبارة في شرح النهج: من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى.

(والبؤسى): إما ذوي البؤسى وهي ضد النعمى، وإما جمع بأس وبؤسى نحو وجع ووجعى.
(والزمنى): جمع زَمِن وهم: المرضى وأهل الزمانة.
(فإن في هذه الطبقة): الذين(1) سميت لك.
(قانعاً ومعتراً): القانع هو: السائل، من قولهم: قنعت إليه إذا خضعت له، والمعتر هو: المتعرض من غير سؤال، وقيل: القانع هو الراضي بما عنده من غير سؤال، والمعتر هو: المتعرض بالسؤال(2).
(فاحفظ لله(3) ما استحفظك من حقه فيهم): الحفظ: الحراسة، والحفظ: المراقبة، وأراد واحرس من أجل الله وراقبه ما طلب منك من الحق في حفظ هؤلاء وحراستهم، ومنه قولهم: استحفظته كذا إذا طلبت منه حفظه.
(واجعل لهم قسماً من بيت مالك(4)): نصيباً يغنيهم من أموال المصالح، وفي هذا دلالة على جواز إعطاء الفقراء من بيت المال الذين لا مزية لهم على الفقر، وهو ظاهر كلامه ها هنا.
(وقسماً من غلات صوافي الإسلام): الصوافي: جمع صافية وهو: الأراضي المغتنمة من أيدي الكفار.
(في كل بلد): حيث كانوا من بلدان الإسلام، وحيث كانت الصافية في جهتهم أو في غيرها.
(فإن للأقصى منهم): للأبعد.
(مثل الذي للأدنى): الأقرب بالإضافة إما إليك، وإما بالإضافة إلى هذه الصوافي، فإن أحداً لا يختص بها دون أحد، بل هم فوضى(5) فيها.
(وكل): من هؤلاء الذين ذكرت لك حالهم وحققت لك أوصافهم.
(قد اسْتُرْعِيْتَ حقه): طلب منك رعاية حقه، والطالب لها هو الله لا إله غيره.
(فلا يشغلنك عنهم نظر(6)): يلهينك عن أحوالهم والتعهد لها نظر في غيرها.

---

(1) في (ب): التي.
(2) الكشاف 160/3.
(3) في شرح النهج: واحفظ الله.
(4) في نسخة: من بيت مال الله، (هامش في ب).
(5) قوم فوضى أي متساوون
(6) في شرح النهج: بطر.

(فإنك لا تعذر بتضييع التافه): يعني الحقير.

(لإحكامك الكثير المهم): يعني أن الأمور كلها تحتاج إلى تفقد وتعهد صغيرها وكبيرها، ولا يكفي شيء منها عن شيء؛ لاستوائها كلها في كونها مطلوبة من جهة الله تعالى.

(فلا تشخص همَّك عنهم): أي لا تغيِّب(1) عنهم اهتمامك بهم، وعنايتك من أجلهم.

(ولا تصعِّر خدك لهم): الصعر: الميل في الخد خاصة من الكبر، قال الله تعالى: {ولا تصاعر(2) خَدَّكَ لِلنَّاسِ}[لقمان:18].

(وتفقد أمور من لا يصل إليك(3)): لحقارة أمره ورثة هيئته.

(ممن تقتحمه العيون): تزدريه وتصغِّره ولا ترى له حقاً.

(وتحقره الرجال): تذله وتستخف بحاله.

(ففرِّغ لأولئك ثقتك): فوجه إليهم من تفرغه عن مزدحم الأشغال من أهل الثقة والديانة والصلاح والأمانة.

(من أهل الخشية): لله والمراقبة له.

(والتواضع): لعظمته وجلاله.

(فليرفع إليك أمورهم): كلها دقيقها وجليلها فتصفحها وانظر فيها نظراً ثاقباً.

(ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه): بإقامة العذر عنده، وما يكون فيه خلاص لك عن(4) عهدة ذلك عند موتك أو في يوم القيامة.

(فإن هؤلاء من بين الرعية): من أجل ضعفهم ومسكنتهم، ونزول هممهم وأقدارهم.

(أحوج إلى الإنصاف من غيرهم): لأمرين:

أما أولاً: فلأن إنصافهم يكون خالصاً لوجه الله تعالى لا غرض فيه دنيوي، ولا صنيعة فيه لآدمي.

وأما ثانياً: فلأجل ما هم عليه من ركة الحال وضعف الأمر، فلأجل هذين الوجهين(5) كانوا أحق بالإنصاف من جهتك.

(وكل): ممن ذكرت لك وسميته ووصفت حاله.

---

(1) في (ب): أي لا تفيت.

(2) هكذا في النسخ، وهو على قراءة نافع.

(3) في (ب) وشرح النهج: من لا يصل إليك منهم.

(4) في (ب): من.

(5) الوجهين، سقط من (ب).

(فأعذر إلى الله): فأقم عذرك عنده.

(في تأدية حقه إليه): الذي فرض الله له وفرضه عليك من ذلك.

(وتعهد أهل اليتم): الذين مات آباؤهم، وخلفوهم عيلة لا أموال لهم، فحقوقهم حاصلة في بيت المال، ومؤونتهم متعلقة بك.

وفي الحديث: ((من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك عَيْلَةً فإليّ))(1).

(وذوي الرقة): يعني الشيوخ الذين بلغوا في السن غاية، يرق لهم كل أحد رآهم.

(ممن لا حيلة له): فيوكل إلى حيلته.

(ولا ينصب للمسألة نفسه): أي ولا يظهر نفسه بأن يجعلها منصوبة للسؤال.

(وذلك): الذي ذكرته لك.

(على الولاة ثقيل): لعظمه وصعوبة الأمر فيه.

(والحق كله ثقيل): على كل أحد من الخلق.

(وقد يخفِّفه الله على أقوام): مخصوصين بالتوفيق من عنده، ومقصودين بالصلاح من جهته.

(طلبوا العاقبة): المرضية عند الله تعالى، حيث قال تعالى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[الأعراف:128].

(فصبَّروا أنفسهم): على المكاره طلباً لوجه الله وابتغاءً لمرضاته.

(ووثقوا بصدق موعود الله لهم): الموعود ها هنا إما بمعنى الوعد على غير رأي سيبويه، وإما بمعنى شيء موعود به على رأيه؛ لأنه لا يقول بأن المصدر يأتي على وزن مفعول، وإن أتى بوزن فاعل كالعاقبة والدالة.

(واجعل لذوي الحاجات منك قسماً): أي وقتاً تسمع فيه شكواهم، وتجيبهم عن فتاويهم.

---

(1) له شاهد رواه العلامة المفسر الزمخشري رحمه الله تعالى في الكشاف 3/531-532 من حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}، فأيما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ))، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف9/281.

(تُفَرِّغ لهم فيه شخصك): عن ازدحامات الأشغال.

(وتجلس لهم فيه مجلساً عاماً): لا يختص به أحد منهم دون أحد، بل يكونون فوضى فيه.

(فتتواضع فيه لله الذي خلقك): بما يكون من جهتك فيه من الإقبال عليهم والإنصاف من نفسك لهم وقضاء حوائجهم، والإصغاء إلى جميع أحاديثهم، وإجابتهم عن كل واحد منها جواباً شافياً فيه قضاء لأغراضهم، وإبقاءً لما قد توجه عليك من حقهم.

(وتقعد عنهم جندك وأعوانك): من يكون متعلقاً بالدولة من هؤلاء.

(من أحراسك وشُرَطِك): الحرس: خدم السلطان، الواحد منهم: حرسي، والشرط: الأسافل من الخلق، وقد يطلق على الرؤوساء أيضاً، وهو من الأضداد، الواحد منهم شرطي.

قال أبو عبيدة: وإنما سموا شرطاً؛ لأنهم أُعِدّوا(1) لمنافع الدولة، والشريط: حبل يُعَدُّ مفتولاً من الخُوص(2).

(حتى يكلمك متكلمهم(3)): يواجهك بكلامه.

(غير متعتع(4)): التعتعة في الكلام هي: التردد من حصر أو عي أو فشل أو دهشة، يروى: مُتَعْتِع بكسر التاء اسم فاعل أي ذا تعتعة، وبفتحها(5) اسم مفعول إذا تعتعه غيره.

(فإني سمعت رسول الله [صلى الله عليه وآله](6) يقول في غير موطن ((لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي))): التقديس: التطهير، وأراد لن تطهر أمة عن الدنس والعيب، يضام فيها الضعيف فلا يؤخذ له حقه من القوي.

---

(1) قول أبي عبيد هذا ذكره في مختار الصحاح ص334.

(2) الخُوصُ: ورق النخل، الواحدة خُوصة. (مختار الصحاح ص192).

(3) العبارة وشرحها في (ب) (هكذا: حتى يكلمك مكلمهم): الأسافل من الخلق، يواجهك بكلامه.

(4) في شرح النهج: متتعتع.

(5) أي مُتَعْتَع.

(6) زيادة في شرح النهج وفي (ب).

*(1947/5)*

---

(((غير متعتع(1)))): فشل ولا قلق.

(ثم احتمل الخُرْق): الجهل.

(منهم والعِيَّ): الفهاهة والحصر، والخُرْق على وزن فُعْل.

(ونح عنك الضيق): إما ضيق الصدر؛ لأنه يتعذر معه استيفاء الحوائج، وإما البخل.

(والأنفة(2)): الكبر والخيلاء.

(يبسط الله عليك بذلك): يريد الذي فعلته معهم مما ذكرته.

(أكناف رحمته): جوانبها، والكنف: الجانب.

(ويوجب لك ثواب طاعته): ويعطيك ثواب ما فعلته من هذه الطاعة، وحصلته من هذه القربة.

(وأعط ما أعطيت هنيئاً): يريد أن عطيتك تكون سمحة بها نفسك، من غير تكدير ولا صَخَب(3) في الإعطاء ولا ملالة ولا تقتير.

(وامنع من منعت في إجمال وإعذار): يعني وإذا منعت من العطية فليكن منعك من غير أذية، ولكن أجْمِل العذر في ذلك، فإن إجمال العذر يكتب الله به الأجر عوضاً عما كان من الحسنة إذا كان العذر صادقاً.

ثم أردفه بذكر خاصة أحواله ومراعاتها، بقوله:

(ثم أمور من أمورك): لا تغفل عن حفظها ومراقبتها.

---

(1) في شرح النهج: متتعتع، والحديث بلفظ: ((لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها من قويها حقه غير متعتع))، رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص530 رقم (461) وقال محققه في تخريجه: ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 209/5،208، عن بريدة من حديث طويل، وقال: رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وعن جابر عزاه إلى الطبراني في الأوسط، وأورده في موسوعة أطراف الحديث278/7 بألفاظ متقاربة وعزاه إلى مجمع الزوائد، وكشف الظنون510/2، والترغيب والترهيب611/2، وكنز العمال (5609)، والبيهقي94/10، والطبراني 389/19 وغيرها. انتهى.

(2) في شرح النهج: ونح عنهم الضِّيق والأَنْفَ.

(3) الصَّخَبُ محركة: شدة الصوت.

*(1948/5)*

---

(لا بد لك من مباشرتها): تعهدها حالة بعد حالة، ومرة بعد مرة.

(منها إجابة عمالك): بما يرد من جهتهم من السؤالات و(1) الحوادث في الأقطار والأقاليم، فإنه لا يزال منها حادثة تحدث تحتاج إلى جواب منك فيها من المعضلات والحوادث والمشكلات.

(بما يعيا عنه كتابك): يريد عهدك الأول الذي عهدته له في أول مرة فإنه إنما يتضمن جملة، وليس فيه شيء من هذه التفاصيل المتجددة في كل يوم، أو يريد كُتَّابُكَ جمع كاتب، فإنهم لا يطلعون على مثل هذه الأمور، وهذا أحسن.

(ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك): فراعها لهم وقضاء حوائجهم فيها.

(مما تحرج به صدور أعوانك): أي تضيق؛ لأنهم لا يطيقونه ولا يقدرون على علاجه، والمعنى أن هذه الأشياء لا يتولاها إلا أنت دون الكتَّاب والأعوان لعدم هدايتهم إليها وقصور أفهامهم عن إتقانها.

(وأمض لكل يوم عمله): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنك لا تحيل عمل يوم إلى يوم آخر، فيؤدي ذلك إلى ازدحام الأشغال عليك وتراكمها على قلبك، فلا تأمن جري الزلل لكثرتها وازدحامها.

---

(1) في (ب): من الحوادث.



---

وثانيهما: أن يكون مراده أنك إذا وطنت نفسك على أن لكل يوم عملاً كان ذلك أقرب إلى الإخلاص في الأعمال لوجه الله تعالى وأعظم في الازدياد، رغبة في الثواب، ترى أنك لا تمهل ليوم آخر بعده، كما قالعليه السلام: ((يا أنس، صلِّ صلاة مودع، ترى أنك لا تصلي بعدها شيئاً))(1).

(فإن لكل يوم ما فيه): من خير وشر وفساد وصلاح، فلا تدخل عمل يوم في يوم آخر.

(واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت): يشير إلى أني قد وقَّت لكل(2) عمل وقتاً، لكني أقول: اجعل أعلاها أفضلها عندك ما كان متعلقاً لله تعالى(3) من جهة نفسك من العبادات الفاضلة، والأوراد المباركة في الأوقات الشريفة المتقبلة.

(وأجزل تلك الأقسام): واجعل أجزل الأقسام التي قدرتها لك لله تعالى خالصاً لا يشاركه فيها غيره من الأعمال، من المناجاة والابتهال إليه في إصلاح عملك وقضاء حوائجك من جهته.

---

(1) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص302 برقم (280) بسنده يبلغ به إلى الإمام علي عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فإذا هو بأنس بن مالك يصلي، قال: ((يا أنس، صلِّ صلاة مودع، ترى أنك لا تصلي بعدها شيئاً، واضرب ببصرك موضع سجودك حتى لا تعرف من عن يمينك ولا من عن يسارك، واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه)).

(2) في (ب): يشير إلى أنك وَقَّت لكل...إلخ.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(وإن كانت كلها لله، إذا صلحت فيها النية): يريد أن جميع قواعد الولاية كلها وجميع هذه الآداب التي أشار إليها إنما هو من الجهاد(1) وانتظام أحوال الأمة، وجري أوامر الله على قواعدها واستقامتها على حدودها(2)، وهذه الأمور كلها لله تعالى(3) عند صلاح النية فيها وسداد القصد من أجله، وعند هذا تكون من جملة الأعمال المقربة إلى الله تعالى.

(وسلمت فيها الرعية): عن الظلم وفساد أحوالهم واختلال قواعدهم.

وفي نسخة أخرى: (وسلمت فيها الرغبة): يعني وخلص القصد ولم يشبه شائب يكدره.

(وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك): أراد وليكن من جملة خواص الأعمال الخالصة لله:

(إقامة فرائضه): من الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات المفترضة.

(التي هي له خاصة): لا تتعلق بغيره، وفي الحديث: ((ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم(4))). وإقامتها إتيانها على الوجه المأمور به من الإخلاص فيها، وأدائها على الخضوع والتذلل والخشوع.

(فأعط الله من بدنك): من أعمال(5) الطاعة المتعلقة بالأبدان نحو الصلاة والصيام والحج.

(في ليلك): ما يكون مختصاً به منها.

(وفي نهارك): ما يكون مختصاً به.

(ووفِّ ما تقربت به(6) من ذاك(7)): اجعله وافياً وائتِ به كما أمرك الله به.

(كاملاً): بشروطه وحدوده.

(غير مثلوم): ساقط بعض أركانه.

(ولا منقوص): من إيفائه بشرطه الذي يكون واقعاً عليه.

---

(1) في (ب): الاجتهاد.

(2) في (ب): على حذوها.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) في (أ): عليه.

(5) في (ب): أعمالك.

(6) في شرح النهج: ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك.

(7) في (ب): من ذلك.

(بالغاً من بدنك ما بلغ): يعني أده على ما ذكرته، وإن بلغ في نقص بدنك واختلاله كل مبلغ، فإن ذلك يكون أدخل في الإثابة وأعظم في الجزاء من الثواب عليه.

(وإذا قمت في صلاتك للناس): بأن تكون إماماً لهم فيها وداعياً لهم إليها.

(فلا تكونَنَّ منفراً): بتطويلها وصعوبة الأمر فيها.

(ولا مضيعاً): لأوقاتها وحدودها وشروطها، ولا يكونَنَّ منك فيها إفراط في أمرها فتنفر عنها، ولا تفريط فتخل بها.

(فإن في الناس من به العلة): من مرض وعجز وسلس بول(1) وغير ذلك من العِلل.

(وله الحاجة): إلى الخروج في قضاء مآربه وحوائجه أو يكون حاقناً أو حاقباً(2) فيريد الخروج لقضاء الحاجة.

(وقد سألت رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](3) حين وجَّهَنِي إلى اليمن كيف أصلِّي بهم؟): في التطويل والتقصير والإطالة وعدمها.

(فقال: ((صلِّ بهم كصلاة أضعفهم))(4)): يعني مثل صلاة الضعفاء الذين يريدون التخفيف لأجل ضعفهم وهوانهم.

(((وكن بالمؤمنين رحيماً))): كثير اللطف والرفق بهم في جميع أحوالهم كلها.

(وأما بعد هذا؛ فلا تُطَوِّلَنَّ احتجابك من(5) رعيتك): يريد ومن جملة الآداب المرعية في الولاية إزالة تطويل الحجاب عن أهل الحوائج من الرعية.

(فإن احتجاب الولاة عن الرعية): غيبتهم عنه، وضرب الحجب والحراس على أبوابهم.

(شعبة من الضيق): نوع من أنواع الحرج والمشقة.

---

(1) يقال: فلان سَلِسَ البول إذا كان لا يستمسكه.

(2) الحاقن: هو الذي حُبس بوله، والحاقب: الذي احتاج إلى الخلاء فلم يتبرز فانحصر غائطه. (انظر النهاية لابن الأثير1/416،411).

(3) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(4) انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 5/332-333.

(5) في شرح النهج: عن.

*(1952/5)*

---

(وقلة علم بالأمور): المتعلقة بالولاة من التعهد والتفقد، وكفّ أيدي الطغاة وزمِّ الأفواه عن التعلق بالأطماع، والاطلاع على أكثر الأحوال ومراقبتها، وفي هذا فساد لاخفاء به.

(والاحتجاب منهم): الضمير للرعية.
(يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه): يعني فلا يتصل إليهم شيء من علوم أحوال الرعية.
(فيصغر عندهم): الضمير للولاة.
(الكبير): الأمر الكبير لجهلهم بكيفية وقوعه وإحاطتهم بحقيقة حاله، فلا يعلمونها.
(ويعظم الصغير): لمثل ذلك فلا يدري بكيفية وقوعه.
(ويحسن القبيح، ويقبح الحسن): للجهل بحال وقوعهما، فلا يعلم حالهما.
(ويشاب الحق بالباطل): أي يخلط أحدهما بالآخر، وكل هذا إنما ينشأ من غيبة الولاة عن الرعية وعدم افتقادهم لأحوالهم واطلاعهم عليها.
(وإنما الوالي بشر): من جملة الخلق.
(لا يعرف ما توارى به الناس عنه من الأمور): يعني أن كل ما غاب عنه الإنسان وتوارى عنه بصره وإدراكه له فإنه لا يعرف كنه حاله ولا حقيقة أمره، وإنما يعرف ذلك من الأمور بالاطلاع عليها ومشاهدتها ومراقبة أحوالها، فمن لايرى الشيء لا يمكنه معرفة حاله بحال.
(وليس(1) على الحق سمات): علامات وأمارات ظاهرة مكشوفة.
(يعرف(2) بها ضروب الصدق من الكذب): أنواع كل واحد من هذين.
(وإنما أنت): في احتجابك عن الخلق واستتارك عنهم.
(أحد رجلين): لا ثالث لهما.
(إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق): أعطيت كل ذي حق حقه، وسخت به نفسك وسمحت به.
(ففيم احتجابك): لأي وجه يكون؟ وما الداعي إليه؟
(من واجب حق(3) تعطيه!): فهل هو امتناع من حق واجب تعطيه أهله؟

---

(1) في شرح النهج: وليست، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(2) في شرح النهج: تعرف.
(3) حق، سقط من (ب).

*(1953/5)*

---

(أو فعل كريم تسديه!): أو هل(1) هو من أجل فعل حسن تجعله صنيعة إلى غيرك؟ فكل هذا يمنع منه الحجاب، فلا فائدة فيه على هذا الوجه.
(أو مبتلىً بالمنع): أو أنت رجل قد بلي بالشح الخالع(2).
(فما أسرع كف الناس عن مسألتك): امتناعهم منها وإعراضهم عنها.

(إذا أيسوا من بَذْلِكَ): من إعطاء معروفك.

(مع أن أكثر(3) حاجات الناس إليك): معظم حوائجهم منك ليس من أجل إعطاء ولا منع، فيكون الحجاب حاصلاً منك، وإنما هو:

(ما لا مؤونة فيه عليك): ثقل ولا كَلّ(4) عليك.

(من شكاة مظلمة): فتنتصف لصاحبها ممن ظلمه.

(أو إنصاف في معاملة(5)): بقطع الشجار فيها وإبطال المخاصمة.

(ثم إن للوالي خاصة وبطانة): ناس يختصون به وينزلون منه منزلة البطانة، وهو ما يلي الجسم من الثياب كالشعار.

(فيهم استئثار): استبداد بالحقوق والأموال.

(وتطاول): على الخلق اعتماداً على قهر الدولة وعلو الولاية.

(وقلة إنصاف(6)): من أنفسهم للخلق تعاظماً وتكبراً على قبول الحق وإعطائه.

(فاحسم مادة أولئك): امنع ما يمدهم.

(بقطع أسباب تلك الأحوال): التي تكون سبباً في ذلك، وتكون وصلة إليها، وحاصل الأمر في قطع مادتهم، إما بإزالتهم عن التعلق بك، وإما بقطع مواد ذلك، فبانقطاع تلك الأسباب يزول المحذور من ذلك.

---

(1) هل، سقط من (ب).

(2) أي الشديد.

(3) أكثر، زيادة في (ب)، وشرح النهج.

(4) أي ولا إعياء.

(5) في (ب) وشرح النهج: أو طلب إنصاف في معاملة.

(6) في شرح النهج: وقلة إنصاف في معاملة.

*(1954/5)*

---

(ولا تقطعنَّ لأحد من حاشيتك وخاصتك(1) قطيعة): يعني إذا أدررت لأحد من هؤلاء إدراراً أو وصلته(2) بصلة فلا تقطعها من غير سبب موجب للقطع، لما في ذلك من إيحار الصدور.

(ولا يطمعن منك في اعتقاد عُقْدة تضر بمن يليها من الناس): يعني ولا تعقدنَّ عقداً ولا تذمنَّ ذمة لأحد من خاصتك يكون فيها ضرر على أحد من المسلمين ممن يكون متصلاً بها ويليها.

(في شرب): نحو أن تعطيه ذمة على أن يسقي له ضيعته من النهر الفلاني، وفيه إضرار بمن يليه

ممن يكون له فيه حق الشرب لِضَياعه(3) وعقاراته.

(أو عمل مشترك): كأن يكونا معاً مشتركين في شركة عنان(4) أو مفاوضة(5) مما يضطربان فيه على سواء، فتعطي أحدهما عقداً وذمة(6) على أنه لايتصرف مع الآخر، فيكون في هذا إضرار بالشريك من جهة أنهم:

(يحملون مؤونته على غيرهم)، لأن العمل كله صار على الشريك الآخر(7) من غير معاونة، وهذا هو الحيف والميل.

(فيكون مهنأ ذلك لهم دونك): يريد أن فائدة ذلك وهنآءة عيشه لهم من غير أن يكون لك فيه شيء.

(وغبته(8) عليك): عاقبته تختصك(9) دون غيرك، ومغبة كل شيء عاقبته، وفي رواية أخرى:

(وعيبه عليك): أي ذمه ونقصه.

---

(1) في شرح النهج: وحامتك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب): ووصلته.

(3) الضيَاع: جمع ضيعة وهي العقار. (مختار الصحاح ص386).

(4) شركة العنان: أن يشتركا في شيء خاص دون سائر أموالهما، كأنه عنَّ لهما شيء فاشترياه مشتركين فيه. (مختار الصحاح ص458).

(5) تفاوض الشريكان في المال اشتركا فيه أجمع، وهي شركة المفاوضة. (المصدر السابق ص515).

(6) في (ب): أو ذمة.

(7) الآخر، سقط من (ب).

(8) في (ب) وشرح النهج: وعيبه عليك.

(9) في (ب): تخصك.

*(1955/5)*

---

(في الدنيا): بالذم واللوم على ظلمك لغيرك.

(وفي الآخرة): بالعقاب وسخط الله.

(وألزم الحق من لزمه): يعني من كان عليه حق لغيره ألزمته أدائه وتسليمه، وخروجه منه إلى صاحبه وأهله.

(من القريب): خاصتك، وأهل دولتك، ومن يتعلق بك.

(والبعيد): منك من سائر الناس وجميع الرعية.

(وكن في ذلكً): يعني إعطاء الحق صاحبه.

(صابراً): لله تعالى على مشقة ذلك وعلاجه.

(محتسباً): ذلك لوجه الله تعالى وابتغاء رضوانه.

(واقعاً ذلك من قراباتك وخاصتك(1) حيث وقع): يريد وإن بلغ ذلك سخط أهلك ومن يقرب إليك، فإن رضاء الله أبلغ من رضاهم وأحق.

(وابتغ عاقبته): آخر أمره وغايته من ثواب الله وعظيم أجره.

(بما يثقل عليك منه): بتحمل ما يتعب نفسك من أجل ثقله، واصبر عليه:

(فإن مغبة ذلك محمودة): عاقبة الصبر عليه لما فيها من الفوز بالجنة، وجوار الله في دار كرامته التي اصطفاها لأوليائه.

(وإن ظنت بك الرعية حيفاً): ميلاً عليهم(2) في الخراج، وظلماً لهم فيما يؤدونه من الأموال.

(فأصحر لهم بعذرك): أظهر لهم عذرك في ذلك ظهوراً واضحاً، والإصحار: الإظهار، وسميت الصحراء لظهورها وانكشافها.

(وأعزل(3) عنك ظنونهم): أزلها عنك، وأذهبها عن التعلق بك.

(بإصحارك): إظهارك للعذر لهم.

(فإن في ذلك إعذاراً): إبلاغاً في العذر إليهم.

(تبلغ به حاجتك): مقصدك ومطلوبك.

(من تقويمهم على الحق): بإسقاط عذرهم وتوجه اللوم عليهم إذا لم يقبلوه.

(ولا تدفعنَّ صلحا دعاك إليه عدوك): يعني إذا طلب العدو مسالمة فيما بينك وبينه بعقد الصلح فلا تردنَّه.

---

(1) وخاصتك زيادة في (ب)، وهي في شرح النهج: وخواصك.

(2) في (ب): عنهم.

(3) في شرح النهج: واعدل.



---

وفي الحديث: ((أن الرسول عليه السلام لما دعاه المشركون إلى صلح الحديبية، أجابهم إلى ذلك مع ما كان فيه من الميل على المسلمين والتحكم من جهة أهل الشرك، وكان عقده بين(1) الرسول وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين، وأنها عيبة مكفوفة من غير إسلال ولا إغلال(2)))، أي لا سرقة ولا خيانة، فكانت عاقبته أبرك عقبى على المسلمين.

(لله فيه رضاً): يريد ليس فيه نقص على الدين، ولا ترك لشعاره وأبهته.
(فإن في الصلح دعة لجنودك): خلاص عن مشقة الحرب وتحمل أثقالها وسلامة عن القتل والقتال وكفاً عنه.
(وراحة من همومك): بتدبيرها وتقرير قواعدها.
(وأمناً لبلادك): عن تغير ها وفسادها، فإن هذه الأمور كلها من عواقب الحرب وأحكامها، وغير ذلك من الهموم العظيمة والأخطار الكثيرة، وإهراق الدماء وبذل الأموال.
(ولكن الحذر كل الحذر): أي خذ الحذر من نفسك والحذر من عدوك، والتحرز غاية التحرز.
(من عدوك بعد صلحه): يشير إلى أنك إذا عقدت هدنة وصلحاً بينك وبين من تحاربه من الأعداء، فلا تهوننَّ في الحزم من العدو، ولا يغرنَّك بما عقده من الصلح.
(فإن العدو ربما قارب ليتغفَّل): يريد أن العدو قارب الأمر بالصلح أو قاربك، واختلط بك بالهدنة؛ ليخبر حالك، ويأخذ غفلتك، وينكث على غرتك، فاحذره في أيام الصلح وكن على وجل من أمره وحاله.
(فخذ بالحزم): بالتحرز في أمورك كلها.
(واتهم في ذلك حسن الظن): يعني إذا راودتك نفسك على تحسين الظن فاتهمها في ذلك فإنما هو خدعة.
ثم أردف ذلك بالذمم والعهود ومراعاتها، بقوله:

---

(1) في (ب): من.
(2) انظر السيرة النبوية لابن هشام 3/206-207، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

*(1957/5)*

---

(وإن(1) عقدت بينك وبين عدو لك عقدة): في صلح أو هدنة أو غير ذلك من العقود اللازمة والعهود المؤكدة.
(أو ألبسته منك ذمة): على أهل أو مال، واستعار اسم اللباس من أجل ذلك؛ ليكون ذلك دالاً على الشمول والإحاطة، مبالغة في ذلك.
(فحط عهدك بالوفاء): عن الخيانة والمكر والخديعة، وصنه عن تهمة الغدر(2).
(وارع ذمتك بالأمانة): إما من الرعاية وهي: الحياطة، وإما من المراعاة وهي: المراقبة والحراسة، وكان قياسه، وراع ذمتك إذا كان من المراعاة، لكنه حول إليه.
(واجعل نفسك جُنَّةً): الجُنَّةُ: ما كان يستر من ثوب أو درع أو قميص.

(دون ما أعطيت): تكون نفسك ساتره لك عن كشفه وإباحته وإهداره، وهذا من لطيف الكلام وبليغه.

(فإنه ليس شيء من فرائض الله): التي فرضها على عباده، وأكدها على خلقه.

(الناس عليه(3) أشد اجتماعاً): أعظم التئاماً وأكثر اتفاقاً.

(مع تفريق(4) أهوائهم): في كل جهة.

(وتشتت آرائهم): في كل موضع.

(من تعظيم الوفاء بالعهود): تأكيدها والمواظبة على فعلها، ولقد تمدح الله تعالى(5) بذلك حيث قال: {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}[التوبة:111]، وافتتح الله سورة المائدة بالأمر بذلك حيث قال: {أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[المائدة:1].

---

(1) في (ب): فإن.

(2) في (ب): الغرر.

(3) عليه، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(4) في شرح النهج: تفرق.

(5) تعالى، زيادة في (ب).

*(1958/5)*

---

(وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم): من الذمم والعهود والمواثيق وأكدوها، وأكرهوا نفوسهم على الوفاء بها، واقتحموا العظائم من أجل خرمها، وخاضوا غمرات الموت من دون ذلك، حتى أن رجلاً منهم ليذهب أهله وولده وماله من أجل الوفاء بذمته وعقده، وإذا اخترمت له ذمة أو أبيح له حمى أو جوار اقتحم كل عظيمة من دون ذلك، حتى يبلغ فيه مبلغه، فهم على ذلك من:

(دون المسلمين): يعني هم أهل الشرك مؤكدون لذلك فضلاً عن المسلمين، فهم أحق بذلك وأولى.

(لما استوبلوا من عواقب الغدر): استوخموا منه ما يكون في آخر الأمر منه واستثقلوا ذلك، واللام: في لما استوبلوا متعلقة بقوله: لزم أي لزموا الوفاء من أجل استيخامهم لعاقبته.

(فلا تغدرنَّ بذمتك): بالخيانة والخديعة.

(ولا تخيسنَّ بعهدك): تنكثنَّ، من قولهم: خاس بعهده إذا نكث فيه.

(ولا تختلنَّ عدوك): أي تخدعه، والمخاتلة: المخادعة.

(فإنه لا يجتري على الله إلا جاهل): الاجتراء هو: الإقدام على الشيء من غير بصيرة ولا خبرة بحاله، وأراد أنه لايقدم على الله في مخالفة أمره والوقوع في مناهيه إلا جاهل بحاله وبعظم قدرته على نكاله والانتقام منه.

(شقي): الشقاوة: خلاف السعادة.

(وقد جعل الله عهده وذمته أمناً): ما شرع من العقود والمواثيق أمراً يأمن به كل أحد ممن عقد في حقه.

(أفضاه بين العباد برحمته): أظهره بين عباده رحمة من جهته، ولطفاً بهم، وصلاحاً لأحوالهم.

*(1959/5)*

---

(وحريماً(1) يسكنون إلى منعته): المنعة: بالتحريك: جمع(2) مانع مثل كافر وكفرة، والمنعة بالسكون هو: المنع، وأراد أن الله تعالى جعل العقد شيئاً محترماً لايمكن تخطيه ولا مخالفته، ومن فعل في حقه فهو ساكن النفس إليه، مطمئن القلب إلى ما تضمنه واشتمل عليه، وإلى منعته، من قولهم: فلان في عز ومنعة أي لايضام له جانب.

(ويستفيضون إلى جواره): فاض الخبر واستفاض إذا ظهر وعلا، وأراد أنهم يظهرون أمورهم ويستندون إليه ويعتمدون في كل أحوالهم عليه.

(فلا إدغال): المداغلة: الفساد والمخادعة.

(ولا مدالسة): التدليس هو: التزوير.

(ولا خداع فيه): مخادعة في العقد الذي يُعْقَدُ.

(ولا تعقد عقداً تجوّز فيه العلل): يعني إذا عقدت فلا تعقد عقداً يكثر فيه الالتواء والتعلل، أو يريد إذا عقدت عقداً فلا تعقده على الاستثناءات الكثيرة والشروط، وإنما يكون منبرماً مقطوعاً عن هذه الأشياء كلها.

(ولا تعولنَّ على لحن القول): أي لا تتكلم بكلام يفهمه عنك من تخاطبه، ويخفى على غيره ممن سمعه، وأراد ها هنا لا تعدل عن الصواب.

(بعد التوكيد): الوثاقة في العقود والعهود.

(والتوثقة): وهي تفعله من الوثاقة.

(ولايدعونَّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله تعالى(3)): يعني وإذا ضاق صدرك وحرجت نفسك من أمر عارض، وقد أعطيت فيه عهد الله وذمته على نفسك، ودعتك:

(إلى طلب انفساخه بغير الحق): فلا تفعل شيئاً من ذلك.

ثم علل ذلك، بقوله:

(فإن صبرك على ضيق ترجو انفراجه(4)): من جهة الله بلطف من عنده وتيسير أمر من جهته.

---

(1) في نسخة: وحرماً (هامش في ب).

(2) في (ب): هو جمع مانع.

(3) تعالى، سقط من (أ).

(4) في شرح النهج: فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته.

*(1960/5)*

---

(خير من غدر): بمخالفة ما أعطيت من العقود على ألا تخالفه.

(تخاف تبعته): ما يتبع من العقوبة من الله من أجله.

(وأن تحيط بك من الله): تشملك وتستولي عليك.

(فيه طِلْبَةٌ): يطلبك الله من أجله طِلْبة.

(لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك): أي لا ينهض منها عثارك في الدنيا ولا في الأخرة، ففي الدنيا بالهلاك، وفي الآخرة بالعقوبة.

(إياك والدماء وسفكها): إهراقها على غير وجهها وفي غير حلها.

(بغير حلها): من غير أن يكون ثَمَّ وجه مبيح لإهراقها من عدوان أو بغي أو ردة أو قصاص(1) أو غير ذلك، وفي الحديث: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث:

كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بنفس))(2).

(فإنه ليس شيء أدعى لنقمة): عقوبة.

(ولا أعظم لتبعة): وهو ما يتبع من ضرر(3) العقوبات لأجل ما تقدم من المعصية.

(ولا أحرى بزوال نعمة): أحق بزوال النعم وإبطالها.

(وانقطاع مدة): يريد ذهاب العمر وانقطاعه.

---

(1) في (أ): أو قصاصاً.

(2) رواه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام (تحت الطبع) في باب من يقتل حدًّا، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد في المغني49/2/20، وللحديث مصادر كثيرة وشواهد عدة انظرها ومصادرها الكثيرة في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 7/350-351، والحديث بلفظ: ((لا يحل دم امرئ يؤمن إلا في إحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق)) رواه العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام 5/136 وعزاه إلى شرح التجريد، وأصول الأحكام، والشفاء، وقال: وهو في البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

(3) في نسخة: من جرم، (هامش في ب).

(من سفك الدماء بغير حقها): من إهراقها من غير حق ولا بصيرة في ذلك يكون معذوراً عند الله بها.

(والله تعالى مبتدئ للحكم بين العباد فيما تسافكوا(1) من الدماء): إهراقوه على غير وجهه(2) من بغي بعضهم على بعض وغدر بعضهم ببعض.

وفي الحديث: ((أول ما يقضى بين الناس في الدماء))(3).

(إلى يوم القيامة): يعني من أول قتيل قتل وهو قابيل إلى أن يقيم الله القيامة عليهم .

(فلا تقوينَّ سلطانك): تشددنَّ قواعده وتشيد أركانه.

(بسفك دم حرام): بإهراق دم على غير وجهه.

(فإن ذلك مما يضعفه): يهون أمره عند الله تعالى(4).

(ويُوْهِيه(5)): إما من الوهي وهو الضعف، قال الله تعالى: {فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}[الحاقة:16]، أو من الوهن وهو الضعف أيضاً، قال الله تعالى: {إِنّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنّي}[مريم:4].

---

(1) في (ب): فيما تسافكوا فيه ...إلخ، وفي نسخة: تسافكوه، (هامش في ب).

(2) في (ب): وجه.

(3) الحديث بلفظ: ((إن أول ما يقضي الله به يوم القيامة بين العباد أمر الدماء)) رواه العلامة ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج 111/17، وهو باللفظ الذي أورده المؤلف هنا في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 48/4 وعزاه إلى البخاري 3/9، ومسلم في القسامة 28، والنسائي 84/7، والسنن الكبرى للبيهقي21/8، والمعجم الكبير للطبراني 234/10 وعزاه إلى غيرها انظرها فيه._ ... _قلت: ورواه في مسند شمس الأخبار 273/1 الباب (44)، وعزاه إلى مسند الشهاب، وعزاه العلامة الجلال في تخريج أحاديث شمس الأخبار إلى النسائي من حديث عن ابن مسعود، قال: وحسنه السيوطي.

(4) تعالى، زيادة في (ب).

(5) في شرح النهج: ويوهنه.

(بل يزيله): يذهبه، وفي الحديث: ((لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا))(1).
(وينقله): إلى غيرك كما كان مع غيرك من قبلك، وفي الحديث: ((لو أن أهل السماوات والأرض اشتركوا في قتل مؤمن لعذبهم الله))(2).
(ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد): يعني وإن قتلت مؤمناً متعمداً فلا عذر لك عندي ولا عند الله في تسليمك للقتل لأوليائه.
(لأن فيه قود البدن): تسليم البدن للقتل والانقياد لحكم الله تعالى وحكمهم في القتل.
(وإن ابتليت بخطأ): وإنما جعله بلوى لكثرة ما يفرط من الولاة في ذلك.

---

(1) رواه في أنوار التمام 159/5 وعزاه إلى النسائي عن بريدة، ولفظ أوله فيه: ((قتل المؤمن ...))الحديث، وهو بلفظ: ((لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم)) رواه العلامة الزمخشري في الكشاف 583/1.
(2) رواه في أنوار التمام 159/5 بلفظ: ((لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)) وعزاه إلى الترمذي، عن أبي الحكم البجلي، قال: سمعت أبا هريرة، وأبا سعيد الخدري يذكران، فذكره.

*(1963/5)*

---

ويحكى أن عمر تهدد مومسة(1) فألقت جنيناً، فجمع الصحابة واستشارهم، فقال عبد الرحمن: أنت مؤدب ولا شيء عليك، فالتفت إلى أمير المؤمنين فقال له: (إن لم يجتهد فقد غشَّك، وإن اجتهد فقد أخطأ، أرى أن عليك الغرة)(2)، فأما الإثم فمحطوط عنه لا محالة؛ لأنه إنما قصد بذلك وجه الله تعالى والتقرب إليه في كل ما يفعله من ذلك مصلحة للخلق وكفاً لهم عن المعاصي، وعن هذا قال الفقهاء: إن جناية الإمام والحاكم غرمها في بيت المال.
(وأفرط(3) عليك سوطك ويدك): يريد تجاوزت الحد فيما تفعله بيدك وتؤدب بسوطك.
(بعقوبة): فزادت على حدها ومبلغها، فإن ذلك كله فيه الدية.
(فإن في الوكزة): وهي ما كان بطرف الأصابع، وقيل: بجُمْع الكف.
(فما فوقها): من الجنايات.
(مقتلة): يريد أنها قاتلة فما فوقها، ولهذا فإن موسى وكز القبطي فقتله بها.
(فلا تطمحنَّ بك نخوة سلطانك): طمح مثل جمح، والغرض منه التعدي ومجاوزة الحد.
(أن تؤدي(4) إلى أولياء المقتول حقهم): يريد وإن كنت ذا سلطان وأبهة ودولة فلا يتطاولنَّ بك سلطانك ويعلو بك أمرك عن أداء ما جنت يدك وسوطك من دية من تقتله إلى أوليائه وورثته.

(1) المومسة: المرأة الفاجرة، والجمع المومسات والمواميس. (انظر القاموس المحيط ص748).

(2) الغُرّة: العبد والأمة، وفي الحديث: ((قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنين بغُرّة)) وكأنه عبَّر عن الجسم كله بالغرة، والغرة عند الفقهاء ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء. (انظر مختار الصحاح ص471، والنهاية لابن الأثير353/3، وشرح النهج لابن أبي الحديد174/1).

(3) في (ب): أو فرط، وفي نسخة: أو أفرط، (هامش في ب).

(4) في (ب) وشرح النهج: عن أن تؤدي.

*(1964/5)*

---

ثم عقَّب ذلك بذكر ذم الإعجاب وغيره من الآداب، بقوله:

(وإياك والإعجاب بنفسك).

اعلم: أن حقيقة العجب راجعة إلى تكبر يحصل في الإنسان بتخيّل كمال في علم أو عمل، فإن كان خائفاً على زواله فهو غير معجب، وإن كان فارحاً بكونه نعمة من الله تعالى(1) فهو غير معجب أيضاً، وإن كان ناظراً إليه من حيث أنه صفة له متكبر به غير ملتفت إلى إمكان زواله، ولا إلى كونه نعمة من الله فهو العجب حقيقة وهو من المهلكات، قال تعالى: {وَيَحْسَبُونَ(2) أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ}[المجادلة:18]، وفي الحديث: ((ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))(3)، وعلاج زواله إنما يكون بتأمل العاقبة في الأمر، وأن بلعام(4)

(1) تعالى، سقط من (ب).

(2) في النسخ: وهم يحسبون.

(3) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 114/17، والموفق بالله في الاعتبار ص287 برقم(288) في باب كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص430 برقم (543) من حديث بسنده يبلغ به إلى علي عليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث منجيات، قالوا: يا رسول الله، ما المنجيات؟ قال: خوف الله في السر والعلانية كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والعدل في الرضا والسخط، والقسط في الغنى والفقر، قالوا: يا رسول الله، فما المهلكات؟ قال: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه))، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 218/2 بسنده يبلغ به إلى أنس.

(4) هو بلعام بن باعوراء، كان من علماء بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين، وهو الذي قال الله

عزّ وجلّ فيه في سورة الأعراف: {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون}. (انظر تفسير الآيتين الكريمتين في الكشاف2/167-168).

*(1965/5)*

---

كيف ختم له بالكفر مع عظم عبادته وتبحره في العلم، وأن إبليس كان منه ما كان في العبادة ثم ختم له بالشقاوة، فمن تأمل إمكان سوء الخاتمةلم يعجب بشيء من أعماله ولا من صفاته.
(والثقة بما يعجبك منها): يشير بذلك إلى ما ذكرناه من أنه إذا كان خائفاً على زواله فلا عجب. فأما إذا وثق بدوامه وأنه لا يتغير فهو عجب لامحالة، ولهذا نهاه عن الثقة به واستمراره.
(وإياك وحب الإطراء): يعني المدح وهو: الذبح، وأن الله تعالى يقول: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً}[القصص:83].

*(1966/5)*

---

واعلم: أن النفس ترتاح للمدح وتهتز له وتطيب من أجله؛ لأن فيه شعوراً بالكمال، وتكره الذم؛ لأن فيه شعوراً بالنقصان، وتَوَلُّدهُ يكون من حب الجاه والرئاسة وهما مذمومان، وفي الحديث: ((إن حب الجاه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل))(1)، وشبَّه رسول الله حبَّ الجاه بذئبين ضاريين في زريبة غنم(2)، وعلاجه يكون بكسر النفس وهضمها وذكر الموت، وإشعار النفس بأنه لو سجد لك من فوق بسيطة الأرض لانقطع ذلك عن قريب، فالإطراء خطر كما ترى.
(فإن ذلك): يعني الإطراء.
(من أوثق فرص الشيطان): من أقوى علائقه وأمتن أسبابه ومداخله في إغواء الخلق.
(في نفسه): الضمير للشيطان أي بالإضافة إليه في نفسه، من قولهم: هذا الأمر أمكن في نفسي من غيره.

---

(1) الحديث بلفظ: ((حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل)) رواه القاضي العلامة محمد بن مطهر الغشم في رضا رب العباد ص241، وأورد قوله: ((حب الجاه والمال ينبت النفاق)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 519/4 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين

570/7، 178/10.

(2) وذلك أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم، بأضر من حب الشرف والمال على المسلم في دينه)) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام في تكملة الأحكام ص109، والإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ص119 برقم (75) بلفظ: ((ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حب المال والشرف للرجل في دينه))، (وانظر تخريجه فيه).

*(1967/5)*

---

(ليمحق ما يكون من إحسان المحسن): المحق هو: الإبطال والإفساد، وأراد أن حب الإطراء والمدح اللذين(1) يكونان في مقابلة النعمة يبطلان ما يكون في مقابلتها من الثواب؛ لأن الإنعام في الحقيقة يصير كأنه ما كان لوجه الله تعالى، وإنما هو من أجل الثناء والمدح فيبطل من أجل ذلك.

(وإياك والمنُّ على رعيتك بإحسانك): اعلم أن المنَّ هو ذكر النعم وبيان موقعها في حق المُنْعَمِ عليه، وهو من الخلائق المذمومة، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ}[البقرة:264].

ومنشأه الشغف بحب العلو والرفعة، وعلاجه ودفعه يكون بتحقير النعمة وتضعيفها، وأن الله عز سلطانه هو في الحقيقة المنعم بها؛ لأنها منه حصلت، وهو الباعث على أدائها والمخلف لعوضها في الدنيا وفي الآخرة، فإذا عرف ذلك هان عليه موقعها فلا يذكرها على جهة المنِّ بها.

(والتزيد(2) فيما كان من فعلك): يريد وإياك والتزيد يعني الكذب، وإنما سماه تزيداً؛ لأنه زيادة من جهة نفسه اختلقها ولم يكن لها حقيقة.

وفي الحديث: ((من أراد أن يلعن نفسه فليكذب)).

وفي حديث آخر: ((ثلاث من علامات النفاق: إذا حدث كذب)) وقد مضى تعديدها

---

(1) في (ب): اللذان.

(2) في (ب) وشرح النهج: أو التزيد.

*(1968/5)*

---

وفي حديث آخر: ((الكذب مجانب للإيمان(1))).

(أو أن تعدهم فتتبع موعودك(2) بخلفك): الموعود إما الوعد، وإما الشيء الموعود على ما سلف تقريره في غير موضع، والخلف: الإبطال لما وعد به.

(فإن المنَّ يبطل الإحسان): يشير إلى الوجه الذي ذكرناه.

(والتزيد يذهب بنور الحق): يعني الكذب، وإنما كان الأمر فيه كما قال؛ لأن الصدق ينوّرُ الحق ويزيده بهاءً وجمالاً، والكذب يُذْهِبُ ذلك ويُبْطِلُه لا محالة.

(والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس): لأن في الوعد إلزام نفسه فعل ذلك الموعود به، فإن أخلفه كان سبباً للمقتة من الناس ومن الله، ثم تلا هذه الآية: ({كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ})[الصف:3]:

وسبب نزولها: أن الله تعالى لما أخبر بثواب شهداء بدر قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغنَّ فيه وسعنا، ففروا يوم أحد، ولم يفوا بما قالوه(3)، فنزلت عتاباً لهم، واقعاً في المبالغة في ذلك كل موقع.

---

(1) في (ب): الإيمان، والحديث أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 18/1 بسنده عن علي عليه السلام، ورواه القاضي علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار502/1 في الباب(95)، عن علي عليه السلام، وعزاه إلى أمالي المرشد بالله (انظر تخريجه فيه)، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 539/6، وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين531/9، والدر المنثور للسيوطي290/3، والكامل لابن عدي43/1، وأمالي الشجري18/1.

(2) في شرح النهج: موعدك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) في (ب): قالوا، وانظر الرواية في الكشاف 522/4.

*(1969/5)*

---

(إياك(1) والعجلة في الأمور قبل أوانها): حضور وقتها، يريد أن العجلة على الإطلاق مذمومة، وفي الحديث: ((الأناة من الله، والعجلة من الشيطان)) ثم إن(2) طلبها قبل أوانها، نقض لها وتعرض لبطلانها؛ لأن طلب الشيء في غير وقته جهل في النفس وخَوَر(3) في الطبيعة.

(والتساقط فيها عند إمكانها): يعني التثبط والتراخي عن فعلها عند إحفاز(4) وقتها وحضوره، وإنما سمى خموله عن الحاجة عند إمكانها تساقطاً؛ لأن الساقط لاينتفع بنفسه كما أن من تثبط عن الحاجة لاينتفع بها أصلاً.

(أو اللجاجة فيها إذا تنكرت): التنكر:التعذر، وأراد تحذيره عن الإلحاح في طلب الحوائج عند ظن تعذرها وتعلقها وانقطاع أسبابها، فإن اللجاجة في ذلك لا تثمر إلا نقصاً ولوماً.

(أو الوهن عنها إذا استوضحت): الوهن: الضعف ، والوضوح: الظهور، وأراد تحذيره عن الضعف عن الأمور عند ظهورها؛ لأن في ذلك تعرضاً لبطلانها.

(فضع كل أمر موضعه): الذي جعله الله له من غير مخالفة، وما أعجب هذه من كلمة وأجمعها للفوائد الجمة، كماقال تعالى: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}[الطلاق:3]،لأن ذلك يدل على كمال العقل.

وقيل لزيد بن علي: صف لنا العاقل؟

فقال: هو الذي يضع الأشياء في(5) مواضعها.

فقالوا له: صف لنا الجاهل؟

قال: قد فعلت، يشير إلى أن الجاهل هو الذي يكون على خلاف ذلك، من وضع الأشياء في غير مواضعها.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: وإياك.

(2) إن، زيادة في (ب).

(3) الخَوَرُ بفتحتين: الضعف.

(4) أي دنوه.

(5) في، زيادة في (ب).

*(1970/5)*

---

(وأوقع كل عمل موقعه): أراد إما(1) من أعمالك في اللين والشدة والقبض والسماحة، واعرف قدر كل واحد من هذه الأشياء، وإما من أعمال غيرك فمن كان عمله خيراً فأنزله بمنزلته، ومن كان عمله على خلاف ذلك فأنزله منزلته.

(وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة): تحذير عن الاستبداد بما الناس فيه متساوون، كما يفعله أهل الجور والظلمة نحو منعهم الماء إلا ما يفضل عن حوائجهم، ومنعهم الكلأ، فإن الناس كلهم شركاء في هذه الأشياء.

وفي الحديث: ((المؤمن أخو المؤمن يسعهما الماء والكلأ، ويتعاونان على الفتَّان))(2) يعني الشيطان.

(والتغابي عما تُعْنَى به): يريد التغافل عما وجب عليك من جهة الله تعالى والعناية به والاهتمام بأمره والقيام بحقه من الأمور كلها.

(مما قد وضح للعيون): ظهر لها وجوب توجهه عليك بحيث لايخفى منه شيء.

(فإنه مأخوذ منك لغيرك): يريد أن الله تعالى مطالبك في النظر في مصالح غيرك لأجل ولايتك عليهم، وتدبيرك لأمورهم.

(وعما قريب تتكشف عنك أغطية الأمور): يريد بما يكون في الآخرة والقيامة، وحضور وقتها، فإن الأمور في الدنيا مستورة عن أهلها، وكشف الغطاء عنها يكون في القيامة.

---

(1) في (ب): أراد ما كان من أعمالك...إلخ.

(2) الحديث في نهاية ابن الأثير 410/3 بلفظ: ((المسلم أخو المسلم يتعاونان على الفتان)) وقال في شرحه: يروى بضم الفاء وفتحها، فبالضم جمع فاتن: أي يعاون أحدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم، وبالفتح هو: الشيطان؛ لأنه يفتن الناس عن الدين. وفتَّان من أبنية المبالغة في الفتنة. انتهى.

*(1971/5)*

---

(وينتصف للمظلوم منك(1)): يريد بما كان من ظلمك له وأخذك لحقه.

(أملك عليك حمية أَنْفِكَ): يعني الأنفة، والحمية: الاحتماء، وأراد املكها كيلا تؤديك إلى التكبر والفخر، يقال: فلان أحمى أنفاً وأمنع ذماراً(2).

(وسورة حدّك): سورة السلطان: سطوته، وسورة الأسد: وثبته، وأراد احذر سطوة حدّة نفسك وشِرّتها(3).

(وسطوة يدك): في غير حق وبغير وجه بسيف أو سوط.

(وغَرْبَ لسانك): أي حدته وطوله في الكلام فيما لا وجه له، وإيقاعه فيمن ليس أهلاً له.

(واحترس من كل ذلك): أي كف نفسك من جميع ذلك لما فيه من الهلاك للنفس عند الله تعالى في القيامة.

(بكفِّ البادرة): ما تسرع النفس إليه(4) من الشر والسقطة في ذلك.

(وتأخير(5) السطوة): يعني إذا أخرتها ففي تأخيرها انكفاف عنها وإبطال لحدتها في أوائلها.

(ويسكن غضبك(6)): سكون الغضب وسكوته في قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ}[الأعراف:154]، عبارة عن ذهاب شدته وزوال فورته.

(فتملك الاختيار): في أمورك كلها، ومعرفة ما تأتي منها وما تذر.

(ولن تحكم ذلك من نفسك): يريد الاحتراس من جميع ما ذكره من شدة الغضب وكف البادرة.

(حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك): يعني أن ذلك لا يستحكم غاية الاستحكام إلا بذكر الموت والمعاد إلى الله تعالى، لأن ذلك كله يهون ما ذكره من مقاساة هذه الأشياء وصعوبتها.

(1) في نسخة: وينتصف منك للمظلوم (هامش في ب)، وهو كذا في شرح النهج.
(2) الذِّمار بالكسر: ما يلزمك حفظه وحمايته. (القاموس المحيط ص508).
(3) الشِرة بالكسر مصدر الشر. (مختار الصحاح).
(4) في (ب): ما تسرع إليه النفس.
(5) في (أ): وتأخر.
(6) في (ب) وشرح النهج: حتى يسكن غضبك.

*(1972/5)*

---

(والواجب عليك): لله تعالى في سيرتك وفي جميع معاملاتك كلها وأحكامك وفتاويك.
(أن تذكر(1) ما مضى لمن تقدمك): من الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم في جميع أحكامهم كلها وفتاويهم، وما فعلوه فيما يرد عليهم ويصدر من الحوادث كلها.
(من حكومة عادلة): أمضى فيها الحكم على جهة العدل من غير حيف فيها.
(أو سنة فاصلة(2)): بين الحق والباطل.
وفي نسخة أخرى: (فاضلة): بالضاد المنقوطة أي التي لها فضل على غيرها من السنن.
(أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم): تعمل عليه فيما تناوله.
سؤال؛ الأثر والسُّنة هما كلاهما صادران عن الرسول عليه السلام، فكيف فرَّق بينهما؟
وجوابه؛ هو أن السّنَّة ما كان الرسول مواظباً عليه في أكثر أوقاته كلها ومكرراً للعمل به، والأثر ما ورد عنه وليس متكرراً، ولهذا يقال: بأن ركعتي الظهر والفجر(3) سنة لما داوم على فعلهما كثيراً، وصلاة الضحى مأثورة لما لم يدوام على فعلها، ولم يكثر من جهته ذلك.
(أو فريضة في كتاب الله): أو أمر مفروض، دل على كونه مفروضاً كتاب الله.

(1) في (ب) وشرح النهج: أن تتذكر.
(2) في شرح النهج: فاضلة.
(3) في (ب): الفجر والظهر.

*(1973/5)*

---

(فتقتدي بما شاهدت مما عملنا(1) فيها): يعني أن أصول الأدلة للأحكام هو ما ذكره من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وما كان من جهة الصحابة في ذلك فيكون لك قدوة عملهم من إثبات أو نسخ أو تخصيص أو غير ذلك، فإن العمدة هو على إجماعهم في ذلك، فما أجمعوا عليه وأصدروه عن آرائهم جميعاً(2) فهو المعمول عليه، وإن كان مخالفاً لظاهر الكتاب أو مخالفاً لظاهر خبر من جهة السنة، فإنَّا نعلم قطعاً أنهم لا يعرضون عن ظاهر ما في الكتاب والسنة تهاوناً بالله وبرسوله؛ لأن ذلك يكون كفراً، وقدرهم أعلا وأشرف من ذلك، وإنما يعرضون لأمور أخر تقتضي ذلك وإن لم يمكن نقلها، فلهذا وجب التعويل في ذلك على ما كان من جهتهم.

(وتجتهد لنفسك): من أجل صلاح(3) نفسك وسلامتها.

(في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا): ما أمرتك فيه من الأوامر، ونهيتك عنه، وزجرتك بالمواعظ، وأدبتك فيه بمحاسن الآداب كلها.

(واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك): يريد وما ذكرت من العهود والمواثيق عليك، والحجج البالغة في امتثال ما قلته فيه.

(لكيلا تكون لك علة عند تسرُّع نفسك إلى هواها): يشير إلى أني قد بالغت في الوعظ والنصيحة لقطع العلة مخافة إسراع نفسك إلى ما تهواه من مخالفة الحق وإبطاله.

(وأنا أسأل الله بسعة رحمته): الشاملة لكل الخلائق.

(وعظيم قدرته): باهرها وكمالها.

(على إعطاء كل رغبة): ما يُرْغَبُ إليه من جميع الأشياء.

(أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه): للطاعات المرضية عنده.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: مما عملناه به فيها.

(2) جميعاً، زيادة في (ب).

(3) في (ب): إصلاح.

*(1974/5)*

---

(من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه): من هذه لابتداء الغاية، وأراد حسن العذر في الخروج إلى الله في حقوقه الواجبة له، وحقوق العباد الواجبة لهم.

(من حسن الثناء في العباد): بحسن السيرة فيهم، أو لتأدية حقوقهم إليهم.

(وجميل الأثر في البلاد): إما لبسط العدل فيها(1)، وإما لإظهار الرفق بأهلها.

(وتمام النعمة): يريد في الدنيا بالسلامة عن العاهات وطروّ الآفات، أو بخاتمة الخير في الآخرة.

(وتضعيف الكرامة): بثواب الله في الآخرة، أو مضاعفة النعم في الدنيا (2) والإكرام بها.

(وأن يختم لي ولك بالسعادة): الأخروية وهي خاتمة الخير والتوفيق لرضوان الله تعالى(3).

(والشهادة): قتلة مرضية في سبيل الله.

(إنا إلى الله(4) راغبون): في جميع ذلك كله من كرمه وسعة رحمته.

(والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(5)): رحمته ورضوانه.

وأقول: إن هذا العهد لكافي(6) لأئمة الدين في تدبير أمورهم، ولأهل الدول في سياسة دولهم؛ لما فيه من جميع الفوائد الجمة والنكت الغزيرة وآداب الدين والدنيا.

(54) ومن كتاب له [عليه السلام](7) إلى طلحة والزبير(8)

---

(1) فيها، سقط من (ب).

(2) في (ب): بالدنيا.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) في نسخة: إنا إليه (هامش في ب).

(5) في شرح النهج: والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(6) في (ب): لكافٍ.

(7) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(8) في شرح النهج: ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي، وذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي في كتاب (المقامات).

*(1975/5)*

---

ذكره أبو جعفر الإسكافي(1) في كتاب (المقامات) له.

وأبو جعفر الإسكافي هذا هو من جملة الثقات في النقل والمعتمد عليهم في الروايات، وله ثقة وأمانة فيما يرويه ومعرفة ودراية، وعليه تعويل الأكثر من أئمة النقل في الأخبار والتواريخ.

(أما بعد، فقد علمتما): علماً لاشك فيه، قطعياً لامرية به.

(وإن كتمتما): أخفيتما ذلك وأسررتماه.

(أني لم أرد الناس): على ما كان من أمر الإمامة والبيعة، ولا دعوتهم إلى ذلك.

(ولكن(2) أرادوني): طلبوني وحملوني على ذلك.

(ولم أبايعهم): أطلبها من جهتهم.

(حتى بايعوني): طلبوني.
(وإنكما ممن أرادني): للخلافة.
(وبايعني): عليها من جملة الناس كلهم، من غير إكراه مني على ذلك لأحد منكم.
(وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب غاصب): أراد أن انقيادهم لي في البيعة وطاعتهم لي فيها ما كان لمكان سلطان، وأمر نافذ عليهم، ولا أني غصبتهم على ذلك.

---

(1) هو محمد بن عبد الله الإسكافي، أبو جعفر المتوفى سنة240هـ، عده قاضي القضاة في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، وقال: كان أبو جعفر فاضلاً عالماً، وصنف سبعين كتاباً في علم الكلام. وهو الذي نقض كتاب (العثمانية) على أبي عثمان الجاحظ في حياته. وذكر ابن أبي الحديد أن أبا جعفر كان يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 133-132/17).
(2) في شرح النهج: وفي نسخة: حتى أرادوني.

*(1976/5)*

---

(ولا لغرض خاطر(1)): من أغراض الدنيا، وهذا أمر ظاهر أعني ما ذكره من عدم الغصب والقهر لهم، بل جاءوا مضطرين إلى إقامته(2)، وفزعوا وجلين إلى خلافته، لما خلا عقد أمر المسلمين(3) من غير رابط، ولا حافظ لهم هناك ولا حائط.
(فإن كنتما بايعتماني طائعين): من جهة الاختيار من أنفسكما.
(فارجعا): إلى الله تعالى(4) عن النكث والخروج عن الحق والفسق بالبغي عليّ.
(وتوبا إليه(5)): من هذه المعاصي الموبقة.
(من قريب): والذنوب قليلة والحال منجبر، أو من قريب قبل التمادي في الباطل والغي.
(وإن كنتما بايعتماني كارهين): من غير اختيار من جهة أنفسكما.
(فقد(6) جعلتما لي عليكما السبيل): يريد الحجة الواضحة عليكما بما كان من تلبيسكما.
(بإظهاركما الطاعة): لي والاتباع لأمري.
(وإسراركما المعصية): بما كان من المبايعة كرهاً، وفي ذلك عدم الانقياد لأمري والمخالفة لي.
(وما كنتما(7) بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان): فيه وجهان:
أحدهما: أن يريد أن المهاجرين على كثرتهم وجموع أعدادهم بايعوني، لم يخافوا مني سطوة(8)، ولا هم في تقية من أمري، فكيف تخافان أنتما.
وثانيهما: أن يكون مراده أن المهاجرين ليس لأحدهم من الفضل وعلو الرتبة مثل مالكما، ومع ذلك

فإنهم ليسوا في خوف ولا تقية فيما فعلوه من البيعة، فكيف يكون حالكما مخالفاً لحالهم، وأنتما أحق بعدم التقية لما لكما من الفضل والسابقة وعلو المحل.

---

(1) في شرح النهج: ولا لحرص حاضر.

(2) في نسخة: إمامته، (هامش في ب).

(3) في (ب): لما خلى حبل المسلمين.

(4) تعالى، زيادة في (ب).

(5) في (ب) وشرح النهج: وتوبا إلى الله.

(6) في (أ): قد.

(7) في شرح النهج: ولعمري ما كنتما...إلخ.

(8) في (ب): من سطوة.

*(1977/5)*

---

(وإن دفعكما هذا الأمر): امتناعكما من البيعة وتأخركما عنه.

(من قبل أن تدخلا فيه): بما كان من إعطاء البيعة والانقياد للأمر(1).

(كان أوسع عليكما): مجالاً وأفسح مضطرباً.

(من خروجكما منه): من غير بصيرة لكما في ذلك.

(بعد إقراركما به): تصريحكما بصحته.

(وقد زعمتما أني قتلت عثمان): بما كان من تخلفي عن نصرته وخذلاني له، أو يكون غرضهما بأمري بذلك، فإن ظاهر كلامه فيما نقله عنهما(2) محتمل لذلك.

(فبيني وبينكما): متوسط وحاكم.

(من تخلف عني): وتخلفه عنه، إما عن البيعة فلم يبايع، مثل ما كان من عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص وغير هؤلاء، وإما عن الخوض في أمر عثمان فإن منهم من وقف في حاله عن خذلانه ونصرته، ولم يتكلم فيه.

(وعنكما): بترك المتابعة لكما في النكث لبيعتي وخروجكما عنها، وإما عن النصرة لعثمان كما هو رأيكما.

(من أهل المدينة): التي هي موضع الهجرة ومهبط الوحي ودار الإسلام والإيمان.

(ثم يُلْزَمُ كل امرئ بقدر ما احتمل): من ذلك من الجرم.

(فارجعا أيها الشيخان(3)): عما أنتما فيه من البغي والخروج عن الحق، وما عليه أهل الدين.

(عن رأيكما): الخطأ وعزمكما المخالف للحق.
(فإن الآن أعظم أمركما العار): يريد أن الذي ينقم عليكما من جهة الدين إنما هو العار بما ركبتما من مخالفة المؤمنين واتباع غير سبيلهم، وسلوك غير طريقهم.
(من قبل أن يجتمع العار والنار): فالعار ما يلحق به الذم من المخالفة بالبغي، والنار من جهة الله تعالى بالعقوبة على ذلك.

---

(1) في (ب): للإمام.
(2) في (ب): فيما نقله ها هنا عنهما ...إلخ.
(3) في نسخة: الرجلان، (هامش في ب).

*(1978/5)*

---

(55) ومن كتاب له [عليه السلام](1) إلى معاوية
(أما بعد؛ فإن الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها): أراد إما طريقاً إلى الجنة، وإما جعل ما يكون في الآخرة جزاء لما يكون في الدنيا من الطاعة والمعصية بالثواب والعقاب، وإما أن يريد جعل الدنيا وصلة إلى رضوان الله والفوز بجواره.
(وابتلى فيها أهلها): أراد إما بالخير والشر، وإما أن يريد بأهلها بعضهم ببعض، أو أراد بما يكون من فتنة الشيطان والنفس والهوى وغير ذلك من أنواع البلايا والمصائب اللاحقة فيها.
(ليعلم أيهم أحسن عملاً): أكثر مطابقة لرضاه مع هذه البلايا وشدة هذه الفتن.
(ولسنا للدنيا خُلِقْنَا): إنما خُلِقْنَا من أجل العبادة، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[الذاريات:56]، وأيضاً فالخلق إنما يكون لأمر دائم وهو الثواب المستحق على العبادة.
(ولا للسعي فيها(2) أُمِرْنَا): للاجتهاد والاضطراب وإحرازها كان أمر الله لنا.
(وإنما وُضِعْنَا فيها لنبتلى(3) بها): من أجل البلوى والامتحان والاختبار.
(وقد ابتلاني الله بك): بأن أحاربك على مخالفتك(4) لي وبغيك عليَّ، وعصيانك لله، وطلبك الفساد في الأرض بغير الحق.
(وابتلاك بي): كما ابتلى إبليس بآدم، فجعل طاعتي واجبة عليك وأمري لازم لك فخالفت الأمر، وخرجت عن الطاعة.
(فجعل أحدنا حجة على الآخر): أنا حجة عليك في وجوب الاتباع والانقياد وترك المخالفة، وأنت حجة عليَّ في وجوب جهادك على مخالفة الله تعالى(5) وتعدي حدوده.

---

(1) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(2) في نسخة: ولا بالسعي لها، (هامش في ب).
(3) في نسخة: لنبلى (هامش في ب).
(4) في (أ): على مخالفة، وهو تحريف.
(5) تعالى، زيادة في (ب).

*(1979/5)*

---

(فغدوتَ على طلب الدنيا): أي تجاوزت الحد في إحراز الدنيا والتهالك في حبها.
(بتأويل القرآن): بأن تأولت القرآن على غير وجهه، فأوهمت أهل الشام أني قاتل لعثمان، وأنك طالب بدمه، محتجاً بقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ}[البقرة:178]، فطلبت الدنيا بتأويلك الفاسد.
(فطلبتني(1) بما لم تجن يدي): من القتل.
(ولا لساني): ولا أمر به لساني.
(وعصبته أنت وأهل الشام): بما كان منكم من المخالفة.
(بي): بسببَي ومن أجلي.
(وألَّب عالمكم جاهلكم): أي جمع عليَّ وحرض من كان عالماً بحالي وفضيلتي من كان جاهلاً بها بالحرب والمخالفة.
(وقائمكم قاعدكم): أي وحثَّ من كان قائماً بمعاداتي من كان قاعداً عنها، وساكتاً عن النطق بها.
(فاتق الله في نفسك): بالانقياد لأمره، وترك المخالفة له في أحوالك كلها.
(ونازع الشيطان قيادك): القياد: الحبل الذي يقاد به الحيوان، وأراد وأملكه على نفسك ولا تمكِّن الشيطان منه فيقودك به.
(واصرف إلى الآخرة وجهك): يشير بهذا إلى إدباره عن الآخرة، وتهالكه في حب الدنيا، وطلب الرئاسة فيها، وأخذها من غير حلها، وعلى غير وجهها.
(فهي طريقنا وطريقك): إما إلى الآخرة وأهوالها، وإما إلى النار والجنة، وإما إلى الأعمال الصالحة وخلافها.
(واحذر أن يصيبك الله بعاجل قارعة): ببلية شديدة لا يمكن وصف حالها.
(تمش(2) الأصل): أي تقلعه، وهو بالشين المنقوطة من أعلاها.
قال الأصمعي: المش: مسح اليد بالشيء الخشن بقلع الدسم منها.
قال امرؤ القيس:

نمش بأعراف الجياد(3) أكفنا

---

(1) في شرح النهج: وطلبتني.

(2) في شرح النهج: تمس، أي تقطع.

(3) في (ب): الجبال.

*(1980/5)*

---

إذا نحن قمنا عن شواء مضهّب(1)

ذ

(وتقطع الدابر): أي العقب؛ لأنه يدبر الإنسان ويخلفه بعده.

(فإني أولي لك بالله أَلِيَّةً غير فاجرة): أي أحلف حلفاً صادقاً، واليمين الفاجرة: هي(2) المائلة عن سمت الحق وطريقه.

(لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار): ما سبق به علم الله ونفذ به قضاؤه من قتل من يقتل وأخذ من يؤخذ.

(لا أزال بساحتك(3)): أي بناحيتك وجهتك، ولا أقلع عن ذلك.

(حتى يحكم الله): بما أراد من حكمه إما علي وإما لي.

(وهو خير الحاكمين(4)): أعلمهم بما فيه مصلحة لي ولك وأحقهم بذلك.

(56) ومن كلام له أوصى به شريح بن هانئ(5) لما جعله على مقدمته إلى الشام

(اتق الله في كل صباح ومساء): في جميع أوقاتك كلها، وخصَّ الصباح والمساء لشمولهما طرفي النهار، كما قال تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}[طه:130].

---

(1) أورده في لسان العرب 488/3 وقال في شرحه: المضهب: الذي لم يكمل نضجه، يريد أنهم أكلوا الشرائح التي شووها على النار قبل نضجها، ولم يدعوها إلى أن تنشف فأكلوها وفيها بقية من ماء.

(2) في (ب): وهي.

(3) في شرح النهج: بباحتك.

(4) في شرح النهج: حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

(5) هو شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد المذحجي، كان أبوه هانئ يكنى في الجاهلية أبا الحكم، لأنه كان يحكم بينهم، فكناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي شريح إذ وفد عليه، وابنه شريح هذا من جلة أصحاب عليعليه السلام، شهد معه المشاهد كلها، وعاش حتى قتل بسجستان في زمن الحجاج، وشريح جاهلي إسلامي، يكنى أبا المقدام. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 138/17).

*(1981/5)*

---

(وخف على نفسك الدنيا الغَرُورَ): أي كن خائفاً في أحوالك كلها لغرورها وخدعها ومكرها.

(ولا تأمنها على حال): فإن من كان من طبعه الخدع والمكر لا يؤمن في حالة من الحالات.

(واعلم أنك إن لم تردع نفسك): ردعه إذا كفه عما يريد(1).

(عن كثير مما تحب مخافة مكروهه): المعنى أنك إذا كففت نفسك(2) عن كثير من محبوباتها مخافة أن تقع في الأمور المكروهة.

(سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر): علت بك إلى معظم الضرر وكثيره.

(فكن لنفسك مانعاً رادعاً): فالمنع عن الشرور، والردع عن هواها(3).

(ولنزوتك(4) عند الحفيظة): النزوة: الوثبة، والحفيظة: الغضب، ومن أمثالهم: الحفيظة تذهب الحقد؛ لأن الحقد شيء يسير يقع في القلب قليل، لا تأثير له، فإذا وقعت الحفيظة فهي أشد من الحقد وأقوى حكماً منه، ولا جرم كان الحقد لضعفه ذاهباً عندها، لما كانت أعظم حالاً منه، ولهذا فإن من كان في قلبه حقد على غيره ثم قتل ولده فإن القتل يذهب ما كان من الحقد بحصول ما هو أعظم منه جرماً، فهذا مرادهم بقولهم: الحفيظة تذهب الحقد.

(واقِمًا): الوقم: أشد الرد.

(قامعاً): قمعه إذا كفه بعنف وشدة، وأراد كن لها عند هذه أشد كافٍّ وأعظم رادٍّ.

(57) ومن كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

(أما بعد، فإني خرجت مخرجي هذا إما ظالماً وإما مظلوماً): إما هذه هي المكسورة المكررة التي تأتي للعطف، كقوله تعالى: {فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}[محمد:4] وهذه كلها ومابعدها أحوال منصوبة من التاء في خرجت.

---

(1) في (ب): يريده.

(2) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: إذا لم تكفف نفسك.

(3) في (ب) ونسخة أخرى: هوائها.

(4) في شرح النهج: ولنزواتك.

*(1982/5)*

---

(وإما باغياً أو مبغياً عليه(1)): وغرضه من هذا(2) إيجاب الحجة على من بلغه وسمعه، وأنه غير منفك من(3) هذه الأحوال.

(وأنا أذكِّر الله من بلغه كتابي هذا): أراد إما أذكِّره وعيده ووعده(4) على الطاعة والمعصية من ذاك، أو أراد أسأله بالله وأناشده به.

(لما نفر إليَّ): لما إن كان مخففاً، فما ها هنا زائدة، واللام هذه جواب القسم داخلة على الفعل الماضي، وإما أن(5) تكون مثقلة بمعنى إلا، وهي في وجهها كهي في قوله تعالى:{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}[الطارق:4]، على القرآتين جميعاً(6)، وأراد إلا أتى على عجلة نحوي.

(فإن كنت محسناً أعانني): على إحساني فله الأجر(7) مضاعفاً على ذلك.

(وإن كنت مسيئاً استعتبني): طلب عتابي عما أنا فيه وكفني عنه.

(58) ومن كتاب له إلى أهل الأمصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين

(وكان بدء أمرنا أنَّا التقينا والقوم من أهل الشام): وكان مبدأ الأمر وأوله أن المقادير جمعتنا، وقوله: (والقوم من أهل الشام): عطف على الضمير المرفوع من غير تأكيد له، ولا ما يقوم مقامه، كقولك: قمت وزيد، وإلى جوازه من غير تأكيد، ذهب علماء الكوفة.

(والظاهر): من حالنا وحالهم في ذلك.

(أن ربنا واحد، ونبينا واحد): لانعدل عن أحدهما لغيره(8).

---

(1) في (ب): عليَّ.

(2) في (ب): هذه.

(3) في (ب): عن.

(4) في (ب): وعده ووعيده.

(5) أن، زيادة في (ب).

(6) أي لمَّا بالتشديد، وهي قراءة، ولَمَا بالتخفيف وهي قراءة أخرى.

(7) في (ب): فله الأجر، فله الأجر مضاعفاً على ذلك.

(8) في (ب): بغيره.

*(1983/5)*

---

(ودعوتنا في الإسلام واحدة): وهي كلمة التوحيد، المشار إليها بقوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ}[آل عمران:64].

(لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله): أي لا نطلب منهم الزيادة على ما هم عليه من ذلك لتمكنهم فيه وانقطاعهم إليه.

(ولا يستزيدوننا): في الإقرار به والثبات عليه شيئاً.

(والأمر واحد): بيننا وبينهم في الدين والإسلام، لا مخالفة بيننا وبينهم في ذلك.

(إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان): الاستثناء هذا متصل، وهو منصوب على الإيجاب، أي وكل أمورنا مستوية إلا ما كان من الخلاف في قتل عثمان.

(ونحن منه بَرَاءٌ): البَراء بفتح الباء هو: المصدر، والبُراء بضم الباء هو: جمع بريء كنذير ونذراء.

(فقلنا لهم: تعالوا): أي فكان من قولنا لهم وخطابنا إياهم أن قلنا لهم: أقبلوا، وتعالوا اسم من أسماء الأفعال تقول فيه: تعال يا زيد، تعالي يا هند، تعالوا يارجال، تعالين يانساء بفتح اللام في هذا كله، قال الله تعالى: {تَعَالَوْا}، وقال: {فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ}[الأحزاب:28]، وأراد أقبلوا.

(نداوي ما لا يُدْرَكُ اليوم): نصلح بالدواء ما لا يلحق اليوم لعظمه وتفاقمه، والإدراك: اللحوق.

(بإطفاء النائرة): الباء متعلقة بيُدْرَك، والنائرة بالنون هي: الحرب.

(وتسكين العامة): عن الفشل والاضطراب.

(حتى يشتد الأمر): يقوى ويستفحل.

(ويستجمع): يكون مجتمعاً أمره.

*(1984/5)*

---

(فنقوى(1) على وضع الحق في مواضعه): وأراد أخذ قتلة عثمان بجرمهم، وإنصاف الحق من جهتهم؛ لأنهم قد كانوا سألوه ذلك، وهو أن يمكِّنهم من قتلة عثمان للقصاص وأخذ الحق، فقال لهم هذه المقالة، وحاصلها ترك الأمر حتى تقوى قواعده وتشتد أركانه، ويجري الشرع في ذلك مجراه، فهذا كان رأيه في أول أمره.

(فقالوا: بل نداويه بالمكابرة): أي بالتكبر والتعاظم علينا في ذلك، ومنه الكبرياء وهو: التعاظم.

(فأبوا): فكرهوا ما أشرنا إليهم(2) من المصلحة، فكان من أمرنا وأمرهم في الحرب ما كان، وانتهت حالنا وحالهم إلى ما عرف.

(حتى جنحت الحرب): أي مالت.

(وركدت): أي ثبتت، وذكر هاتين الحالتين لشمولهما لها؛ لأنها لاتزال بين ميلان على قوم وركود على آخرين، ومنه قولهم: الحرب سجال أي يوم لك ويوم عليك.

(ووقدت نيرانها): توقدت وعظمت، وهم يستعيرون للحرب صفات النار من التوقد والالتهاب لعظمها وصعوبة الأمر فيها.

(وحمشت): بالحاء المهملة والشين بثلاث من أعلاها أي التهبت غضباً.

(فلما ضرَّستنا وإياهم): عضتنا بأضراسها، وهو كناية عن اشتدادها، يقال: ضرَّسه الزمان إذا اشتد عليه.

(ووضعت مخالبها فينا وفيهم): مخالب الأسد هي: براثنه، وهي أظفاره، وأراد أنها أخذت منا ومنهم.

(أجابوا عند ذلك): الإشارة إلى ما كان من الحرب من التأثير في الفريقين.

(إلى الذي دعوناهم إليه أولاً): وهو كف الحرب، وتسكين الدهماء، وحقن الأموال عن السحت(3) وصيانة الدماء، وهو يشير إلى التحكيم وندبهم إليه.

(فأجبناهم إلى ما دعوا): من ذلك وأسعدناهم إليه.

---

(1) في (ب): فيقوى.

(2) في (ب): إليه.

(3) أي الاستئصال، من أسحته ماله إذا استأصله.

*(1985/5)*

---

(وسارعناهم إلى ما طلبوا): أي كانوا سريعين(1) إلى ذلك، عجلين إليه، لكنا أسرع(2) منه(3) إليه طلباً منا للمناصحة في الدين وسعياً إلى إصلاح الأمر في ذلك.

(حتى استبانت عليهم الحجة): ظهر أنهم مغلوبون(4) بما أوضحنا عليهم من الحجج في ذلك وأفحمناهم فيه، يشير إلى طلبهم لدم عثمان.

(وانقطعت فيهم المعذرة): يعني العذر، وصار كأنه لا عذر لهم فيما طلبوه(5) من ذلك، إذ كان طلباً لاوقع له، وخصاماً لا فائدة ورائه، ولكنه تجني على من لا ذنب له، ولوم على من لا لوم عليه.

(فمن تمَّ على ذلك): يريد المبغي(6)، واستمر عليه مع ظهور ما قد ظهر له من البصيرة في رجوعه عما كان عليه من البغي.

(منهم): من أهل الشام معاوية وأحزابه.

(فهو الذي انتقذه(7) الله من الهلكة): أي نجاه الله(8) منها، والهلكة هي: الهلاك، وانتقذه وأنقذه

بمعنى واحد، وكلاهما قد روي، وسماعنا فيه: (انتقذه).

(ومن لجَّ): فلان لجَّ في العداوة إذا ولع بها وأكثر من فعلها.

(وتمادى): أي أكثر من مداها، ولم يقف على غاية من ذلك.

(فهو الراكس): الراجع في غيه، ومنه قولهم: ارتكس فلان إذا رجع في أمر قد كان نجا منه.

---

(1) في (ب): مسرعين.

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: أسرعنا.

(3) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: منهم.

(4) في (ب): مغلولون.

(5) في (ب): يطلبون.

(6) كذا في (أ) و(ب)، وظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: يريد الرجوع عن البغي.

(7) في شرح النهج: أنقذه.

(8) الله، زيادة في (ب).

*(1986/5)*

---

(الذي ران الله(1) على قلبه): أي غلب الله على قلبه بالخذلان والفساد، والرين: الطبع والدنس، وغرضه أن القلوب منهم قد رانت عليها الذنوب فسودتها وغلبت عليها بالتطخية(2) والقساوة.

(وصارت دائرة السوء على رأسه): المراد بالدائرة هي: البلية الدائرة عليهم، شبهت بالدائرة في الخط لاستيلائها عليهم وإحاطتها بهم من جميع الجهات والجوانب، كما قال الله تعالى: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}[التوبة:98]، وقد حكينا من أمر التحكيم في أثناء الخطب المتقدمة ما فيه كفاية.

(59) ومن كتاب له [عليه السلام](3) إلى الأسود بن قطبة صاحب حلوان(4)

(أما بعد، فإن الوالي إذا اختلف هواه): يريد باختلاف الهوى هو أنه تارة يكون مع هذا على غيره، وتارة يكون مع ذاك على من سواه، من غير التفات إلى النصفة، ولا مواظبة على تحري المعدلة بين الخلق، ومراعاة الإنصاف بينهم، فمن فعل هذا في رعيته ومن تحت يده.

(منعه ذلك كثيراً من العدل): لأن العدل هو مخالف للهوى ومضاد له، فإذا كانت عمدته الهوى منعه ذلك عن العدل في كل أحواله لما ذكرناه.

(فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء): من غير حيف ولا ميل اتباعاً للهوى؛ لأن الله جعلهم بالإضافة إلى الحق على سواء، ولا تفضيل لأحد على أحد فيه.

(فإنه ليس في الجور عوض عن العدل): يعني أن الجور لا يقوم مقام العدل في شيء من أحكامه؛ لأن عوض الشيء يكون سادّاً مسدَّه، وقائماً مقامه، والجور لايسدُّ مسدَّ العدل.

---

(1) في (ب): الذي قد ران الله...إلخ.

(2) أي التغطية.

(3) زيادة في شرح النهج.

(4) في شرح النهج: صاحب جند حلوان.

*(1987/5)*

---

(فاجتنب ما تُنْكر أمثاله): من غيرك وتكون رادّاً له(1) عليه من جهة نفسك، هذا على أن تنكر مبني لما سمي فاعله، فأما على من رواه مبنياً لما لم يسم فاعله، فالغرض فيه فاجتنب ما تنكر من غيرك أمثاله.

(وابتذل نفسك فيما فرض(2) الله عليك): التبذل بالذال بنقطة من أعلاها هو: الامتهان وخلاف التصون، وأراد امتهن نفسك واستخدمها في أداء ما فرض الله عليك من فروضه وأداء واجباته

(راجياً ثوابه): امتهان من يكون راجياً للثواب.

(ومتخوفاً من عقابه): أن يلحقك ويتصل بك.

(واعلم أن الدنيا دار بلية): أي فتن ومحن وشرور.

(لم يفرغ صاحبها فيها(3) ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة): يعني أنه لم يفرغ ساعة عن اكتساب الأعمال الصالحة إلا ندم عليها لا محالة، حيث لم يكن اغتنمها، وفعل فيها أفعال الخير.

(وإنه لن يغنيك عن الحق شيء(4) أبداً): يعني أن عملك على الحق واشتغالك بالحق لا يقوم مقامه شيء، ولا يعتاض عنه شيء(5).

(ومن الحق حفظك(6) نفسك): عن كل ما يهلك الدين، ويوقع النفس في غضب الله تعالى(7) وسخطه وعذابه.

(والاحتساب على الرعية بجهدك): الاحتساب هو: الأجر على العدل من جهة الله تعالى.

---

(1) له، سقط من (ب).

(2) في شرح النهج: افترض.

(3) في (ب): منها، وفي شرح النهج: لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة ...إلخ.

(4) في نسخة: غنآء (هامش في ب).
(5) في (ب): ولا تعتاض عنه بشيء.
(6) في نسخة: حفظ، ذكره في هامش (ب)، وفي شرح النهج: ومن الحق عليك حفظ نفسك.
(7) تعالى، سقط من (أ).

*(1988/5)*

---

(فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك): يريد أن الذي يصل إليك من الثواب بسبب حفظك(1) نفسك، وجزاء على عدلك في الرعية أفضل لا محالة مما يصل بسبب عدلك إلى الرعية من(2) الأمن والرفاهية وطيب العيش وقرار النفوس؛ لأن ذلك منقطع حقير بالإضافة إلى أجر(3) الله وثوابه.

(60) ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيش

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مرَّ به الجيش): يخاطب بذلك أهل ولاياته، والذين يتصرفون عن أمره.

(من جباة الخراج): الذين(4) يأخذونه ممن وجب عليه، والأرض الخراجية هي سواد العراق(5) كما ذكرناه من قبل.

ويحكى أنها اثنان وثلاثون ألف ألف جريب، والجريب: ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ذراع، ويؤخذ الخراج من كل جريب شعير(6) درهمان، ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم، ومن كل(7) جريب القصب ستة دراهم، ومن كل جريب نخل عشرة دراهم، ومن كل جريب كرم ثمانية دراهم، ومن كل جريب زيتون اثني عشر درهماً.

---

(1) في (ب): حفظ.
(2) في (ب): في.
(3) في (ب): جزاء.
(4) في (ب): الذي.
(5) قال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 294/2 ما لفظه: وقال الغزالي في كتاب (فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية) ما لفظه: ومذهب الشافعي وطوائف العلماء أن رض العراق وقف: من عُبَّادان إلى الموصل طولاً، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، وإنما وقفها على المسلمين عمر بن الخطاب ليكون خراجها منصباً إلى بيت المال ومصالح المسلمين. انتهى.

(6) في (أ): شعيراً.
(7) كل، زيادة في (ب).

*(1989/5)*

---

ويحكى أن عمر رضي الله عنه جبا الأرض الخراجية في أيامه مائة ألف ألف درهم وسبعة وثلاثين ألف ألف درهم، ولا يُغيِّر عما فعله عمر فيها لإجماع الصحابة على فعله(1)، فلهذا كان حجة واجبة القبول.

---

(1) قال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 2/293-294 في ذكر الخراج وكيفية وضعه ما لفظه: ... وكما فعله الصحابة كما روي أن الصحابة وضعوا الخراج باتفاق منهم وإجماع متظاهر، ولذلك أن عمر لما افتتح بلاد العجم قال له الناس: أقسم الأرض بيننا، فاستشار عليًّاعليه السلام وسواه من الصحابة بحضر منهم فقال علي عليه السلام: (إن جرت فيها المواريث ثم حدث شيء فأخذت من أيديهم قالوا: ظلمنا، ولكن افرض خراجاً واجعل بيت مال، وافرض لهم عطاء يغنيهم) ففرض عمر على كل جريب بلغه الماء عمل أو لم يعمل درهماً وقفيزاً مما يسمى الآن حجاجياً حنطة، وعلى كل جريب من الكرم عشرة دراهم وعشرة مخاتم حنطة، وعلى كل جريب من القصابية خمسة دراهم وخمسة مخاتم حنطة، وعلى كل جريب أرض تصلح للزرع درهماً ومختوماً زرعت أم لم تزرع، والمختوم يومئذ صاع، وكان هذا باتفاق منهم من غير نكير أحد فصار إجماعاً. انتهى._ ... _ثم ساق روايتين الأولى من مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام تحكي كيفية وضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للأرض الخراجية، والثانية عن الإمام الهادي تحكي أمر أمير المؤمنين علي عليه السلام لعامله في كيفية وضع الأرض الخراجية، وكلاهما تختلفان في الكمية المقدرة لكل جريب من أي نوع. (انظرهما في المصدر المذكور)._ ... _ثم قال الإمام القاسم بن محمد بعد سياق الروايتين المشار إليهما ما لفظه: قلت وبالله التوفيق: دل جميع ما تقدم على أن التصرف في الأرض المستفتحة إلى الإمام. انتهى.

*(1990/5)*

---

(وعمال البلاد): جبات الصدقات، وما يأخذه الإمام، ويتصرف فيه.
(أما بعد، فإني قد سيَّرت جنوداً): للغزو والجهاد في سبيل الله تعالى(1).

(وهي مارَّة بكم إن شاء الله تعالى(2)): مجاوزة لكم.
(وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى): من أنفسهم إلى سائر من يمرون به من سائر الضعفاء والمساكين، ومن لا قدرة له(3) عليهم.
(وصرف الشذى): بشين منقوطة من أعلاها وذال بنقطة من أعلاها أيضاً وهو: الشر.
قال ابن دريد:
لدن إذا لوينت سهل معطفي

ألوي إذا خوشنت مرهوب الشذى

(وأنا أبرأ إلى الله وإلى ذمتكم): برئ من الشيء إذا خلى عنه، وأراد أني بريء من الإثم إلى الله وإليكم.
(من معرة الجيش): المعرة: المساءة، قال الله تعالى: {فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ}[الفتح:25]، وأراد ضرهم ومساءتهم.
(إلا من جوعة المضطر الذي(4) لا يجد عنها مذهباً إلى شِبَعِهِ): والمعنى في هذا أني أبرأ إلى الله من مضرة أو مساءة تلحقكم من جهة الجيش وسببه، إلا من جوعة يضطر إليها ولا يجد إلى سدِّ جوعته طريقاً، وفي كلامه هذا دلالة على أنه إذا بلغ إلى هذه الحالة جاز له تناول ما يسدُّ به رمقه وينهض به حاله.
(فنكِّلوا من تناول منهم ظلماً): اجعلوه نكالاً وعبرة من همَّ منهم بأخذ المال ظلماً، وأزيلوهم:
(عن ظلمهم): عما يظلمون به الخلق ويأخذونه غصباً.
(وكفوا أيدي سفهائكم): اقبضوها عن أن يصلوا إليهم شراً وزمُّوها(5).

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).
(2) تعالى، زيادة في (ب).
(3) في (ب): لهم.
(4) في (ب): التي، والكلمة سقطت من شرح النهج.
(5) في (ب): بشر أو زموها.

(عن مضادتهم): المضادة: المنافاة، وهو أن تريد فعلاً ويريد غيرك أن يفعل ما يناقضه ويخالفه، فيكون فعله هذا مضادة.

(والتعرض لهم فيما استثنيناه): يعني وإذا فعلوا ما ذكرنا في الاستثناء من سدهم الجوعة(1) على جهة الاضطرار، فلا يعترضون في ذلك.

(وأنا بين أظهر الجيش): يقال: هو بين أظهرهم وبين ظهرانيهم إذا كان حاصلاً بينهم ومعهم.

(فارفعوا إليَّ مظالمكم): الظلامة والظليمة(2) والمظلمة: اسم لما يأخذه الظالم منك.

(وما عراكم): أي وما غشيكم من ذلك، يقال: فلان تعروه الضيوف أي تغشاه.

(مما يغلبكم من أمرهم): غلبه الأمر إذا قهره ولا يستطيع دفعه.

(ولا تستطيعون(3) دفعه): إزالته عنكم.

(إلا بالله وبي): بمعونة الله وعنايتي.

(أغيِّره بمعونة الله): بالإزالة والإماطة بلطف الله وإعانته لي في ذلك.

(إن شاء الله تعالى(4)): يعني أن ذلك كله موقوف على مشيئة الله تعالى(5) وإرادته ومعونته ولطفه.

---

(1) في (ب): الجوع.

(2) في (ب): والظلمة.

(3) في شرح النهج: ولا تطيقون، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) تعالى، زيادة في (ب).

(5) في (أ): على مشيئته وإرادته ...إلخ.

*(1992/5)*

---

(61) ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد(1) وهو عامله على هيت(2)

(أما بعد؛ فإن تضييع المرء ما ولِّي): من هذه الولايات، واستؤمن عليه من هذه الأمانات من الرعاية للنفوس والأموال.

(وتكلفه لما كفي): وتعاطيه المشقة في رعاية ما قد كفى من ذلك.

(لعجز حاضر): غير منتظر.

(ورأي متبر): أي مهلك.

(وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا(3)): فلان يتعاطى الشجاعة أي يأخذها من جهة نفسه، وليس أهلاً لها، وأراد ها هنا أنه تعاطاها ولم يكن رأياً صواباً.

(وتعطيلك مسالحك): المراقب التي يُخَافُ منها دخول العدو، وهي التي تكون في مفاتح الطرقات.

(التي وليناك): إصلاحها والنظر في أمرها.

(ليس لها من يمنعها): عن العدو بعدك.

(ولا يرد(4) الجيش عنها): إذا قصدها وهمَّ بها بعد صدورك عنها.

(لرأي شعاع): أي متفرق، يقال: ذهبوا شعاعاً أي متفرقين في البلاد.

(فقد صرت): بعد انتقالك عن مواضعك، وبعدك عن ولاياتك للغزو في غيرها.

---

(1) هو كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم النخعي الصهباني الكوفي، المتوفى سنة82هـ، أحد أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأحد العبّاد والزهاد، شهد مع الإمام علي صفين، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، وقتله الحجاج، روى عن أمير المؤمنين، وابن مسعود، وعثمان، وعمر، وأبي هريرة، وعنه عبد الرحمن بن جندب الفزاري، وأبو إسحاق السبيعي، والأعمش وغيرهم، وهو من ثقات محدثي الشيعة. (انظر معجم رجال الاعتبار ص353 ترجمة رقم (698).

(2) هيت: بلدة بالعراق.

(3) في (أ): قرقيسا، وقرقيسيا: قرية على الفرات.

(4) في (ب): فلا يرد.

*(1993/5)*

---

(جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك): الجسر بفتح الفاء وكسرها هو: الذي يعبر عليه، وأراد أنك لما أخليت مواضعك صرت كالآلة، وكالجسر الذي يكون(1) طريقاً للمضي والعبور إلى قضاء الحوائج لأعدائك على من يكون من خاصتك وأوليائك.

(غير شديد اَلمنْكِب): المَنْكِب من الإنسان هو: مجتمع(2) الكتفين، وهو الكاهل أيضاً، وهو كناية ها هنا عن ضعف الأمر وهون الحالة.

(ولا مهيب الجانب): أي ولا يهاب جانبك، والهيبة(3): الخوف.

(ولا ساد ثُغْرَة): الثُّغْر: المكان الذي يخاف من جهته العدو.

(ولا كاسر لعدو شوكة): الشوكة: الحد، وغرضه أنه غير مجتهد في نكاية عدو وإزالة حدته.

(ولا مغنٍ عن أهل مصره): بإصلاح أحوالهم، وذبِّ العدو عن حوزتهم.

(ولا مجزٍ عن أميره): ولا كافٍ عن أميره فيما ولاَّه أمره، ولا مصلح(4) حاله، وظاهر كلامه ها هنا إنكار له على تخليته للمصر وأعماله المقصودة بالولاية والحفظ، وأنه لا ينبغي فعل ذلك وأمثاله إلا بإذن من جهة إمامه، فلهذا أنكر عليه صنعه في ذلك.

(62) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر(5) [رحمه الله] لما ولاَّه إمارتها

(أما بعد، فإن الله سبحانه(6) بعث محمداً [صلى الله عليه وآله ](7) نذيراً للعالمين): ما بين أيديهم من العقاب العظيم والألم البالغ الشديد، كما قال تعالى: {قُمْ فَأَنذِرْ}[المدثر:2].

---

(1) في (أ): التي تكون.

(2) في (ب): مجمع.

(3) في (ب): والجانب: الخوف، وما في (أ) هو الصحيح.

(4) في (ب): ولا يصلح.

(5) في (ب): مالك بن الأشتر، وما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج.

(6) سبحانه، زيادة في (ب)، وشرح النهج.

(7) زيادة في شرح النهج.

*(1994/5)*

---

(ومهيمناً على المرسلين): المهيمن أصله مأ أمن(1) بهمزتين فاستثقل اجتماعهما فقلبت الأولى هاء كما في نحو: أرقت الماء هرقت الماء، ولينوا الثانية ثم قلبوها ياءً فصار مهيمن أي شاهداً ورقيباً عليهم.

(فلما مضى [صلى الله عليه وآله](2)): إلى الله بعد إبلاغ الرسالة وتأدية الأمانة.

(تنازع المسلمون الأمر بعده): يعني الولاية في الأمة والقيام بأمرهم بعده.

(فوالله ما كان يلقى في رُوْعِي): الرُوع بالضم هو: القلب.

(ولا يخطر ببالي(3)): ولا يعرض بخاطري.

(أن العرب تزعج هذا الأمر(4)): أي تزيله وتعدِّيه.

(عن أهل بيته): أقاربه وأهله.

(ولا أنهم يمنحونه غيري(5)): أي يعطونه سواي، والمنحة: العطية.

(من بعده): ومصداق ما قاله عليه السلام أمران:

أما أولاً: فلأن أقارب الرجل وأهل بيته(6) أحق برئاسته، وإحراز مرتبته من غيرهم من الأجانب، وهذا ظاهر في عرف الخلق لا ينكره أحد.

وأما ثانياً: فبما كان قد علم من الأخبار بما يقضي له بالولاية والإمامة ويصرِّح بذلك، فلهذا قال: ما كان يخطر له ببال(7) ما فعلوه من ذلك لما تقضي به(8) القرائن وتشهد به الأحوال.

(فما راعني إلا انثيال الناس): أي فما هالني من ذلك إلا انصباب الناس وإجماعهم.

(على فلان): يعني أبا بكر.

(يبايعونه): يعقدون له الخلافة.

---

(1) في القاموس المحيط ص1600: مؤأمن.

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) في نسخة: على بالي (هامش في ب).

(4) في شرح النهج: أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله ...إلخ.

(5) في (ب): أن، وفي شرح النهج: ولا أنهم مُنَحُّوه عني.

(6) في (ب): ملته.

(7) في (أ): ببالي.

(8) به، سقط من (ب).

*(1995/5)*

---

(فأمسكت يدي): عن البيعة له، وقد مرَّ ذكر الخلاف في المدة التي تأخر عن البيعة فيها فلا وجه لتكريره، وهذا كله يشير به إلى ما كان من أمر السقيفة، وما وقع فيها من الخبط والخلاف.

(حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام): يعني أهل الردة(1)، وهم بنو حنيفة رهط مسيلمة.

(يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم): إلى تغييره وزواله.

(فخشيت أني إن لم أنصر الإسلام وأهله): أقوم معه، وأشد أركانه، وأقوي أنصاره من أهله.

(أن أرى فيه ثلماً): نقص ينقصه.

(أوهدماً): في أركانه وقواعده وأساساته.

(تكون المصيبة(2) عليَّ أعظم من فوت ولايتكم): من بطلانها عني وفواتها عن(3) يدي.

(التي هي متاع أيام قلائل): ثم تزول بالموت، وتنقطع آثارها وتمحى رسومها.

(يزول منها ما كان، كما يزول السراب): من الأمكنة التي يكون فيها، والسراب هو: ما يكون في الأمكنة الخالية المتسعة، شيء يشبه الماء، وعن قريب يبطل كأنه ما كان، فلهذا شبه زوال الولاية به.

(وينقشع(4) كما ينقشع السحاب): أي يزول ويتفرق.

---

(1) عن الردة وفرق المرتدين وأحكامهم انظر المجموع المنصوري رقم (2) ص41-52 وغيرها،

وذلك في الرسالة الهادية بالأدلة البادية في تبيين أحكام أهل الردة للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان عليه السلام.

(2) في (ب) وفي شرح النهج: تكون المصيبة به عليَّ...إلخ.

(3) في (ب): من.

(4) في (ب): أو ينقشع، و في شرح النهج: وكما يتقشع السحاب.

*(1996/5)*

---

(فمضيت(1) في تلك الأحداث): مضى في حاجته إذا قصدها غير ملتفت على غيرها، وأراد أنه سار مع أبي بكر إلى قتالهم، وكان من جملة الناصرين للدين في قتالهم، فقطع الله دابرهم، واستأصل شأفتهم(2).

(حتى زاح الباطل): أي بعد وذهب عن مستقره وموضعه.

(وَزَهَقَ): أي اضمحل وزال وتلاشى أمره.

(واطمأن الدين): سكن واستقر.

(وتنهنه): أي كفَّ، من قولهم: نهنهته فتنهنه أي كففته فكفَّ.

ثم إنه التفت إلى ذكر أهل الشام بقوله:

(إني والله لو لقيتهم واحداً): منفرداً لا أحد معي.

(وهم طلاع الأرض(3)): أي ملؤها فوق ظهرها.

(ما باليت ولا استوحشت(4)): ما وجدت في نفسي خيفة ولا وحشة من القتل ومن لقائهم.

(وإني من ضلالهم الذي هم فيه): ميلهم عن الحق الذي هم متلبسون به وساكتون عليه.

(والهدى الذي أنا عليه): والنور الواضح والبصيرة النافذة.

(لعلى بصيرة من نفسي): لا أشك فيها ولا أستريب من أجلها.

(ويقين من ربي): قطع فيما أنا عليه.

(وإني إلى لقاء الله لمشتاق): فلهذا لم أبال بالقتل ولا ألتفت عليه.

(ولحسن ثوابه لمنتظر راجٍ): لما أعد لأوليائه من كرامته وجزيل عطائه.

(ولكني آسى): الأسى هو: الحزن، وأراد إنه(5) ليحزنني:

(أن يلي هذه الأمة سفهاؤها): خلاف ذوي الأحلام منها.

(وفجارها): الخارجين عن الدين والمائلين عن طريقه، يشير بذلك إلى معاوية وبني أمية.

(فيتخذوا مال الله دُولاً): الدُولة بالضم في المال، يقال: صار الفيء دولة بينهم أي يتداولونه مرة لهذا ومرة لذاك(6).

(1) في شرح النهج: فنهضت.
(2) انظر شرح ابن أبي الحديد 17/153-154.
(3) في شرح النهج: وهم طلاع الأرض كلها.
(4) قوله: ولا استوحشت، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(5) أنه، سقط من (ب).
(6) في (ب): لذلك.

*(1997/5)*

---

وقوله: فيتخذوا منصوب بإضمار أن أي فأن يتخذوا إذ لم يسبق قبله ما يكون موجباً لنصبه من الأمورالثمانية(1)، ولهذا(2) كان نصبه بإضمارها، وربما جرى كثيراً.

(وعباده خولاً): أي خدماً، وكلامه هذا يشير به إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ويحكى أن عثمان أمر معاوية بإشخاص أبي ذر من الشام على أغلظ المراكب وأوعرها، فحمله معاوية على جمل بغير وطأ، وبعث معه دليلاً عنيفاً يعنف به في السير، فلما قدم المدينة دخل على عثمان فقال له: لا أنعم الله بك عيناً ياجنيدب.

(1) الأمور الثمانية التي أشار إليها المؤلف عليه السلام والتي تسبق فاء السببية الداخلة على الفعل المضارع فيكون منصوباً وجوباً بإضمار أن بعد الفاء، هي الأمور الدالة على طلب وتشمل:_ ... _1- النفي، مثل: ما تأتيني فأكرمَك 2- الأمر مثل: أطع الله فيدخلَك الجنةَ_ ... _3- النهي مثل: لا تهمل مذاكرة دروسك فترسبَ. 4- الدعاء، مثل: اللهم، تب عليَّ فأتوبَ._ ... _5- الاستفهام، مثل: متى تسير فأرافقَك؟ 6- العرض، مثل: ألا تأتينا فتحدثَنا._ ... _7- التحضيض، مثل: هلا اتقيت الله تعالى فيغفرَ لك._ ... _8- التمني، كقول الله تعالى: {يا ليتني كنت معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً}._ ... _وقد جمعها بعضهم في بيت من الشعر فقال:

مر، وادعُ، وأنهَ، وسلْ، واعرض، لحضهم

تمن، وأرج، كذاك النفي قد كملا

(2) في (ب): فلهذا.

*(1998/5)*

---

فقال له أبو ذر: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعبيده خولاً، ودين الله دخلاً، ثم يريح الله العباد منهم))(1).

فقال عثمان لمن بحضرته: أسمعتم هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالوا: ما سمعناه.

فقال عثمان: ادعوا علي بن أبي طالب، فدعي، فلما جلس قال عثمان لأبي ذر: اقصص حديثك في بني العاص.

فأعاد أبو ذر الحديث.

فقال عثمان: يا أبا الحسن، هل سمعت هذا من رسول الله؟

فقال أمير المؤمنين: (لم أسمعه، ولكن قد صدق أبو ذر).

فقال عثمان: وبماذا صدقته؟

---

(1) انظر تنبيه الغافلين للحاكم الجشمي ص159، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج56/3، 258/8، واللفظ في أوله فيه: ((إذا بلغ بنو أبي العاص ...))إلخ ، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 273/1 بلفظ: ((إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله)) وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 80/3، ومجمع الزوائد للهيثمي 241/5، ودلائل النبوة للبيهقي 507/6، وبلفظ: ((إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان دين الله دخلاً)) وعزاه إلى المستدرك للحاكم النيسابوري 479/4،480، والمطالب العالية لابن حجر (4531)، ومجمع الزوائد241/5، وكنز العمال برقم (30846)، (31055)، (31056)، (31057).

*(1999/5)*

---

فقال: لحديث الرسول عليه السلام فيه: ((ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر))(1).

فقال جميع من حضر من الصحابة: صدق أبو ذر(2).

(والصالحين حرباً): أي عدواً يحاربونه.

(والفاسقين حزباً): الحزب: الجماعة، وأراد(3) يجتمعون إليهم، والتحزُّبُ: التجَمُّع.

---

(1) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 56/3، 259/8، ورواه الإمام القاسم بن محمدعليه السلام في الاعتصام 53/1-54 وعزاه إلى الكامل المنير، والترمذي عن عمرو بن العاص مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وعزاه أيضاً إلى الجامع الصغير للسيوطي عن ابن عمر، وقال: أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، والحاكم، وعزاه أيضاً إلى شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني عن أبي ذر، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 40/9-41 إلى مصادر كثيرة انظرها هناك.

(2) أعلام نهج البلاغة -خ-، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 55/3-56، 258/6-259.

(3) في (ب): أراد بغير الواو.

*(2000/5)*

---

(فإن فيهم من(1) شرب فيكم الحرام): يريد المغيرة بن شعبة فإنه شرب الخمر في عهد عمر، وكان والياً من قِبَلِه فصلى بالناس سكران، وزاد في الركعات وقآء الخمر، فشهدوا عليه وضرب الحد(2)، وقيل: هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان والياً على الكوفة من قِبَلِ عثمان، فخرج إلى صلاة الفجر وهو سكران فصلاها أربعاً، ثم أقبل على الناس، وقال: هل أزيدكم؟ فقال غيلان(3) بن غيلان الثقفي: لا بارك الله لك أي شيء تزيد، ما نرى هذا إلا من أمير المؤمنين - يعني عثمان- إذ يؤمر علينا مثل هذا المفسد، وأنهي ذلك إلى عثمان فعزله، وأراد الناس أن يقيموا الحد على الوليد، وكان عثمان لا يأذن، فبعث علي الحسن عليهما السلام حتى دخل المجلس وأقام الحد عليه(4).

(وجلد حداً في الإسلام): يشير إلى المغيرة بن شعبة أو الوليد كما ذكرناه من قبل.

فأما المغيرة بن شعبة فقد كان شهد عليه بالزنا في أيام عمر، فلم يزل يتلطف بالشهود، ويحتال في إسقاط حد المحصن عنه حتى سقط، وقد كانت الشهادة كاملة، لولا ما كان من تردد أبي بُكْرة في ذلك(5).

---

(1) في (ب): الذي، وفي شرح النهج: فإن منهم الذي ...إلخ.

(2) أعلام نهج البلاغة -خ-.

(3) في نسخة: عبيدان بن غيلان (هامش في ب).

(4) انظر أعلام نهج البلاغة -خ- وشرح النهج لابن أبي الحديد 17/3-20، وعن أخبار الوليد بن عقبة وصلاته بالناس وهو سكران وغير ذلك انظر المرجع المذكور 227/17-245.

(5) انظر المصدر المذكور 229/12 وما بعدها.

(وإن منهم لمن(1) لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ): يشير بذلك إلى عمرو بن العاص إذ كان من المؤلفة(2)، والرضيخة: شيء قليل يرمى به على جهة الرشوة لأمر يُدْخَلُ فيه.

(فلولا ذلك): يشير إلى ما كان من بني أمية من الأحداث العظيمة في الدين.

(ما أكثرت تأليبكم): تجميعكم للحرب.

(وتأنيبكم): أي لومكم على ترك الجهاد.

(وجمعكم وتحريضكم): وضمكم وحثكم على القتال، والتحريض: الحث والزجر، قال الله تعالى(3): {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}[الأنفال:65].

(وتركِكم(4) إذ أبيتم): وإهمالكم(5) إذ كرهتم ما أدعوكم إليه.

(ووَنيتم): ضعفتم عن ملاقاة عدوكم.

(ألا ترون إلى أطرافكم): يريد أقاصي البلاد.

(قد أخذت(6)): بالاستيلاء عليها.

(وإلى أمصاركم قد فتحت): استفتحها اعداؤكم وأخذوها قهراً عليكم من غير مبالاة.

(وإلى ممالككم تُزْوَى): الممالك هي: الأموال والنفائس، تُزوى: أي تُجمع وتُقبض.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: من.

(2) ومن المؤلفة قلوبهم أيضاً: معاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد، وأبوهما أبو سفيان، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام بن المغيرة، وحويطب بن عبد العزى، والأخنس بن شريق، وصفوان بن أمية، وعمير بن وهب الجمحي، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس وغيرهم، وكان إسلام هؤلاء للطمع والأغراض الدنيوية، ولم يكن عن أصل ولا عن يقين وعلم. (انظر المرجع المذكور 226/17).

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) في (ب) وشرح النهج: ولتركتكم.

(5) في (ب): وأهملتكم.

(6) في شرح النهج: انتقصت.

(وإلى بلادكم تغزى): تقصد بالغزو وتشنُّ الغارات عليها من الأمكنة المختلفة، والأقطار المتباعدة، لايخافون منكم خوفاً.
(انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم): والنفر: الخروج من المساكن والأوطان لغرض من الأغراض، كما قال تعالى: {انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً}[التوبة:41].
(ولا تثَّاقلوا إلى الأرض): كنى بهذا عن القعود عن الجهاد والتبطئ عنه، كما قال تعالى: {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ}[التوبة:38].
(فتنفروا بالخسف): يروى (فتنفروا): وأراد أنكم إذا تثاقلتم عن الجهاد نفرتم بعد ذلك بالذل والمشقة، ويروى: (فتقرُّوا): من الإقرار أي فتقبلوا الخسف؛ لأن من أقرَّ بالشيء فقد قَبِلَهُ.
(وتبوؤوا بالذل): أي تستحقوه، من قولهم: باء بكذا إذا كان مستحقاً له.
(ويكون نصيبكم الأخس): أي الأنقص الدني، يقال: فعل(1) فلان خسيس إذا كان دنياً.
(إن(2) أخا الحرب الأَرِقُ): الأرق: السهر، وأراد هاهنا أن من كان مدارياً للحروب مداوساً(3) لها فإنه لاينام ويسهر عند ملاقاتها.
(ومن نام لم يُنَمْ عنه): يعني أنكم وإن ضعفتم وجبنتم عن ملاقاة أعدائكم، فليسوا بالموهنين للأمور وإنما هم مجدِّون فيها.

(63) ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه(4) لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل
(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس):

---

(1) فعل، سقط من (ب).
(2) في (ب) وشرح النهج: وإن.
(3) أي ماهراً.
(4) إليه، زيادة في شرح النهج.

*(2003/5)*

---

يروى أنه لما كتب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة يستنفرهم إلى حرب أهل الجمل طلحة والزبير وعائشة بالبصرة، أخذ في تخذيل الناس، وتثبيطهم عن اللحاق به، لأغراض مفهومة ومقاصد معلومة، لم يغب حالها على(1) أمير المؤمنين، فكتب إليه:
(أما بعد، فقد بلغني عنك قول): خاطبت به أهل الكوفة.

(هو لك): أي قلته من أجل نفسك، وليس للدين فيه ورد ولا صدر، ولا قصدت به وجه الله تعالى(2).

(وعليك): مضرته في الآخرة لما فيه من التخذيل عن نصرة الله والجهاد في سبيله.

(فإذا قدم عليك رسولي): بكتابي هذا.

(فارفع ذيلك): ما استحب من ثيابك، وفي الحديث: إن النساء كنَّ يجررن ذيولهنَّ على الأرض، فقلن: يا رسول الله، كم نُرخي؟

فقال: ((شبر)) فقلن: إذاً ننكشف، فقال: ((ذراع))(3).

(واشدد(4) مئزرك): إزارك، وهذا كله كناية عن العجلة وخفة السير والاستعجال فيه.

---

(1) في (ب): عن.

(2) تعالى، زيادة في (ب).

(3) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 283/5 إلى سنن النسائي (المجتبى) 209/8، ومسند أحمد بن حنبل 75/6، 296/6، والسنن الكبرى للبيهقي233/2.

قلت: وله شاهد رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في الأحكام 416/2، في باب القول في إسبال الإزار، فقال ما لفظه: وفي ذلك ما بلغنا عن أم سلمة زوج النبيصلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما ذكر الإزار: فالمرأة يا رسول الله، فقال: ((ترخي شبراً)) قالت: إذاً ينكشف عنها. قال: ((فذراعاً لا تزيد عليه)).

(4) في نسخة: وشدد، وفي نسخة أخرى: وشمر، (هامش في ب).

*(2004/5)*

---

(واخرج من جحرك): أي من بيتك، وفي الحديث: ((لو كان المؤمن في جحر فارة، لقيض الله له فيها(1) من يؤذيه))(2).

(واندب من معك): من أصحابك وخاصتك وأهل بلدك على الجهاد في سبيل الله والحث عليه.

(فإن خففت): في السير واستعجلت فيه.

(فانفذ): إلينا على العجلة، يقال: خف القوم إذا استقلوا ونهضوا، هذا على من رواه بفائين، فأما من رواه بقافين فوجهه أنه يقال: حققت الأمر أي تحققته وتيقنته.

(وإن تفشلت(3)): جبنت.

(فابعد): أراد إما فابعد(4) عنّا، والبعد: خلاف القرب، أو أراد فأهلك من بَعِدَ بالكسر يَبْعَدُ بالفتح إذا هلك.

(وايم الله لتؤتينَّ حيث أنت): أراد ليوصلنَّ إليك حيث كنت من الجهات لا يمنعك منها مانع.
(ولا تترك حتى تخلط زبدك بخاثرك): الزبد: ما صفا وطلع، والخاثر: ما ركد في أسفل الإناء.
(وذائبك بجامدك): وهذا كله كناية عن الإحاطة بمعرفة مقاصده ومراداته.
(وحتى تعجل عن قعدتك): القعدة بالفتح: واحدة القعدات، وبكسر القاف: الحالة من القعود، يقال: فلان حسن القعدة، وأراد تعجل عن توطنك (5) وراحتك.

---

(1) في (ب): لقيض الله فيه من يؤذيه.
(2) رواه في مسند شمس الأخبار 229/2 الباب (155)، وعزاه إلى مسند الشهاب، وعزاه محقق الاعتبار وسلوة العارفين ص130 إلى كنز العمال، وقال: عزاه إلى الديلمي عن أنس، وأورد له شاهداً بلفظ: ((لو كان المؤمن في جحر ضب لقيض الله له فيه من يؤذيه)) وعزاه إلى كنز العمال برقم (717، 781) وقال: وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وإلى البيهقي في شعب الإيمان، عن أنس.
(3) في نسخة: وإن فشلت، (هامش في ب).
(4) في (ب): ابعد.
(5) في (ب): توطئك.

*(2005/5)*

---

(وتحذر من أمامك، كحذرك من خلفك): أي ويأتيك ما تكرهه من أمامك كما يأتيك من خلفك، وغرضه من هذا كله تنبيهه على عظم ما هو لاق من شدائد الأمر وعظائمه.
(وما هي بالهوينا): أي وما القصة أو الحالة بالهينة، يريد حرب الجمل، وفيه تعريض بحاله حيث لم يخف عند وصول كتابه إليه، ويستعجل أمره في اللحاق به، والهوينا: تصغير الهونا، تأنيث الأهون.
(التي ترجو): تقع في ظنك وتتحقق في نفسك.
(ولكنها الداهية الكبرى): المصيبة العظيمة والفتنة الشديدة، التي لا غاية في الشدة إلا وهي بالغة لها وزائدة عليها.
(يركب جملها): ركوب الجمل جعله هاهنا كناية عن تفاقم الأمر وصعوبته؛ لأن الجمل إذا كان مركوباً عليه كان ذلك أشد ما يلاقي من التعب ومقاساة البلاء، لأنه يلحقه من ذلك الغم بترك الراحة والأكل والوقوف.
(ويذل صعبها): ما يصعب من أمورها العظيمة.
(ويسهَّل جبلها): ويوطئ ما كان وعراً لا يمكن وطئه.

سؤال؛ قد فسرت قوله: ويركب جملها بشدة الأمر وصعوبته، لكن قوله: ويذل صعبها ويسهل جبلها يمنع من ذلك، فكيف يمكن الملاءمة بينهما؟

وجوابه؛ هو أن غرضه في هذا كله من ركوب الجمل وذلة الصعب منها، وسهولة جبلها، أن هذه الفتن في أوائل أمرها ومبادئ أحوالها يركب جملها لسهولتها، ويُذَلُّ ما كان منها صعباً، ويسهل ما كان منها وعراً، فإذا كان في عواقب أمرها انقلبت هذه الأحوال كلها، وبدت نقائضها من الصعوبة والوعورة فيما رُكِبَ منها من الأهوال، ويُوطئ من الأمكنة الوعرة الجرزة، وعن هذا قال أمير المؤمنين في كلام سيأتي شرحه: (الفتن إذا أقبلت شبَّهت، وإذا أدبرت نبَّهت).

(فاعقل عقلك): أي احبس عقلك بالعقال واحفظه عما يغيِّره، ويكون سبباً في تخبطه.

*(2006/5)*

---

(واملك أمرك): عن أن تذهب به الرجال عن يمين وشمال.

(وخذ نصيبك وحظك): من الدنيا، وأقبل على ما يهمك من أمر الآخرة.

(فإن كرهت): ما أقول لك من هذه الآداب، وأعلمك من هذه الحكم للدين والدنيا والنافعة في الآخرة والأولى.

(فتنحَّ): أي ابعد عني.

(إلى غير رحب): سعة في أمرك.

(ولا في نجاة): عن الشرور والعواقب السيئة.

(فبالحريَّ لتكفينَّ وأنت نائم): يقال: فلان حري بكذا إذا كان حقيقاً به، وفيه استعمالان:

أحدهما: بفتح الراء أي هو حري أن يفعل، وعلى هذا لا يثنى ولا يجمع.

وثانيهما: بكسرها وعلى هذا يثنى ويجمع، فيقال: هو حر(1) بكذا وهما حريان وهم حريون، وهن حريات وحرايا، وفيه معنى القسم كأنه قال: فبالحري والله، ولهذا جاء باللام والنون المؤكدة جواباً له.

وقوله: وأنت نائم في موضع نصب على الحال، ويسد غيرك مسدك.

(حتى لايقال: أين فلان!): أراد أنه لايبقى موضع لذكرك أصلاً؛ لأن الرجل إنما يذكر عند الشدائد، إذا كان لايغني عنه أحد فيها(2)، ولايقوم مقامه، فأما إذا كان هناك من يقوم مقامه فلا وجه لذكره.

(وإنه لحق(3)): أي إن الذي ذكرته في شأنك وأمرك لحق سيأتيك نبأه وتفصيله.

(مع مُحِقٍّ): آخذ بالحق، فاعل له، وأراد به نفسه.

(ولايبالي ما صنع الملحدون): ما أبالي كذا أي لا أكترث به، ولا ألتفت إليه، أي لا يحتفل بما صنعه أهل الإلحاد في الدين والميل عنه، وفي هذا تعريض بحال أبي موسى لا يخفى على من له أدنى فطنة وكياسة.

(64) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً(4)

---

(1) في (ب): حري.
(2) فيها، سقط من (ب).
(3) في شرح النهج: والله إنه لحق، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(4) في شرح النهج: جواباً عن كتابه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

*(2007/5)*

---

(أما بعد، فإنا كنا نحن وأنتم(1) على ما ذكرت من الألفة والجماعة): يعني بني هاشم وبني أمية؛ لأن معاوية ذكر ذلك في كتابه من أن بني هاشم وبني أمية كانوا مؤتلفين مجتمعين، فأجابه أمير المؤمنين بقوله: إن ما قلته حق من الألفة والاجتماع.
(ففرق بيننا وبينكم أمس): يريد من الأفعال بالأمس، وكنى بقوله: أمس عن جميع الحوادث المتقدمة، وهي كناية لطيفة عجيبة، يتفطن لحالها أهل البصائر النافذة والقرائح المتقدة.
(أنَّا آمنا وكفرتم): يعني صدقنا بالرسول وكذبتموه.
(واليوم أنَّا استقمنا وفتنتم): يعني وفرق بيننا ما كان من الحوادث الآن، وهو أنَّا استقمنا على الدين، وعلى(2) ما جاء به الرسول عليه السلام، وفتنتم بإعراضكم عنه واختياركم البغي والفسق والمخالفة، والخروج عما عليه السلف الصالح من الأمة.

---

(1) في (ب): وإياكم.
(2) على، سقط من (ب).

*(2008/5)*

---

(وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً): يشير إلى أبيه أبي سفيان بن حرب، وقد ذكرنا من قبل سبب إسلامه، وما كان من حديثه والعباس يوم الفتح، وأن إسلامه ما كان إلا عن ضرورة وكرهاً وخيفة من القتل، ولهذا فإن العباس لما أدخله على الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم](1) قال له: ((ويحك يا أبا سفيان!، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله))، فقال: بأبي وأمي، ما أوصلك وأكرمك وأحلمك، والله

لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى، فقال: ((ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله))؟ فقال: بأبي وأمي أنت، أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويلك! تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فتشَّهد، وظاهر هذه القصة(2) أن إسلامه كان لامحالة عن كره، وأي إكراه أعظم من ضرب العنق.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) انظر الرواية في السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين 402/2-404، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 268/17-272، وأعلام نهج البلاغة -خ-.

*(2009/5)*

---

(وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزباً(1)): الحزب: الجمع، وأراد بأنف الإسلام اجتماع المهاجرين والأنصار معه، وكانوا تحت ركابه وهم عشرة آلاف، وهذا أيضاً دليل آخر على إكراه أبي سفيان؛ لأنه رأى ما هاله من هذه العدة مع الرسول(2) صلى الله عليه وآله، لا يخالفون أمره.

(وذكرت أني قتلت طلحة والزبير): أما طلحة فلا شك في قتله يوم الجمل، وقد ذكرناه من قبل، وذكرنا حديث قتله، وما كان فيه من(3) ندمه وتوبته.

وأما الزبير فلم يقتل(4) في ذلك اليوم ولكنه ولَّى هارباً، وذكرنا إنشاده لما أنشد من الشعر(5) دلالة على ندامته، وذكرنا ملقى عمار بن ياسر له.

(وشردت عائشة(6)): التشريد: الطرد والإبعاد.

(ونزلت المصرين): يعني البصرة والكوفة.

---

(1) في شرح النهج: حربا، بالراء المهملة، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 253/17 ما لفظه: (وبعد أن كان أنف الإسلام محارباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أي في أول الإسلام، يقال: كان ذلك في أنف دولة بني فلان، أي في أولها، وأنف كل شيء أوله وطرفه، وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله في أول الهجرة إلى أن فتح مكة. انتهى.

(2) في (ب): مع رسول الله صلى الله عليه.

(3) في (ب): في.

(4) فلم يقتل، سقط من (ب).

(5) وهو قوله:
نادى علي بأمر لست أنكره

وكان عمر أبيك الخير مذحين

فقلت حسبك من عذل أبا حسن

بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي تخشى عواقبها

لله أسلم في الدنيا وفي الدين

فاخترت عاراً على نار مؤججة

أنى يقوم لها خلق من الطين

(الروضة الندية ص68).
(6) في شرح النهج: بعائشة، وكذا في نسخة (هامش في ب).

*(2010/5)*

---

(وذلك أمر غبت عنه): يعني لم تشاهده.
(فلا عيب عليك فيه(1)): هل تكون فيه كاذباً أو غير كاذب؛ لأنك لو أخبرت عن المشاهدة أو كنت حاضراً له لأمكن تطرق التكذيب إليك فيه، ولكن أنت غائب عنه.
(ولا العذر فيه إليك)، فنوجه الاعتذار إليك، إذا كان فيه وجه من وجوه القبح.
(وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار): يعني بالمهاجرين من كان من أهل مكة وانتقل إلى المدينة، وبالأنصار من كان من أهل المدينة الأوس والخزرج، والزيارة هاهنا القصد للحرب والانتقام.
(وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك): يشير إلى قولهعليه السلام: ((لا هجرة بعد الفتح))(2)؛ لأن أخا معاوية يزيد بن أبي سفيان أسر بعد الفتح، أسره خالد بن الوليد حتى(3) تجمع معه الأحابيش

في أسفل مكة(4)، وكان إسلام معاوية أيضاً بعد الفتح بستة أشهر(5).

سؤال؛ قوله: وقد انقطعت الهجرة بعد قوله: وذكرت أني زائرك في المهاجرين والأنصار، كلام متنافر، فما وجه الملاءمة بينهما؟

وجوابه؛ هو أنه لما حكى قول معاوية: إنه زائر له في المهاجرين والأنصار، أجابه بكلام مشتمل على فائدتين:

---

(1) فيه، سقط من (ب).

(2) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 256/17، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 292/7 إلى المعجم الكبير للطبراني 309/3، ومجمع الزوائد للهيثمي250/5، والتمهيد لابن عبد البر218/2، إلى مصادر كثيرة انظرها هناك.

(3) كذا في النسخ، ولعلها: حين.

(4) أعلام نهج البلاغة -خ-، وانظر شرح ابن أبي الحديد 256/17-257.

(5) أعلام نهج البلاغة -خ-، ولفظ الرواية فيه: وأن معاوية أظهر الإسلام بعد الفتح بستة أشهر أو أكثر.

*(2011/5)*

---

الأولى منهما: تكذيبه بأن في حزبه المهاجرين وهم أنصاره وأعوانه على حربه، فقال: منكراً؛ لأن يكون معه المهاجرون أن الهجرة قد انقطعت يوم أسر(1) أخوك، فلا تذكر الهجرة ولا من هاجر، وهذا بمثابة من يقول لك: إني أريد أن(2) ألقاك في بني تميم، فتقول له: إن بني تميم قد قطعت دابرهم، وفرقت شملهم، يوم قتلت أباك وأخاك.

الثانية: أنه أراد أن يعرض بأن إيمانه كان متأخراً بعد الناس، وأن الناس قد سبقوه إلى الله تعالى، وأنه كان مع قتل أخيه، وكلاهما بعد الفتح.

(فإن كان فيك عجل فاسترفه): الرفاهية: الإرواد، وأراد إن كانت(3) تستحثك العجلة، فاطلب الرفاهية، فإنه ليس فائتاً عليك شيء.

(فإني إن أزرك فذلك جدير): الإشارة إلى المصدر، أي فذلك الزور حقيق وأهل، وأن وما بعدها في موضع نصب على نزع الجار أي حقيق بأن يكون، والمعنى في هذا فيحق على الله ذلك.

(أن يكون الله إنما بعثني للنقمة منك): أنشأني(4) للانتقام منك، وإيصال العقوبة إليك، والبعث هو: الإرسال، وهو هاهنا من قولهم: بعثته من منامه أي أنشأته.

(وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد): وأنشد:

(مستقبلين رياح الصيف تضربهم

بحاصب بين أغوار وجلمود)

ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه:

أما إعرابه فهو ظاهر، فقوله: مستقبلين حال مما قبله من القصيدة.

تضربهم: أي تصيبهم، من قوله: ضربه الله بالبلاء أي أصابه به.

والحاصب: هو الريح الشديدة التي تثير الحصباء.

والجلمود: الصخر.

والأغوار: جمع غور، وهو عبارة عما انخفض من الأرض.

---

(1) في (أ): قتل.

(2) أن، سقط من (ب).

(3) في (ب): كنت.

(4) في (ب): أي للانتقام منك.

*(2012/5)*

---

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده متمثلاً به، وهو أنه شبه حال معاوية بتوجهه إليه بحال قوم مسافرين وقعوا في أرض منخفضة ذات حجارة تستقبلهم رياح الصيف، وخصها لما فيها من شدة الهبوب والحركة، فتقذف عليهم تلك الأحجار وتصيبهم بها، ولا حال أعظم من ناس يرمون إلى أسفل بالأحجار والصخر رمياً شديداً، فهكذا يكون حاله إذا زاره.

(وعندي السيف الذي أعضضته): أعضضت السيف إذا جعلته عاضاً، والعضُّ بمقدم الأسنان، شبه ضرب السيف ولصوقه بالمضروب بمنزلة العضِّ بطرف الأسنان.

(بجدك): يريد عتبة.

(وخالك): الوليد بن عتبة.

(وأخيك): حنظلة بن أبي سفيان.

(في مقام واحد): موطن يوم بدر وفي وقعة واحدة.

(وإنك(1) والله ما علمت الأغلف القلب): ما في قوله: ما علمت يحتمل أن تكون موصولة أي الذي عرفته وتحققته، ويحتمل أن تكون مصدرية أي في علمي ومعرفتي، والأول هو الأشبه؛ لأنه كأنه(2)

جعله من قبل ما لا يعلم، ولهذا أتى بما لما كانت موضوعة لما لا يعلم، والأغلف هو: الذي يكون في غلاف وغطاء فلا يعي شيئاً، كما قال تعالى: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ}[البقرة:88].

(المقارب العقل): يريد أنه ضيق الفؤاد، غير متسع للأمور(3) ولا منشرح القلب، وشيء مقارب إذا كان بين الجيد والردي، وإنما أضاف ما فيه الألف واللام إلى مثله؛ لأنه من باب الحسن الوجه، والكريم الحسب.

(والأولى أن يقال لك): والأحق أن يقال لك من الأقوال كلها هو:

---

(1) في شرح النهج: فإنك.

(2) في (ب): كأن.

(3) في (ب): الأمور.

*(2013/5)*



---

(إنك رقيت سلماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك): شبه حاله فيما أتى من هذه الأمور الصعبة، ودخوله في هذه الأشياء الضنكة من فسقه وتمرده، وخروجه عن الحق ومخالفته بنصب المحاربة والمقاتلة له، بحال من رقى سلماً فأطلعه على أمور يكرهها، ولا يحب الاطلاع عليها، فكانت كلها وبالاً عليه، وليس له من فوائدها شيء.

(لأنك نشدت غير ضالتك): التي ضيعتها وأهملتها.

(ورعيت غير سائمتك): وتصرفت بالرعي فيما لا تملكه من السوائم.

(وطلبت أمراً لست من أهله): أراد إما طلبه بدم عثمان وليس أهلاً له، وإما أن يريد طلب المحاربة وليس صالحاً لها والبغي والمخالفة في ذلك.

(ولا في معدنه): معدن الشيء: مكانه وموضعه، ومنه معدن الذهب أي مكانه.

(فما أبعد قولك من فعلك!): يريد أنك تقول: إني مسلم بلسانك وتصرح بذلك، وأفعالك(1) ليس من أفعال المسلمين.

(وقريب ما أشبهت من أعمام): أي والمشابهة بينك وبين الأعمام قريبة، فالأعمام هم الأخوة لأبي سفيان.

(وأخوالٍ): الوليد بن عتبة، فهذان قتلا يوم بدر.

(حملتهم الشقاوة): الكفر والطغيان.

(وتمني الباطل): تسويفه، وهو رد الحق والمكابرة على مخالفته.

(على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله): تكذيبه ورد ما جاء به من المعجزات الباهرة.

(فصرعوا مصارعهم حيث علمت): شاهدت ورأيت، وبلغك منها مالا يمكن رده.

(لم يدفعوا عظيماً): مما أصابهم من ذلك.

(ولم يمنعوا حريماً): من مال ولا نفس؛ لأنهما محترمان، بل أبيحت الدماء وأخذت الأموال من غير مانع لها، ولا دافع عنها.

---

(1) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: وفعلك.

*(2014/5)*

---

(بوقع سيوف ما خلا منها الوغَى): من أجل مواقع نصال سيوف حاصلة في الوغى، يعني الحرب، وسميت الحرب وَغَى لما تشتمل عليه من الجلبة والأصوات، والوغى: كثرة الأصوات.

قال الهذلي:

كأنَّ وَغَى الخَمُوش بجانبيه

مَآتِمُ يَلْتَدِمْن على قتيل(1)

والْخَمُوش: ذباب البعوض.

(ولم تماشها الْهُوَيْنى): أراد هاهنا السكينة والوقار، يمدح السيوف بأنها في غاية الخفة والعجلة عند الضرب لم تصاحبها السكينة، وفي أحاديث بدر أنه لما أمر المشركون من يحرزهم ويدري بعددهم، فرجع وقال(2): والله لقد رأيت ناساً ما لهم عهدة(3) إلا قوائم السيوف، وأنه لا طاقة لكم بهم فارجعوا(4) عمَّا أنتم فيه(5).

(وقد أكثرت في قتلة عثمان): من ذكرهم والخوض في أمرهم.

(فادخل فيما دخل الناس فيه): أراد إما في الإمامة والبيعة، وهذا هو الظاهر من كلامه، وإما أن يريد اطلب الشيء من وجهه، واقصد ما يحق لك أن تطلبه من ذاك.

---

(1) لسان العرب 957/3 ونسبه للمتنخل الهذلي وروايته فيه:

كأن وغى الخموش بجانبيه

وغى ركب أميم ذوي هياط

_ ... _قال: وهذا البيت أورده الجوهري:

كأن وغى الخموش بجانبيه

مآتمُ يلتد من على قتيل

_ ... _قال ابن بري: البيت على غير هذا الإنشاد، وأنشده كما في اللسان. قال: وقبله:

وماء قد وردت أميم طام

على أرحائه زجل الغطاط

(2) في (ب): فقال.

(3) في (ب): عُمْد.

(4) في (ب): ارجعوا، بغير الفاء.

(5) انظر الخبر بالتفصيل في السيرة النبوية لابن هشام 622/2، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (ط2) سنة1375هـ/1959م طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

*(2015/5)*

---

(ثم حاكم القوم إليَّ): فيما تطلبه من ذلك، وإنما قال: إليَّ؛ لأن المحاكمة إنما هي في أمر الدم والقصاص فيه، ولابد فيه من حكم الإمام وأمره.

(أحملك وإياهم على كتاب الله): على حكم كتاب الله وأمره في ذلك، من غير مداهنة لك ولا لهم في ذلك ولا مصانعة.

(فأما(1) تلك التي تريد): يعني الخصلة التي تطلب وترمز إليها، وتشير في أحوالك كلها، وكان قد(2) طلب منه أن يتركه والياً على الشام كما ولاه عثمان ومن قبله ثم يبايعه، فقال له عليه السلام: (إنها(3) خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال): يريد أنها خدعة منك لي ومكر، كما تخدع الصبي أمه إذا فطمته عن رضاع ثديها، وتعلله بشيء يأكله ويلعب به فيلهو عن رضاعها، وقد مر في أثناء الخطب المتقدمة منعه لمعاوية التولية، وقال له عليه السلام في ذلك: {وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً}[الكهف:51].

سؤال؛ كيف ولَّى زياداً ولم يولِّ معاوية، وليس حال أحدهما إلا قريباً من حال الآخر؟

وجوابه؛ هو أن الأمر في ذلك مفوَّض إلى رأيه وموكول إليه، ولا يتهم في حال، فلعله رأى مصلحة في تولية ذاك(4) ومنع هذا لمصلحة لانعلمها، وهو أعرف بها، ولا يمتنع أن يكون معاوية أدخل في الخدع والمكر وقلة المبالاة والجسرة من زياد.

(1) في شرح النهج، وفي نسخة ذكرها في هامش (ب): وأما.

(2) في (ب): وقد كان.

(3) في (ب) وشرح النهج: فإنها.

(4) في (ب): ذلك.

*(2016/5)*

---

ومن العجب أنه يحكى أنه كان كاتباً للوحي، وهذه رواية لم يرد صاحبها بها وجه الله تعالى، فإن كتَّاب الوحي: أمير المؤمنين كرم الله وجهه، وعثمان بن عفان، فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت، ومتى كان معاوية أميناً على التافه اليسير من أمور الدين فضلاً عن(1) أن يكون أميناً على أجلّها حالاً وأعلاها مرتبة، وهو وحي الله النازل من السماء، على يد الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين!

(65) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً

(أما بعد؛ فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور): آن الشيء إذا حضر وقته، واللمح الباصر هو: النظر بتحديق شديد نحو المرئي، والباصر بمعنى ذو البصر، وكان معاوية كثيراً ما يقول لأمير المؤمنين: لك العراق ولي الشام، فأجابه بما ذكر، وعيان الأمور: معاينتها وإدراكها.

(فقد سلكت مدارج أسلافك): مذاهب من مضى من عشيرتك وأهلك الماضين.

(بادعائك الأباطيل): الأمور الباطلة وهو قوله: لي(2) العراق كما كان من أسلافك من التكذيب للرسول، ورده وإنكار ما جاء به من الحق.

(واقتحامك غرور الْمَيْنِ): وإدخالك لنفسك في مخادع الكذب.

(والأكاذيب): والأحاديث المكذوبة.

(وانتحالك(3) ما قد علا عنك): وادعائك ما ليس لك ولا أنت بالغه في حالة من الحالات.

(وابتزازك لما قد(4)اختزن عنك): واستلابك مال(5) الله الذي قد خزن عنك، وصرت ممنوعاً منه(6) فلا تناله.

---

(1) عن، زيادة في (ب).

(2) كتب فوق الياء في (ب) كافاً أي: لك.

(3) في (ب) وشرح النهج: من انتحالك.

(4) قد، زيادة في (ب)، وفي شرح النهج: لما قد اختزن دونك.

(5) في (ب): لمال.

(6) في (ب): عنه.

*(2017/5)*

---

(فراراً من الحق): أي فعلت ذلك من أجل الفرارعن الحق والنكوص عنه، وانتصابه على المفعول له.

(وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك): وهو القول بإمامتي، والتزام وجوب ما أمرت به، وإنما قال: ألزم لك من لحمك ودمك مبالغة في ذلك؛ لأن وجوب المبايعة لازم كما أن اللحم والدم لزومهما(1) لا يخفى.

(مما قد وعاه سمعك): وهو ما كان من الأدلة الظاهرة من جهة الرسول على وجوب إمامتي، مثل حديث الغدير(2)

---

(1) في (ب): لزومها.

(2) حديث الغدير هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع بغدير خم وهو آخذ بيد أمير المؤمنين عليعليه السلام: ((ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)) قالوا:بلى يا رسول الله، فأخذ بيد علي وقال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه))، وهو من الأحاديث المتواترة، رواه الجم الغفير من المحدثين، فممن رواه الإمام أبو طالب في أماليه ص83-84 برقم (41) بسنده عن علي عليه السلام، والمرشد بالله في الأمالي الخميسية 145/1 بسنده عن البراء بن عازب، واللفظ في آخره: ((هذا مولى من أنا مولاه، اللهم والِ من واليت، وعاد من عاديت))، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، ورواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في مجموع رسائله ص194 في كتاب أصول الدين، بزيادة في آخره هي: ((واخذل من خذله، وانصر من نصره))، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في المناقب ص29-36 من الرقم (23) إلى (39) بسنده عن زيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وعلي عليه السلام، وأبي هريرة، وبريدة، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وابن أبي أوفى، وجابر بن عبد الله، وقال في ص36 ما لفظه: قال أبو القاسم الفضل بن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة، تفرد علي عليه السلام بهذه الفضيلة، ليس يشركه فيها أحد. انتهى._ ... _وأخرجه الإمام الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب 365/2-455 بطرق جمة، ورواة عدة (انظرها كاملة فيه)، ورواه

الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص102-108 وقال ما لفظه: وحديث الموالاة وغدير خم قد رواه جماعة من الصحابة وتواتر النقل به حتى دخل في حيز التواتر، رواه زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، واختلفت ألفاظهم، وزاد بعضهم ونقص بعض. انتهى. ثم أورد الحديث باختلاف رواياته وألفاظه انظرها فيه._ ... _وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 8/530-531 وعزاه إلى مصادر كثيرة منها سنن الترمذي، ومسند أحمد بن حنبل، والمستدرك للحاكم النيسابوري، وسنن ابن ماجة، والمعجم الكبير للطبراني، ومجمع الزوائد للهيثمي، وفتح الباري لابن حجر، وغيرها كثير (انظرها هناك)._ ... _هذا وقال المولى العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رضي الله عنه في لوامع الأنوار 1/38 في تواتر حديث الغدير ما لفظه: وخبر الموالاة معلوم من ضرورة الدين، متواتر عند علماء المسلمين، فمنكره من الجاحدين، أما آل محمد صلوات الله عليهم فلا كلام في إجماعهم عليه، قال الإمام الحجة المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهما السلام في (الشافي): هذا حديث الغدير ظهر ظهور الشمس، واشتهر اشتهار الصلوات الخمس. ومن كلامهعليه السلام ورفع الحديث مفرعاً إلى مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم العشرة، ومتن الحديث فيها واحد، ومعناه واحد، وفيه زيادات نافعة في أول الحديث وآخره، وسلك فيه اثنتي عشرة طريقاً يعني بهذا صاحب المناقب، قال الإمام عليه السلام: بعضها يؤدي إلى غير ما أدى إليه صاحبه، من أسماء الرجال المتصلين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكر محمد بن جرير صاحب التأريخ خبر يوم الغدير وطرقه من خمس وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه كتاب (الولاية)، وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن عقدة خبر يوم الغدير وأفرد له كتاباً، وطرقه من مائة وخمس طرق، ولا شك في بلوغه حد التواتر، ولم نعلم خلافاً ممن يعتد به من الأمة إلى آخر كلامه عليه السلام. وكلام أئمة آل محمد صلوات الله عليهم في هذا المقام الشريف وغيره معلوم في جميع مؤلفاتهم في هذا الشأن، وقد رواه السيد الإمام الحسين بن الإمام عليهما السلام في (الهداية) عن ثمانية وثلاثين صحابياً بأسمائهم غير الجملة كلها من غير طرق أهل البيت"._ ... _وقال السيد الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير: إن خبر الغدير يروى بمائة وثلاث وخمسين طريقاً. انتهى. وأما غيرهم فقد أجمع على تواتره حفاظ جميع الطوائف وقامت به وبأمثاله حجة الله على كل موالف ومخالف، وقد قال الذهبي: بهرتني طرقه فقطعت بوقوعه. انتهى، وعده السيوطي في الأحاديث المتواترة، وقال الغزالي في كتابه (سر العالمين): لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على خطبة يوم الغدير وذكر الحديث، واعترف ابن حجر أنه رواه ثلاثون صحابياً، وذكره ابن حجر العسقلاني في تخريجه أحاديث الكشاف عن سبعة وعشرين صحابياً. إلى أن قال: وقال المقبلي فيه في أبحاثه: فإن كان هذا معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم. انتهى.

ولو استوفيت من صرح من العلماء بتواتره لطال المقام، وعلى الجملة إن خبر الغدير ومقدماته وما ورد على نهجه مما يفيد الولاية في ذلك المقام وغيره لا تحيط به الأسفار ولا تستوعبه المؤلفات

الكبار. انتهى ما أردت نقله من لوامع الأنوار.

(وانظر الحديث وأسانيده وطرقه ورواته ومصادره فيه 39/1 وما بعدها).

*(2018/5)*

---

، وغيره من الأحاديث.

(وملئ به صدرك): شحن به صدرك حتى امتلأ، كقوله: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))، وقوله: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) وغير ذلك.

(فما(1) بعد الحق إلا الضلال): أي ما بعد الشيء في الثبوت إلا نقيضه، فإذا كان الحق ثابتاً فليس بعده إلا نقيضه من الضلال.

(وبعد البيان إلا اللبس!): وإذا كان البيان ثابتاً فليس بعده إلا نقيضه وهو الالتباس، كما قال: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ}[يونس:32]، فأراد أنه لا واسطة بينهما، فإذا لم يكن ما قلته حقاً فهو منك ضلال.

(فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها): أي دع الشبهة وما هي مشتملة عليه من الالتباس، واللبسة بالفتح: واحدة اللبسات، وبالكسر: الحالة من الالتباس، وأراد اترك الأمور المشتبهة واشتمالها على أحوالها الملتبسة وأمورها المختلطة.

(فإن الفتنة طالما أغدفت(2) جلابيبها): الجلباب: نوع من أنواع اللباس، وأغدف(3) الثوب إذا استرخى، جعله هاهنا كناية عن اشتداد أمرها.

(وأعشت الأبصار ظلمتها): العشا: ضعف البصر، وناقة عشواء إذا كانت لا تبصر، وهو استعارة إما عن تغطيتها(4) على الأبصار، فلا تنظر مواقع الصواب، وإما عن تغطيتها على العقول فلا تهتدي لذلك أيضاً، فإن الإبصار صالح لهما جميعاً.

---

(1) في شرح النهج: فماذا، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(2) في النسخ: أغدقت، ولعله تصحيف، وما أثبته من شرح النهج.

(3) هكذا في النسخ: أغدق، ولعل الصواب: أغدف، كما أثبته.

(4) في (ب): تغطيها.

*(2019/5)*

---

(وقد أتاني منك كتاب ذو أفانين): الأفانين: جمع أفنان، أي أساليب مختلفة، قال الله تعالى: {ذَوَاتَى أَفْنَانٍ}[الرحمن:48]، وأراد أنه ليس مشتملاً على أسلوب واحد.

(ضعفت قواها عن السِّلم): أي أنها متقاصرة عن إصلاح الحال غير بالغة له، والسِّلم: الصلح.

(وأساطير): جمع أسطورة وهي: الخرافات والأباطيل.

(لم يحكها منك علم): الحوك: النسيج، وأراد أنك(1) لم تنسجها عن علم ومعرفة ودراية.

(ولا حكم(2)): أي ولا أحكمتها برأي صائب من جهتك.

(أصبحت فيها(3) كالخائض في الدهاس): وهو المكان السهل اللين، الذي لا يبلغ أن يكون رملاً ولا تراباً، والخائض هو: المقتحم للشيء، يقال: خاض الغمرات إذا اقتحمها، وإنما قال: الخائض في الدهاس لصعوبة المشي فيها لرخاوته.

(والخابط في الدِّيماس): وهو المكان الخالي نحو القبر والسرب(4)، والخابط هو: الذي يضرب بيده على الأرض إذا مشى، وأراد أن الخابط في الديماس ليس على حقيقة ومعرفة بحال ما يفعله من ذلك.

(وترقيت مرقبة(5)): المرقبة: الموضع المشرف، يعلوها من يرقب شيئاً ويراعيه.

(بعيدة المرام): مطالبها بعيدة لا يمكن نيلها.

(نازحة الأعلام): النازح هو: البعيد، وأراد أن أعلامها منتزحة عن الحق بعيدة عن طرقه.

(تقصر دونها الأنوق): وهو طائر يقال له: الرخم، يكون وَكْرُهُ فوق الأماكن الصعبة من رؤوس الجبال الشامخة.

---

(1) في (ب): أن.

(2) في شرح النهج: لم يحكها عنك علم ولا حلم.

(3) في (ب) وشرح النهج: منها.

(4) في (ب): والشرب، وهو تصحيف.

(5) في شرح النهج: وترقيت إلى مرقبة.

*(2020/5)*

---

(ويحاذى به العَيُّوق): المحاذاة: المساواة والمماثلة، والعيُّوق: كوكب أحمر مضيء يتلو في مكانه الثريا لا يتقدمها، ومن طرف العرب وتحفها أنهم قالوا: إنما سمي العيُّوق عيوقاً لأنه عاق سهيلاً عن نكاح الثريا، ولهذا قال شاعرهم:

أيها المنكح الثريا سهيلاً

عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت

وسهيل إذا استقل يماني(1)

(وحاش لله أن تلي للمسلمين(2) بعدي صدراً أو ورداً): حاش حرف جر على رأي سيبويه، واللام مقحمة فيه، وهو على رأي المبرد فعل وينصب به، ومعناه على كلا المذهبين براءةً لله عن(3) أن تكون والياً على شيء من أمور الدين، والصدر هو: الصدور عن الماء، والورد: هو الورود لأخذه، وهما يستعملان كناية لأكثر حالات الشيء، يقال: ليس فلان من أمرك في ورد ولا صدر.
(أو أجري على أحد منهم لك عقداً(4)): في إعطاء شيء من المال وقبض العمالات كلها.
(أو عهداً!): في الطاعة والانقياد لأمره.
(فمن الآن فتدارك نفسك): الآن هو: الوقت الذي أنت فيه، والغرض فمن هذا الوقت فالحق نفسك وتلافها عن الهلاك بالإقبال على الأعمال المرضية، وسلوك الطريقة الحسنة في الاحتكام، وترك البغي والمخالفة.
(وانظر لها): نظر ناصح مشفق عليها عن أن تهلك.

---

(1) هذان البيتان هما لعمرو بن أبي ربيعة، وقبلهما:
أيها الطائر الذي قد عناني

بعد أن نام سائر الركبانِ

سار من نازح بغير دليل

يتخطى إليَّ حتى أتاني

(2) في (ب): المسلمين.
(3) عن، سقط من (ب).
(4) في (ب) وشرح النهج: أو أجري لك على أحد منهم عقداً.

*(2021/5)*

---

(فإنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله): توانيت في الأمر حتى تنهض إليك جنود الله من المسلمين وأهل الدين، ومنه نهود ثدي الجارية أي نهوضته(1).

(أُرتجت عليك الأمور): باب مرتج إذا كان مغلقاً، والإرتاج هو: الإغلاق، وأراد انغلقت عليك الآراء الصائبة، وأقفلت عنك الآراء المحمودة.

(ومُنِعْتَ أمراً): يعني الاعتذار والتوبة والإقبال.

(هو منك اليوم مقبول): يشير إلى أنه لو أقبل بالتوبة والإنابة قُبِلَ منه الآن، قبل الوصول إلى ساحته بالجنود والعساكر، فأما إذا أظلتهم السيوف، وصاروا تحت حكمها فربما لا تقبل منه التوبة، وهذه منه إشارة إلى أنه في تلك الحال لا يقبل منه ما يكون من جهته في حال الرفاهية.

(66) ومن كتاب له [عليه السلام](2) إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه

وقد تقدم بخلاف هذه الرواية: وإنما أعاده هاهنا، لأن فيه أمراً لم يتقدم ذكره، وأكثره قد فسرناه وشرحنا معانيه من قبل، فلا وجه لتكريرها.

(أما بعد؛ فإن المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته): يريد أن من بلوى الدنيا وفتنها وما فيها من المحن، هو أن الأمر المحتوم وصوله إلى ابن آدم يفرح به ويصيب قلبه منه سرور من أجل استيلائه عليه.

(ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه): ويصيبه الأسف والحزن على ما كان المعلوم من حاله أنه لا يصل إليه أصلاً، وكان من حكم العقل وإيثار المصلحة ألا يكون فارحاً بما وصل؛ لأنه لابد منه، وألاَّ يحزن على ما تعذر وصوله لأنه يستحيل وصوله، وهو في كلامه هذا يشير إلى هلع النفس وشؤمها، وأن هواها مخالف لحكم العقل وأصله.

---

(1) في (ب): نهوضه.

(2) زيادة في (ب) وشرح النهج.

*(2022/5)*

---

(فلا يكن أفضل ما نلت من دنياك في نفسك بلوغ لذة): يعني(1) لا يكن همك في الدنيا هو المواظبة على حصول اللذات والانهماك فيها، فإن في هذه الحالة تشبهاً بالبهائم.

(أو شفاء غيظ): من عدو لك، وأخذ الثأر منه.

(ولكن إطفاء باطل): إزالته، استعارة له من إطفاء النار، وهو إزالة تلهبها.

(وإحياء حق(2)): إشادة ذكره وإعلاء أمره عن أن يكون ميتاً خاملاً ذكره.

(67) ومن كتاب له [عليه السلام](3) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

(أما بعد، فأقم للناس الحج): الأمر بإقامته هو بيان فروضه وسنن(4) مناسكه وتتبعه(5) الناس فيها وبتعليمها(6) من لا يعلمها، وإشادة أمر الله بإظهار شعائره وإعلاء مناره.

(وذكرهم بأيام الله): أراد أيام عقوباته في الأمم الماضية، وما أصاب من خالف أمره من ذلك، أو ذكرهم أيام طاعاته(7) وهي أيام الحج، وما ينبغي فيها من المناسك وأنواع القرب.

(واجلس لهم العصرين): العصران هما: الغداة والعشي؛ لأن الحر في الحجاز عظيم فلا يكاد ينتفع فيه بقضاء الحوائج إلا فيهما.

(فأفت المستفتي): في أمر دينه، وبصِّره جهله، وعلِّمه ما جهل من أمره.

(وعلم الجاهل): ما غبي عليه.

(وذكر العالم): ما نسيه من ذلك.

---

(1) في (ب): أي.

(2) بعده في شرح النهج: وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك على ما خلفت، وهمك فيما بعد الموت.

(3) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(4) في (ب): وتبيين مناسكه.

(5) في (أ): ويتبعه.

(6) في (أ): ويتعلمها.

(7) في (ب): طاعته.

*(2023/5)*

---

(ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك): السفير هو: الذي يختلف لقضاء الحوائج، وغرضه من هذا مباشرة الناس لقضاء(1) حوائجهم بنفسه من غير واسطة إلا لسانك، فلم يستثن من الوسائط(2) إلا إياه مبالغة في التحذير عن ذلك.

(ولا حاجب إلا وجهك): مبالغة في الظهور للناس والتكشف لقضاء حوائجهم، كما يقال: لا تكنُّ لأحد منهم عقوبة إلا عفوك ولا سوط إلا رضاك.

(ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها(3)): أراد فإذا كان لأحد من أهل ولايتك حاجة إليك، فلا تحجبن نفسك عن أن تكون ملاقياً له بها.

(فإنها إن ذيدت): صرفت الحوائج ومنعت.

(عن أبوابك في أول وردها(4)): ورودها إليك ووصولها إلى ناحيتك.

(لم تحمد فيما بعد على قضائها): لم يكن لك فضل على إتمامها من بعد؛ لأن الحمد والشكر في قضائها إنما يكون بإكماله وتحصيله على أحسن وجه، وبعد الرد قد(5) نقص حالها لما يقع في نفس صاحبها من الانكسار والحقارة والذل بالرد.

(وانظر إلى ما اجتمع معك(6) من مال الله): الذي أمرناك بقبضه وجعلنا لك ولاية على أخذه.

(فاصرفه إلى من قِبَلَكَ): يليك ويكون مختصاً بك وساكناً معك.

(من ذي العيال): صاحب العولة والأولاد.

(والمجاعة): وذي المجاعة، يعني الجوع من الفقراء وأهل الفاقة.

(مصيباً): متوخياً بالإصابة(7).

(مواضع المفاقر(8)): أي الفقر، يقال: سد الله مفاقره أي أغناه.

(والحاجات): وذوي الحاجات من الفقراء أيضاً.

---

(1) في (ب): بقضاء.

(2) من الوسائط، سقط من (ب).

(3) في (ب): لها.

(4) في (ب): ورودها.

(5) في (ب): فقد.

(6) في شرح النهج: عندك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(7) في (ب): للإصابة.

(8) في (ب) وشرح النهج: مواضع المفاقر والخلات.

*(2024/5)*

---

(وما فضل): من ذلك أي بقي من قولهم: فضل الماء في الإناء يفضل.

(عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قِبَلَنا): من المسلمين وأهل الفقر والحاجة أيضاً.

(ومر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكن أجراً): يعني في الدور والبيوت المعمورة، والخانكات والربط، وسائر المنازل التي ينتفع بها للوقوف والسكون، فلا يأخذوا في مقابلة منافعه عوضاً عيناً ولا منفعة

أصلاً.

(فإن الله تعالى يقول:{سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ})[الحج:25]: أي سواء المقيم فيه من أهله وأهل البادية من غير أهله فإنهم مستوون فيه، ثم اختلف رأي العلماء في ذلك، فأما أبو حنيفة فمنع من بيع الدور وكرائها(1) محتجاً بالآية، وجوَّز ذلك الشافعي(2)، ولم يحضرني مذهب لأصحابنا فأنقله في هذه المسألة، والظاهر من مذهبهم هي(3) مقالة أمير المؤمنين في ذلك، ثم فسر العاكف والباد بقوله:

(فالعاكف: المقيم، والبادي: الذي يحج إليه(4) من غير أهله): ويحكى عن عمر أنه اشترى في مكة داراً للسجن.

(وفقنا الله وإياكم(5) لمحابه): للأعمال التي يحبها ويريدها ويرضاها.

(68) ومن كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

(أما بعد؛ فإن(6) مثل الدنيا مثل الحية، لين مسها، قاتل سمها): يعني أنها معجبة لنظارتها وحسنها، فهي لينة إذا مسها أحد، وهي مهلكة لمن انخدع بها، واللين والمس والقتل بالسم من الاستعارات الرشيقة لما هي عليه من الخدع، ولما فيها من الغرور.

---

(1) في (ب): وكراها.

(2) انظر شرح ابن أبي الحديد 18/32-33.

(3) هي، سقط من (ب).

(4) إليه، زيادة في (ب)، وشرح النهج.

(5) في (ب): وإياك.

(6) في شرح النهج: فإنما.

*(2025/5)*

---

(فأعرض عمَّا يعجبك منها): يروقك، ويليق بخاطرك ونفسك من زخارفها ونفائسها.

(لقلة ما يصحبك منها): أي يصاحبك ويكون معك عند فراقها.

(وضع عنك همومها(1)): ما يُهَمُّ منها ويلصق بالخاطر من تعبها وعنائها.

(لما أيقنت به(2) من انقطاعها): لليقين الحاصل لك بكونها منقطعة فانية.

(وكن آنس ما تكون بها(3)، أحذر ما تكون منها): أراد المبالغة في الأمر في التحذير(4) منها، وأبعد ما يكون الحذر عند الأنس بها، فإذا جعل الحذر هو الأنس بها نفسه، فقد بلغت مبلغاً عظيماً

لا يمكن وصفه.

(وإن(5) صاحبها كلما اطمأن فيها إلسرور): سكنت نفسه واستقر خاطره إلى شيء من سرورها.

(أشخصته(6) إلى محذور): أظهرته إلى مكروه من مكروهاته(7) يحذره وتنفر عنه نفسه.

وقد مضى في كلامه في ذم الدنيا ما هو أبلغ من هذا.

---

(1) في (ب): همومك.

(2) به، زيادة في (ب). والعبارة في شرح النهج: لما أيقنت به من فراقها وتصرف حالاتها.

(3) في (ب): منها.

(4) في (ب): بالتحذير.

(5) في (ب) وشرح النهج: فإن.

(6) في (ب): أشخصته عنه...إلخ، وفي نسخة: استشخصته، وبعد العبارة في شرح النهج: أو إلى إيناس أزالته عنه إلى إيحاش، والسلام.

(7) في نسخة: مكروهاتها، (هامش في ب).

*(2026/5)*

---

(69) ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني(1)

همدان أكثر أهل اليمن من حاشدها وبكيلها، وهو بالدال بنقطة من أسفلها.

فأما همذان بالذال بنقطة من أعلاها فهم نوع من العجم.

(أما بعد، فتمسك بحبل القرآن وانتصحه): مضى تفسيره غير مرة.

---

(1) هو الحارث بن عبد الله بن جابر الهمداني الأعور، أبو زهير، المتوفى سنة65هـ، من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال أبو بكر بن أبي داود: كان الحارث الأعور أفقه الناس، وأفرض الناس، وأحسب الناس، تعلم الفرائض من علي. (معجم رجال الاعتبار ص96،95 ت(164)، ونسبه في شرح النهج لابن أبي الحديد 42/18 كما يلي: الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني.

*(2027/5)*

---

ويحكى أن أعرابياً دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: التبس عليَّ معنى آية من القرآن ففسرها لي، وتلا قوله تعالى(1): {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً}[آل عمران:103]، فقال: وما الحبل الذي أمر الله بالاعتصام به؟ وكان أمير المؤمنين إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله، فوضع النبيعليه السلام يده على كتف أمير المؤمنين، وقال: ((هذا حبل الله فاعتصموا به))(2).

(وأحل حلاله، وحرم حرامه): يريد امتثال أوامره فيما تناوله من الانكفاف عما حرم الله(3) فيه، والتحليل لما كان متناولاً له ومبيحاً له.

(وصدق بما سلف من الحق): أراد إما نبوة الأنبياء كلهم والكتب السالفة [المنزلة عليهم، أو يريد نبوة الرسول وما جاء به من العلوم الغيبية السالفة] (4)، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ}[البقرة:3].

---

(1) تعالى، سقط من (ب).

(2) رواه الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل 130/1 برقم (177) بسنده عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوال علياً وليأتم بالهداة من ولده))، وذكر تحت الرقم (178) بسنده عن جعفر بن محمد قال: نحن حبل الله الذي قال الله: {واعتصموا بحبل الله جميعاً...}الآية، فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب المستمسك بالبر [كذا] فمن تمسك به كان مؤمناً، ومن تركه كان خارجاً من الإيمان. انتهى.

(3) الله، زيادة في (ب).

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

*(2028/5)*

---

(واعتبر بما مضى من الدنيا ما(1) بقي منها): يريد اتعظ بذلك، فإن ما يأتي منها(2) في الزوال والتقضي والنفاد مثل ما مضى من غير تفرقة.

(فإن بعضها يشبه بعضاً): في التغير والانقطاع.

(وآخرها لاحق بأولها): في الذهاب وسرعة التقضي.

(وكلها حائل): أي جميع ما فيها زائل لا محالة.

(مفارق): لمن هو في يده ومباين له.

(وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنه لا ينبغي ذكر القسم بالله تعالى وصفاته إلا على حق لك أو عليك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ}[البقرة:242]، أي تعرضونه وتذكرون اسمه في الأمور الحقيرة النازلة.

وثانيهما: أن يكون مراده المنع من ذكر اسم الله تعالى(3) على جهة الحلف والإقسام في الأمور المباحة كأكل الطعام، فلا ينبغي أن يقسم ولا يسأل بالله.

وعن الحسن أنه قال: العيش أهون من أن يحلف عليه.

(وأكثر ذكر الموت): فإنه يُهوِن حال الدنيا، ويكسر النفس عن الهمة بأمور كثيرة.

(وما بعد الموت): من الأهوال العظيمة والأخطار الجسيمة.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: لما.

(2) في (ب): فيها.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(2029/5)

---

(ولا تتمنَّ الموت إلا بشرط وثيق): إلا أن تكون واثقاً بشيء من أعمالك الصالحة بما(1) يكون سبباً في نجاتك وحسن عاقبتك، وفي الحديث: ((لا يتمنين أحدكم الموت، فإن كان لابد فليقل: اللَّهُمَّ، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وأمتني ما كانت الوفاة خيراً لي))(2).

(واحذر(3) كل عمل يعمل به في السر، ويستحيى منه في العلانية): أراد أنك لا تعمل شيئاً من الأعمال سراً إلا ما تقدر ظهوره ولا يضرك شيء منه، فما هذا حاله فهو خير الأعمال.

(واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره): لأنه لا ينكره إلا من أجل اشتماله على القبح والشناعة، فمن أجل هذا يزيله عن نفسه ويدفعه عنها.

(واعتذر منه): ووجَّه العذر نحوه.

(ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القول(4)): الغرض: ما يرمى، وأراد أنك لا تفعل ما تلام عليه فتكون متعرضاً بذلك للطعن بالألسنة من جهة الخلق.

---

(1) في (ب): لما.

(2) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص339 برقم (359) بسنده يبلغ به إلى أنس بن مالك بلفظ: ((لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم، أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وأمتني إذا كانت الوفاة خيراً لي)) وهو فيه برقم (358) عن أنس أيضاً مع اختلاف يسير في لفظ

أوله، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 188/2 بسنده عن أبي هريرة.

(3) قبل هذه العبارة في شرح النهج: واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه، ويكرهه لعامة المسلمين، انتهى، وهو في هامش (ب)، وقال في آخره: صح نهج.

(4) في شرح النهج: لنبال القوم.

*(2030/5)*

---

(ولا تحدث الناس بكل ما سمعت، فكفى بذلك كذباً): يعني ما غلب على ظنك صدق قائله فانقله على جهة الحكاية عنه، وما لم يكن الأمر فيه كذلك فلا تحدث به ولا تنقله، فإنه ليس كل ما يقال صدقاً وحقاً، وإذا كان القول بعضه صدق وبعضه يكون كذباً فنقله كله يكون كذباً لامحالة، والمخبر بالكذب يكون كاذباً فيما أخبر به منه.

(ولا تَرُدَّ على الناس في كل ما حدثوك به(1)): يعني لا يكن كلما قيل لك بشيء من الأقوال رددته وأنكرته.

(فكفى بذلك جهلاً): لأن ردك له وإنكارك لحاله كله أمارة الجهل والغباوة بأمره وحاله.

(واكظم الغيظ): أي كلما عرض لك جانب من الغيظ فكف عن إنفاذه، وصبِّر عليه نفسك، ولا تظهره فإن عواقبه محمودة، والأجر عليه عظيم.

(واحلم عند الغضب): أي كف عن العقوبة، وتصبَّر على ذلك.

(وتجاوز عند القدرة(2)): يريد وإذا قدرت على الانتقام فالتجاوز والصفح هو أفضل.

(واصفح عن الزلة(3) تكن لك العاقبة): يريد إذا زل إنسان في حقك فاصفح عنه فإن ذلك أقرب للظفر به بعد ذلك.

(واستصلح كل نعمة أنعم الله بها عليك(4)): اطلب إصلاحها، والإصلاح لها من جهتك، أعظم من تأدية شكرها، والاعتراف بموقعها وحالها.

(ولا تُضَيِّعنَّ نعمة من نعم الله عندك): وإضاعتها إغفالها عما يتوجه لها من الشكر وكفرها، ولا إضاعة لها أبلغ من ذاك.

---

(1) به، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) في شرح النهج: المقدرة.

(3) في شرح النهج: واصفح مع الدولة ...إلخ.

(4) في شرح النهج: أنعمها الله عليك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

*(2031/5)*

---

(وَلْيُرَعليك أثر ما أنعم الله به عليك): يريد لا تكثر التباؤس، وإظهار الفقر، وتكتم النعمة، بل إذا كانت عندك نعمة الله تعالى فأظهرها في حالك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى:11]، وإذا أظهرت فحسن الحال خبر عنها وحديث بها.

(واعلم أن أفضل المؤمنين): أعظمهم في الفضل وأعلاهم درجة عند الله تعالى.

(أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله): بإنفاق النفس بالجهاد في إعزاز دين الله وإعلاء كلمته، وإنفاق المال لوجهه وتقديمه أمامك، وهكذا الحال في الأهل بإكرامهم وإسداء المعروف إليهم، والصبر على ما فرط من الأذى منهم.

(وإنك ما تقدِّم من خير): من الأعمال الصالحة في جميع وجوهها.

(يبق لك ذخره): عاقبته وأمره، والذخر: ما يذخر ويخبأ.

(وما تؤخِّر يكن لغيرك خيره): يعني وما تؤخِّره من أموالك بعد موتك يأخذه الوارث بعدك(1)، فيكون له ثوابه بالصدقة والتقرب إلى الله به.

(واحذر صَحَابَةَ من يفيل رأيه): الصحابة مصدر صحبه صحابة، ويفيل رأيه أي يضعف.

(وينكر عمله): أي ويكون عمله منكراً.

(فإن الصاحب معتبر بصاحبه): يشير إلى من صاحب الأشرار فهو منهم، ومن صاحب الأخيار فهو منهم، وفي الحديث: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل))(2)

---

(1) بعدك، سقط من (ب).

(2) عزاه في موسوعة أطراف الحديث 664/8 إلى سنن الترمذي (2378) ومسند أحمد بن حنبل303،334/2، والمستدرك للحاكم 171/4، وإتحاف السادة المتقين 198/6، 234، وتفسير القرطبي 179/4، وإلى غيرها من المصادر انظرها هناك.

_ ... _قلت: ورواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في شمس الأخبار 14/2 في الباب (102) عن أبي هريرة، وعزاه إلى مسند الشهاب للقضاعي، (انظر تخريجه فيه).

*(2032/5)*

---

.

(واسكن الأمصار العظام): البلدان العظيمة والمدن الكبيرة.

(فإنها جِماع المسلمين): الجِماع بالكسر: ما يجمع عدداً، ومنه قولهعليه السلام: ((الخمر جماع الآثام(1))).

(واحذر منازل الغفلة): عن الله وعن أمر الآخرة.

(والجفاء): ومواضع الجفاء والقسوة والبلادة،، يعني القرى المنفردة عن أهل الخير والصلاح، والدعاء إلى الله والتذكير به.

(وقلة الأعوان على طاعة الله): من الإخوان المحبين للخير والفاعلين له.

(واقصر رأيك على ما يعنيك): أراد أنك لا تشتغل بأمر لا يهمك حاله، واقصر نفسك على أمرها من غير زيادة، ففيه شغل لك عن غيره.

(وإياك ومقاعد الأسواق): والقعود فيها.

(فإنها محاضر الشيطان): يعني أنه يحضرها في أكثر حالاته؛ لما يحصل فيها من مراداته ودعائه لأهلها إلى الانقياد لأمره.

(ومعاريض الفتن): يعني أنه كثير ما يسنح فيها المقاتلة والشجار الطويل، والخصومات العظيمة، وهذه الأمور كلها أعظم وُصَل إبليس، وأقوى حبائله.

(وأكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه): يريد إذا تفكرت في نعم الله تعالى وفضائله عليك، فتعمد في ذلك بأن تنظر إلى من أنت فوقه في النعمة، وأعظم منه حالة فيها.

---

(1) في (ب): الإثم.

*(2033/5)*

---

(فإن ذلك من أبواب الشكر): يريد إذا فعلت ذلك، فإنه يدعوك لا محالة إلى شكر النعمة التي أنت فيها، ويعظم قدرها عندك، وقد ورد مثل ما ذكره عن الرسول عليه السلام: ((انظر إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر ألا تزدري نعمة الله عليك))(1).

(ولا تسافر في يوم جمعة): يريد لاتتعمد(2) بالسفر في يوم الجمعة؛ لأنه يوم عيد للمسلمين واستقرار ورفاهية على الأنفس، وإذا(3) كان ولابد من ذلك فلا تسافر فيه:

(حتى تشهد الصلاة): لأن شهودها أفضل لامحالة مما تخرج له من طلب الأرزاق وإصلاح أحوال المعيشة.

(إلا فاضلاً(4) في سبيل الله): مهاجراً في سبيل الله، وهو بالضاد المنقوطة(5).

(أو في أمر تعذر به): يكون عذراً لك في الخروج من غير صلاة الجمعة، نحو خوف عند التخلف عن الرفقة، أو غير ذلك من الأعذار في ذلك.

وفي الحديث إن الرسول عليه السلام لما جهز أهل مؤتة [إلى غزاة مؤتة] (6)، ومن جملتهم عبد الله بن رواحه، فخرج الناس وتخلف عبد الله، فلما رآه الرسول قال له: ((ما خلفّك))؟

________

(1) أخرجه من حديث طويل المرشد بالله في الأمالي الخميسية 73/1 بسنده يبلغ به إلى أبي ذر، والقاضي علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار244/2 عن أبي ذر الغفاري، وعزاه إلى المجالس برواية السمان، وعزاه العلامة محمد بن حسين الجلال في كشف الأستار عن أحاديث شمس الأخبار إلى عبد بن حميد، والطبراني في الكبير عن أبي ذر.

(2) في (ب): يريد ولا تتعمد السفر.

(3) في (ب): فإذا.

(4) في شرح النهج: فاصلاً، بالصاد المهملة.

(5) العبارة من أولها في (ب): وهو بالضاد المنقوطة، أي مهاجراً في سبيل الله.

(6) سقط من (ب) ما بين المعقوفين.

*(2034/5)*

---

فقال: أحببت صلاة الجمعة معك يا رسول الله، فأنكر عليه وقال: ((لغدوة في سبيل الله(1) أو روحة خير من الدنيا وما فيها))(2).

فكلام أمير المؤمنين يشير إلى هذا.

(وأطع(3) الله في جمل أمورك): يريد أن المواظبة على طاعة الله تعالى(4) أمر عسير صعب، فإذا كان كذلك، فليكن ذلك في جمل الأمور، فلعل الله أن يصلحها بذلك.

(فإن طاعة الله تعالى فاضلة على غيرها(5)): يريد أنها أفضل الأعمال.

(وخادع نفسك في العبادة): يعني اخدعها عن اتباع الشهوات واشغلها بعبادة الله بترغيبها في حسن عاقبتها وطيب عيشها في الآخرة، ونعيمها في الجنة.

(وارفق بها): من الرفق، وهو: السهولة.

(ولا تقهرها): بتكليفها للأعمال الشاقة القاهرة.

(وخذ عفوها): أي ما تيسر من حالها من غير ملالة لها ولا سآمة عليها.

(ونشاطها): أي وخذ منها ما تكون ناشطة إليه، فإن ذلك أقرب إلى المداومة وأعظم في الاستمرار على الطاعة.

(إلا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة): من هذه الفرائض الواجبة، والفروض اللازمة لك.

(فإنه لا بد من قضائه): سواء كان ذلك(6) بسهولة أو عسرة في ذلك؛ لأن المصلحة هو في أدائها

مطلقاً، ولهذا فرضت.

---

(1) الله، زيادة في (ب).
(2) وروى الموفق بالله في الاعتبار ص539 برقم (472) بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)) وأخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص395 برقم(482) بسنده عن علي عليه السلام، وفيه: ((لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها)).
(3) في نسخة: فأطع الله، (هامش في ب).
(4) تعالى، سقط من (ب).
(5) في شرح النهج: على ما سواها، وكذا في نسخة، (هامش في ب).
(6) ذلك، سقط من (ب).

*(2035/5)*

---

(وَتَعَاهُدِهَا): الضمير للفرائض المكتوبة من هذه الصلوات.
(عند محلها): أوقاتها التي تؤدى فيها، وتأهب لها وواظب عليها.
(وإياك أن ينزل بك الموت): يرد عليك ويأتيك فجأة.
(وأنت آبق من ربك): استعارة من إباق العبد وهو(1): هربه من سيده من غير رضاه.
(في طلب الدنيا): طالباً للدنيا ومنهمكاً في طلب لذاتها وتحصليها، فالظرف هاهنا في موضع الحال كما قررته.
(وإياك ومصاحبة الفساق): الخارجين عن الدين باقتحام الكبائر، والورود في العظائم، فإنهم لا محالة شر، وهم أهل الشر، فلا شر أعظم مما هم فيه، ولا مما وُعِدُوا به من العقاب العظيم.
(فإن الشر بالشر مُلْحَقٌ): يشير إلى أنهم شر ومصاحبتهم أشر، ومن صاحبهم فهو لاحق بهم في الشر.
(ووقِّر الله): التوقير: التعظيم والترزين(2)، وأراد إما عظم الله تعالى بفعل ما يجب له من الطاعة والانكفاف عن المعصية، وإما عظم الله تعالى بتعظيم أوليائه، كما يقال: أحب الله أي أحبه بمحبتك لأوليائه.
(وأحب(3) أحباءه): أي(4) الذين يحبهم، فإن محبتك إياهم محبة له.
(واحذر الغضب، فإنه جند عظيم من جنود إبليس): يتقوى به ويتسلط، كما يكون الجند للسلطان تنفذ بهم أوامره، ويتسلط بهم على الخلق.

(1) وهو، سقط من (ب).
(2) الرزانة: الوقار، وفي (ب): والتعزيز.
(3) في شرح النهج: وأحبب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(4) أي، سقط من (ب).

*(2036/5)*

---

(70) ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حُنيف الأنصاري(1) عامله على المدينة(2)
(أما بعد، فقد بلغني أن رجالاً ممن قِبَلَكَ): من أصحابك وممن يختص بك.
(يتسللون إلى معاوية): يذهبون إليه في خفية منك وسراراً من أنفسهم.
(فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم): أي تحزن على بطلان ما فات عنك من الانتصار بهم، والاعتضاد في أعظم أمورك باجتماعهم.
(ويذهب عنك من مددهم): المدد هو: الإمداد، وأراد ما يزول عنك من إمدادهم لك في النصرة.
(فكفى لهم عناء(3)): أي تعباً بالعين المهملة، وانتصابه على التمييز بعد الفاعل.
(ولك منهم شافياً): ما يشفي غيظك.
(فرارهم من الهدى والحق): هذا أعني فرارهم فاعل لكفى، وأراد هربهم من الحق الذي يريده الله والهدى الذي رضيه.
(وإيضاعهم إلى العمى والجهل): الإيضاع: ضرب من السير، وغرضه وإسراعهم إلى الأمور المعمية عن الحق والجهالات الصارفة عنه.
(وإنما هم أهل دنيا يتقلبون(4) عليها): يريد وما حملهم على ذلك إلا أنهم أهل دنيا يتصرفون فيها.

---

(1) هو سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي، المتوفى سنة38هـ، أبو ثابت، والد أبي أمامة، بدري، شهد المشاهد كلها، وكان ممن بايع على الموت، وثبت يوم أحد، ثم صحب عليًّاعليه السلام من حين بويع له، واستخلفه على المدينة حين سار إلى البصرة، وشهد معه صفين، وولاه فارس، ثم مات بالكوفة، وصلى عليه علي عليه السلام، وكبّر عليه ستاً فقال: إنه كان بدرياً. (انظر لوامع الأنوار 96/3).
(2) في شرح النهج: وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية.
(3) في شرح النهج: غيًّا، أي ضلالاً. والمعنى مقارب.
(4) في شرح النهج: مقبلون.

(ومهطعون لها(1)): أي مسرعون إلى ما يحصل من أطماعها باللحاق بمعاوية، فكان ذلك سبباً للخروج إليه.

(قد عرفوا العدل ورأوه): تحققوه بأفئدتهم ورأوه بأبصارهم.

(وسمعوه): بآذانهم.

(ووعوه): بقلوبهم.

(وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة): لافضل لأحد منهم(2) على الآخر، ولا زيادة لأحد على غيره في الحق، والأسوة: القدوة.

(فهربوا إلى الأثرة): وهي الاسم من الاستئثار.

(فبعداً): من قولهم: بعد يبعد بعداً.

(لهم وسحقاً!): وهما مصدران من المصادر التي تضمر أفعالها ولا تظهر، وقد مر بيانه.

(إنهم والله لم(3) ينفروا من جور): ما كان هربهم من جور لحقهم مني.

(ولم يلحقوا بعدل): من جهة معاوية، وإنما طمعوا في الدنيا ونظارتها وزهرتها وغضارتها، ونفروا من مرارة العدل وكون الناس مستويين فيه.

(وإنا لنطمع في هذا الأمر): يعني الخلافة.

(أن يذلل الله(4) لنا صعبه): ما يصعب فيه فيكون ذليلاً.

(ويسهل لنا حزنه): الحزن: المكان الجرز(5).

(والسلام عليك(6)): منَّا.

---

(1) في شرح النهج: إليها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب): لا فضل لأحدهم على الآخر.

(3) في نسخة: لن، (هامش في ب).

(4) الله، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(5) أرض جُرُز وجُرْز كعُسُر وعُسْر لا نبات بها. (مختار الصحاح ص99).

(6) في شرح النهج: والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(71) ومن كتاب(1) له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي(2)، منسوب إلى بني عبد الله أو بني عبد(3)، وقد خان في بعض ولاياته من أعماله

(أما بعد؛ فإن صلاح أبيك(4) غرَّني منك): يريد أن أباك لما كان صالحاً سالكاً لطريق السلامة والخير، وربما(5) غلب على(6) الظن سلوك الولد طريق والده في الصلاح.

(وظننت أنك تتبع هديه): الهدي هو: السمت الحسن.

(وتسلك سبيله): تأتي على طريقته(7).

---

(1) في شرح النهج: ومن كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي، وقد كان استعمله على بعض النواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولاه من أعماله.

(2) هو المنذر بن الجارود (واسمه بشر) بن عمرو بن خنيس العبدي، المتوفى سنة61هـ، أمير، كان شريفاً، وشهد الجمل مع أمير المؤمنين علي عليه السلام، وولاه الإمام على إمرة اصطخر فخان في ولايته، والمنذر غير معدود في الصحابة، ولا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان تائهاً معجباً. (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 57/18،55، والأعلام292/7).

(3) وهم بنو عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، والمنذر بن الجارود العبدي هو منهم.

(4) هو بشر بن عمرو بن خنيس بن المعلى العبدي، المتوفى سنة20هـ، سيد عبد القيس (وهم بطن من أسد ربيعة) كان شريفاً في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فوفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جماعة من قومه وكانوا نصارى فأسلم، وفرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسلامه وأكرمه، وعاش إلى زمن الردة، واستشهد يوم سهرك في عقبة الطين (موضع بفارس). (الأعلام 55/2).

(5) في (ب): ربما.

(6) على، زيادة في (ب).

(7) في (ب): طريقه.

*(2039/5)*

---

(فإذا أنت فيما رقّي إليَّ عنك(1)): ارتفع إليَّ من أخبارك واطلعت عليه من ذلك، ومنه قولهم: رقى السُلَّم إذا طلعه، قال الله(2) تعالى: {أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ}[الإسراء:93].

(لا تدع لهواك انقياداً): إلا سلكته وأخذت في طريقه.

(ولا تبقي لآخرتك عتاداً): أي شيئاً تُعِدُّه لها، وتهيِّئه من أجلها، كما قال تعالى: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً}[النساء:37]، أي هيأنا ذلك لهم.

(تعمر دنياك بخراب آخرتك): أراد أنك تتعم في الدنيا بأكل الطيبات، وخضمها وقضمها، وهذا هو عمارة الدنيا، وخراب(3) الآخرة بإبطال العمل لها، والإعراض عنها في كل حالة.

(وتصل عشيرتك): بأموال الله المتروكة على يدك.

(بقطيعة دينك): إبطاله وهدمه، وإنفاق(4) أموال الله تعالى في غير وجهها، وصرفها في غير أهلها.

(ولئن كان ما بلغني عنك حقاً): من الخيانة في أموال الله، وإعطائها من لا يستحقها.

(لَجَمَلُ أهلك): جعل هذا كناية عن ذله واستحقاره، لأن جمل الأهل هو الجمل الذي يكون ميراثاً بينهم(5) من أبيهم، يستعمله كل واحد منهم، ويمتهنه كل منهم في حاجته من غير صيانة.

(وشِسْعَ نعلك): الشسع: واحد الشسوع للنعل، وهو سيره(6) الذي يشدُّ به إلى السير الجامع لها في ظهر الكف.

(خير منك وممن(7) كان بصفتك): في قلة الأمانة، وعدم الثقة فيما هو بصدده، وفيما هو مولى عليه من ذلك.

---

(1) في (ب): منك، وأشار في هامشها إلى أنه في نسخة: عنك.

(2) الله، زيادة في (ب).

(3) في (ب): وإخراب.

(4) في نسخة: بإنفاق، (هامش في ب).

(5) في (ب): الذي يكون بينهم ميراثاً من أبيهم.

(6) السير: الذي يقطع من الجلد.

(7) في (ب) وشرح النهج: ومن.

*(2040/5)*

---

(فليس بأهل أن يُسَدَّ به ثغر(1)): الثغر مرَّ تفسيره، وأنه أبداً لا يؤهل لأمور الحرب.

(أو يُنْفَذَ به أمر(2)): من الأمور الدينية.

(أو يعلى له قدر): ترفعه على غيره.

(أو يشرك في أمانة): يستحفظ وديعة، أو يكون شريكاً في حفظها.

(أو يؤمن على جباية): على ما يجبى من الأموال، ويكون حفيظاً عليها.

(فأقبل إليَّ حين يصلك(3) كتابي هذا إن شاء الله): وهذه أمارة عزله عن الولاية؛ لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه ويرشد إليه، والمنذر هذا هو الذي قال(4) فيه أمير المؤمنين:

(إنه لنظَّار في عِطْفَيْهِ): عطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وَرِكه(5)، ويقال: فلان ثنى عطفه

عني إذا أعرض عنك.

(مختال في بُرْدَيْه): اختال الرجل في مشيه من الخيلاء.

(تفّال في شِراكَيْهِ): يعني إذا ركب شراكه(6) غبار تفل فيه فأزاله، والتفال هو: البزاق، وأراد في هذا كله بيان رعونته وحمقه، وتخايله وتكسره واسترخائه عند سيره.

(72) ومن كتاب له [عليه السلام](7) إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه

(أما بعد؛ فإنك لست بسابق أجلك): يعني أنك لا تتقدم عنه ولا تتأخر، تصديقاً لقوله تعالى: {لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}[الأعراف:34].

---

(1) في (أ): أن نسّد به ثغراً.

(2) في (أ): أو ننفّذ به أمراً.

(3) في شرح النهج: يصل إليك كتابي ...إلخ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) في نسخة: يقول، (هامش في ب).

(5) الوَرِكَ: ما فوق الفخذ، وهي مؤنثة، وقد تخفف مثل فَخِذ، وفَخْذ. (مختار الصحاح ص717).

(6) الشراك: السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم،

(7) زيادة في نسخة أخرى، وشرح النهج.

*(2041/5)*

---

(ولا مرزوق ما ليس لك): يعني ولا ترزق ما لم يكن رزقاً لك عند الله تعالى.

(واعلم بأن الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك): يريد أن الدهر لاينفك عن ذلك، وأن حكمه جار على هذه الحالة، واليوم الذي يكون عليه هو ما يلحقه فيه من الضر والبؤس، واليوم الذي له هو ما يلحقه فيه من النعماء والخير.

(وأن الدنيا دُوَلٍ): أحوال متداولة بين الخلق، وأمور(1) متعاقبة.

(فما كان منها لك أتاك على ضعفك): يريد ما كان مقدَّراً لك وصوله أتاك وإن ضعفت عن نيله.

(وما كان منها عليك): تكرهه وتحذر من(2) وصوله.

(لم تدفعه بقوتك(3)): يعني من المصائب والبلاوي، وقد مر هذا الكلام في غير هذا الموضع.

(73) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(أما بعد؛ فإني على التردد في جوابك): أقلب رأيي ظهراً لبطن.

(والاستماع إلى كتابك): أرجعه مرة بعد مرة.

(لموهّن رأيي): الوهن: الضعف.

(ومخطِّئ فراستي): ثاقب نظري ونافذ فكرتي وصدق ظني وحسنه، وأراد من هذا كله(4) استضعاف رأيه في الإجابة لمعاوية، إذ لم يجعل جوابه السكوت والإعراض عنه والاستحقار بحاله، كما قال تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً}[الفرقان:63].

(وإنك إذ تحاولني الأمور، وتراجعني السطور): يعني وإنك فيما تحاول من الأمور، وتطلبها مني، وتريد مني المساعدة لك فيها، وتراجعني بكتبك طالباً لأغراضك فيها:

(كالمستثقل النائم): الثقيل: المسترخي لكثرة نومه وتهالكه فيه.

(تكذبه أحلامه): يرى في نومه أحلاماً كاذبة.

---

(1) وأمور، سقط من (ب).

(2) من، سقط من (ب).

(3) في (ب): لم تدفعه قوتك.

(4) في (ب): من هذا الكلام استضعاف ...إلخ.

*(2042/5)*

---

(والمتحير(1) القائم يبهظه(2) مقامه): والمتردد في حال قيامه لا يدري ما يفعل من أموره، يثقّله مكانه الذي هو فيه فلا يستقر فيه، والمعنى في هذا هو أنه شبه حال معاوية بما يطلب من الأمور ويراجع بالكتب بمن استثقل في نومه، وغلبه النوم، فهو يرى أحلاماً كاذبة لا حقيقة لها، ولا(3) يصدق منها شيء بحال، فأنت فيما أنت فيه مشبه بحال من:

(لا يدري أله ما يأتي): من الأمور.

(أم عليه): وهذا منه عليه السلام استجهال آخر بحال معاوية، فإن من لايدري ما يأتي من الأمور وما يذر فهو في غاية الجهالة، وركوب أعظم ما يكون من الضلالة.

(ولست به): يعني(4) أنك لست نائماً.

(غير أنه بك شبيه): يعني أنما قلت ليس على جهة الحقيقة، وإنما هو على جهة التشبيه.

سؤال؛ أراه قال ها هنا: ولست به غير أنه بك شبيه، وكأن قياسه غير أنك به شبيه؛ لأن حال معاوية مشبه بالنائم كما قال؟

وجوابه؛ هو أن غرضه في جميع ما ذكره المبالغة في جهل معاوية والتهالك في وصفه بالغباوة، فشبهه أولاً بالنائم المستثقل، ثم قال: ولست به يعني حقيقة، ثم استأنف المبالغة في حاله بقوله: إنك

شبيه به، كأنه هو النائم على جهة الحقيقة، وما ذكره مشبه بحال معاوية(5)، ومن قرع سمعه التشبيهات للشعراء وإغراقهم فيها، ودخولهم في معانيها كل مدخل عرف صدق مقالة أمير المؤمنين، وعرف مراده من ذلك.

---

(1) في (ب): أو المتحير.
(2) في النسخ: يبهضه بالضاد المعجمة، وما أثبته من شرح النهج.
(3) في (ب): فلا.
(4) في (ب): أي.
(5) في (أ): مشبه بمعاوية.

*(2043/5)*

---

(وأقسم بالله لولا بعض الاستبقاء): أراد إما طلب البقاء(1) لأحواله رجاء أن يعود عن غيِّه، ويرجع عن فسقه، وإما أن يريد المباقاة تحلماً عنه وتكرماً عن سرعة الانتقام منه.
(لوصلت مني إليك نوازع(2)): النوازع هي: الخصومات في الحق، يقال: كان بينهم نوازع أي خصومات ومشاجرة عظيمة، أو يكون مراده قوالع من انتزع الشيء عن أصله إذا قلعه.
(تقرع العظم): أي تقطع ما فوقه من اللحم [حتى تبلغه](3) فتكسره، والمراد بقرعه كسره.
(وتلهس(4) اللحم): أي تذهبه، ولهسه المرض إذا أذهب قواه.
(واعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك): أبطأ بك عن الوقوف على أحسن الآراء، وأحمدها عاقبة وأرضاها لله تعالى(5).
(وتأذن لمقال نصيحك): وتسمع لمن يناطقك بالنصح ويشافهك به.

(74) ومن حِلْفٍ [له عليه السلام](6) كتبه بين اليمن وربيعة

---

(1) في (ب): الإبقاء.
(2) في شرح النهج: قوارع، والعبارة في (ب): لوصلت إليك مني قوارع.
(3) سقط من (ب).
(4) في شرح النهج: وتنهس.
(5) تعالى، زيادة في (ب).
(6) زيادة في شرح النهج.

*(2044/5)*

---

نقل من خط هشام بن الكلبي(1)، يريد قبائل اليمن من همدان وقحطان وقبائل نزار، وهما ربيعتان(2): ربيعة الكبرى وهي ربيعة بن مالك بن زيد مناة، وربيعة الصغرى ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفي عُقَيْلِ أيضاً ربيعتان: ربيعة بن عُقَيْلِ، وربيعة بن عامر، والله أعلم بمراده من ذلك(3).

(هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها): يعني بأجمعهم من يسكن منهم القرى ومن يكون في البداوة.

(وربيعة حاضرها وباديها): بأجمعهم أيضاً بدوهم وقرارهم.

---

(1) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي، المتوفى سنة204هـ، أبو المنذر، نسابة، إخباري، محدث، أديب، مؤرخ كأبيه، روى عن أبيه، ومجاهد بن سعيد وغيرهما، وهو شيعي من أهل الكوفة ووفاته بها، وله تصانيف تزيد على مائة وخمسين كتاباً ورسالة منها: جمهرة الأنساب، والجمل، والنهروان، ومقتل أمير المؤمنين، ومقتل حجر بن عدي، ومقتل الحسين عليه السلام، وقيام الحسن عليه السلام، وأخبار محمد بن الحنفية وغيرها. (انظر معجم ورجال الاعتبار ص456 ترجمة رقم (902)).

(2) في (ب): ربيعيان.

(3) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 66/18 ما لفظه: واليمن كل من ولده قحطان نحو حمير وعك وجذام وكندة والأزد وغيرهم، وربيعة هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهم بكر وتغلب وعبد القيس، وذكر في القاموس المحيط ص928 ربيعة الفَرَس هو ابن نزار بن معد بن عدنان، أبو قبيلة، قال: وفي عُقَيْل ربيعتان ربيعة بن عقيل أبو الخُلعاء، وربيعة بن عامر بن عقيل أبو الأبرص وقحافة وعرعرة وقرة، وفي تميم ربيعتان الكبرى وهي ربيعة بن مالك وتدعى ربيعة الجوع، والصغرى وهي ربيعة بن حنظلة بن مالك، وربيعة أبو حي من هوازن وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة وهم بنو مجد، ومجد أمهم. انتهى.

*(2045/5)*

---

(أنهم على كتاب الله): يريد مجتمعة آرائهم على حكم كتاب(1) الله تعالى، يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويوردون ويصدرون عن أمره، لا يخالفونه في أمر من الأمور.

(يدعون إليه): أي إلى إحياء أحكامه من بلغه وسمعه.

(ويأمرون به): أي يأمرون بما تضمن من الأحكام، أو أراد لا يصدرون أوامرهم إلا على وفقه ونحوه.

(ويجيبون من دعا إليه وأمر به): أراد وإذا دعاهم داعٍ إلى كتاب الله تعالى(2) أجابوه ونصروه وأعانوه على أمره كله، وهكذا حال من أمر به يعضدونه على ذلك.

(ولا يشترون به ثمناً(3)): أي ولا يبيعونه بأبخس الأثمان وأهونها، ولا يخالفونه بشيء من حقير الدنيا وحطامها.

(ولا يرضون به بدلاً): ولا يتبدلون به(4) غيره من سائر الكلامات وسائر الكتب المنزلة، مع غيرهم كاليهود والنصارى.

(وأنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه): يعني أنهم مجتمعون على حرب من خالف ذلك وأهمله، لايفترقون عن تغييره وهدمه.

(أنصار بعضهم لبعض(5)): هذا ينصر ذاك، وذاك ينصر هذا على دين الله وكتابه، ولا يحرف ولايبدل.

(دعوة(6) واحدة): أي دعوتهم على ذلك دعوة واحدة، لا اختلاف فيها، ولا تفريق.

(لا ينقضون عهدهم): ما تعاهدوا عليه من ذلك.

(لمعتبة عاتب): لرضاء من يسترضي.

(ولا لغضب غاضب): ولا يخالفونه لمكان غضب من يغضب منهم.

(ولا لاستذلال قوم قوماً): ولا من أجل أن قوماً يستذلون قوماً ويستضعفونهم فيقهرونهم.

---

(1) كتاب، سقط من (ب).

(2) تعالى، سقط من (ب).

(3) في شرح النهج: لا يشترون به ثمناً قليلا.

(4) به، زيادة في (ب).

(5) في (أ): أنصار لبعضهم بعض، وأثبته من (ب)، وفي شرح النهج: وأنهم أنصار بعضهم لبعض.

(6) في شرح النهج: دعوتهم، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

*(2046/5)*

(ولا لمشية(1) قوم قوماً): ولا لأن قوماً يريدون قوماً بالمكروه(2)، فلا يخالفون كتاب الله من أجل هذه العوارض، ولا يكون ذلك سبباً لتغيير أحكامه وإبطال أعلامه.

(على ذلك شاهدهم وغائبهم(3)): أي أقرَّ على ذلك من شهد منهم(4) ومن غاب.

(وحليمهم وجاهلهم): ومن كان منهم كبيراً يوصف بالحلم والعقل، ومن كان صغيراً يوصف بالجهل.

(ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه): في الوفاء به والاستمرار عليه، وعهود الله: تأكيداته وتوثيقاته على الوفاء بما عقدت عليه، ثم تلا هذه الآية:

({إِنَّ الْعَهْدَ(5) كَانَ مَسْئُولاً})[الإسراء:34]: أي مسؤلاً(6) عنه يوم القيامة في الوفاء به، وفي حفظه على ما عقد عليه، ثم إن آخر العهد مكتوب: (وكتب علي بن أبي طالب): شهادة على ذلك، وتوكيداً لأمره، وتوثيقاً لحاله.

(75) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول خلافته، ذكره الواقدي(7) في كتاب (الجمل)

---

(1) في شرح النهج: ولا لمسبِّة.

(2) في (ب): بمكروه.

(3) بعده في شرح النهج: وسفيههم وعالمهم.

(4) في (أ): فيهم.

(5) في (أ): إن عهد الله، وصواب الآية كما أثبته من (ب) ومن المصحف الكريم.

(6) أي مسئولاً، سقط من (ب).

(7) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي، المدني، الواقدي [130-207هـ] أبو عبد الله، مؤرخ، حافظ، قاضي، ولد بالمدينة، واتصل بهارون العباسي والبرامكة فأعطوه وقربوه، وولي قضاء شرق بغداد، وأكرمه المأمون كذلك، له مؤلفات كثيرة منها: تأريخ الفقهاء وغيره. (انظر معجم رجال الاعتبار ص397-398 ترجمة رقم (782)).

*(2047/5)*

---

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان):وهذا الكتاب إنما كان في أول خلافته، وقبل حدوث الحوادث من معاوية، فلهذا لاطفه فيه، وأجمل فيه عتابه.

(أما بعد؛ فقد عرفت(1) إعذاري فيكم): بلوغ الغاية في نصيحتي لكم وقبول المعذرة منكم.

(وإعراضي عنكم): عن المكافأة لكم، واستلحاقكم في كل ما فعلتموه من الأفاعيل المكروهة.

(حتى كان ما لا بد منه): أي ما علم الله وقوعه، وما سبق في علمه.

(ولا دفع له(2)): من الحروب والوقائع.

(وقد أدبر ما أدبر): ممَّا كان ووقع وحدث.

(وأقبل ما أقبل): مما نريد استقباله من الأمور كلها.

(فبايع من قِبَلَكَ): من سائر المسلمين الموافقين لأمري والمتابعين لي.

(وأقبل إليَّ في وفد من أصحابك): الوفد: الجماعة من الناس.

(76) ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن عباس عند استخلافه إياه على البصرة

(سع الناس بوجهك): جعل هذا كناية عن سعة الأخلاق ولين الجانب والعريكة.

(ومجلسك(3)): أي لاترد أحداً من بابك وموضعك الذي أنت فيه.

(وإياك والغضب): احذره وجانبه أشد المجانبة.

(فإنما هو طَيْرَةٌ(4) من الشيطان): يقال: فلان طَيْرة وطَيْرُوْرة أي ذو طيش وفشل، قال الكميت:

وحلمك عزٌ إذا ما حلمت

وطيرتك الصاب والحنظل(5)

(واعلم أن ما قربك من الله يباعدك عن النار): من أعمال البر والتقوى وإصلاح الحال.

---

(1) في شرح النهج: علمت.

(2) بعده في شرح النهج: والحديث طويل، والكلام كثير،

(3) بعده في شرح النهج: وحكمك.

(4) في شرح النهج: فإنه طيرة ...إلخ.

(5) أورد البيت ابن أبي الحديد في شرح النهج 70/18، ونسبه إلى الكميت أيضاً، والصاب: شجر مرّ، والبيت أيضاً في لسان العرب 636/2.

*(2048/5)*

---

(وما باعدك من الله يقربك من النار): من الأعمال القبيحة، واتباع الهوى، والانقياد للشيطان واتباعه.

ثم قال له للاحتجاج على الخوارج:

(لا تخاصمهم(1) بالقرآن): اعلم أن الخوراج لما نقموا عليه ما نقموا بعث عبد الله بن العباس يقرر

عليه ما التبس عليهم ويوضحه لهم، ويفحمهم بالحجج والبينات، فنهاه أولاً عن المخاصمة بالقرآن.

(فإن القرآن حمَّال ذو وجوه): محتمل(2) للتأويلات الكثيرة، يمكن أن يفسره كل واحد بوجه له من التأويل يخص مذهبه.

(تقول): أنت بقول(3) من جهة القرآن.

(ويقولون): بقول آخر يخالفه ويعارضه.

(ولكن حاجهم(4) بالسنة): بنصوص الرسول صلى الله عليه وآله فإنها أقطع للاحتمالات وأصرح بالمقصود، وأشفى للغرض.

(فإنهم لايجدون عنها محيصاً): أي معدلاً يعدلون إليه ويستمدون منه.

سؤال؛ كيف قال: لاتخاصمهم بالقرآن، والقرآن كلام الله، وهو أبهر الحجج وأعظمها حالاً، فكيف منعه من ذلك، وأمر بالمخاصمة بالسنة وهي أضعف حالاً من القرآن؟

---

(1) في (ب): لا تحاكمهم.

(2) في (ب): متحمل.

(3) في (ب): تقول.

(4) في شرح النهج: حاججهم.



---



وجوابه؛ هو أن الكتاب والسنة حجتان من حجج الله تعالى على خلقه، وعليهما التعويل في جميع اقتباس الأحكام من التحليل والتحريم، وغير ذلك من الأحكام الشرعية، خلا أن القرآن لما كان المقصود منه الإعجاز والإفحام لمن تحدي به(1) من سائر الفصحاء، وكان لا محالة لاشتماله على البلاغة والفصاحة، اللفظة الواحدة محتملة لمعاني كثيرة، وتحمل على أوجه متعددة، ومن أجل هذا قد بلغ في الفصاحة والبلاغة كل مبلغ، والسنة ليس المقصود منها الإعجاز والإفحام، وإنما المقصود منها البيان والإيضاح للمقاصد، فلا جرم لم يكن احتمالها كاحتمال القرآن، فلا جرم أمره بما ذكرناه، لما كانت تصريحاتها أكثر في ذلك.

(77) ومن كتاب له عليه السلام في أمر الحكمين جواباً لأبي موسى الأشعري

ذكره سعيد بن يحيى الأموي في (المغازي)(2):

(فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من خطهم(3)): يعني أن كثيراً من الخلق قد غيَّروا كثيراً من طرائقهم المحمودة التي كانوا عليها.

(فمالوا مع الدنيا): إلى أطماعها وزهرتها.

(ونطقوا بالهوى): من جهة أنفسهم وآرائهم، وليس نطقهم بالحق ولا على موافقته، وإنما [كان ذلك](4) لما تابعوا الدنيا نطقوا وتكلموا بما يهوونه من أنفسهم.

(وإني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً): يريد إن إمامتي وخلافتي أمر يستطرف منه ويعجب كل أحد، لما فيه من اتباع الحق وترك الانقياد للأهواء.

(اجتمع به أقوام):قالوا به ودخلوا فيه.

---

(1) به، سقط من (ب).

(2) في شرح النهج: ومن كتاب له عليه السلام أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب كتبه إليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومة، وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي.

(3) في (ب) وشرح النهج: حظهم.

(4) زيادة في (ب).

*(2050/5)*

---

(أعجبتهم أنفسهم): أعجبوا بآرائهم، واستهواهم الإعجاب بأنفسهم، يشير بذلك إلى أبي موسى، فإنه من جملة أصحابه وأعوانه، ولكنه أعجب برأيه.

(فإني(1) أداوي منه(2) قرحاً): أي جرحاً عظيماً، قال الله تعالى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ}[آل عمران:140].

(أخاف أن يكون عَلَقَاً): أي(3) لازماً، والعلق بالفتح: ما لزم، يقال: أصاب ثوبي علق وهو ما يمسكه ويكون لازماً له.

(وليس رجل أحرص على(4) جماعة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم): على اجتماعهم وكونهم مؤتلفين.

(وألفتها): أن تكون قلوبهم واحدة على الحق.

(مني): فإني أعظمهم محبة لذلك، وأقواهم شهوة له.

(أبتغي بذلك حسن الثواب): الدرجات العالية عند الله.

(وكرم المآب): وعظم المنزلة الرفيعة عند الله تعالى.

(وسأفي بالذي وأيت من(5) نفسي): أوفي لله تعالى بما وعدته من ذلك،والوأي: الوعد.

(وروَّأت): يقال: روَّأت في الأمر إذا نظرت فيه وتفكرت في أحواله، وأراد أنه وافٍ بما وعد، وبما نظر فيه وتفكر في عاقبته من أمور الأمة.

(وإن تغيَّرت عن صالح ما فارقتني عليه): يشير إلى أبي موسى، وظاهر كلامه أنه كان يوم(6) فارقه على الطريقة الحسنى، ولازم للخصلة المثلى.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: فأنا.
(2) في شرح النهج: منهم.
(3) أي، سقط من (ب).
(4) في (ب): وليس رجل -أعلم- أحرص على ...إلخ، وفي شرح النهج: وليس رجل -فاعلم- أحرص على ...إلخ.
(5) في (ب) وشرح النهج: على.
(6) في (ب): كان في يوم فارقه ...إلخ.

*(2051/5)*

---

(فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة): أراد أن أعظم الشقاوة في الإنسان أن يؤتيه الله تعالى عقلاً وافراً وتجربة في الأمور عظيمة(1)، ثم يحرم نفع ذلك، ولا يلحقه خيره.
(وإني لأَعْبَدُ): لآنف وأحتمي.
(أن يقول قائل بباطل): أن في موضع نصب على نزع الجار، أي عن أن يقول أحد(2) من الأمة بباطل مخالف للحق.
(وأن أفسد أمراً قد أصلحه الله): وأن يكون ساعياً بفساد أمر قد أذن الله بصلاحه واستمراره.
(فدع ما لاتعرف): من الأمور، فإن خوض الإنسان فيما لا يعرفه جهالة لأمره وخبط في حاله.
(فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء): شبه حالهم بما يسعون به من النميمة، والإغراء بالباطل، والسعي بالفساد في الإسراع والخفة والعجلة بسرعة الطيران.

(78) ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء الأجناد لما استخلف
(أما بعد، فإنما هلك من كان قبلكم): يريد من الأمم والقرون الماضية.
(أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه): يعني من جهة أخذ الحق وتناوله، فاشتروه منهم بدفع الأعواض النفيسة ليصلوا إليه.
(وأخذوهم بالباطل فافتدوه(3)): يعني وقهروهم فأخذوا منهم الباطل فافتدوه، والضمير في قوله: فافتدوا(4) للباطل أي فافتدوا الباطل عن أن يكون مأخوذاً منهم.
وبتمامه يتمُّ الكلام في الكتب والوصايا وهو آخر القطب الثاني، ونشرع الآن في شرح القطب الثالث

[إنشاء الله](5).

فهرس الموضوعات

---

(1) عظيمة، سقط من (ب).
(2) في (ب): واحد.
(3) في شرح النهج: فاقتدوه، وقال في شرحه: أي حملوهم على الباطل فجاء الخلف من بعد السلف، فاقتدوا بآبائهم وأسلافهم في ارتكاب ذلك الباطل ظنًّا أنه حق لما قد ألفوه ونشئوا وربّوا عليه. انتهى.
(4) في (ب): وافتدوه.
(5) زيادة في (ب).

*(2052/5)*

---

ومن كتاب له (ع) جواباً لمعاوية_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى بعض عماله_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى زياد بن أبيه_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى زياد بن أبيه أيضاً_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى ابن عباس رضي الله عنه_ … _
ومن كلام له (ع) قبل موته على جهة الوصية_ … _
ومن وصية له (ع) بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين_ … _
ومن وصية له (ع) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات_ … _
ومن عهد له (ع) لأهل الخراج_ … _
ومن عهد له (ع) كتبه لمحمد بن أبي بكر رضي الله عنه حين قلَّده مصر_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى أهل البصرة_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية_ … _

*(2053/5)*

---

ومن وصيته للحسن بن علي (ع) كتبها له بحاضر قنسرين منصرفاً من صفين_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة_ … _
من كتاب له (ع) إلى محمد بن أبي بكر_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى عبد الله بن العباس بعد قتل محمد بن أبي بكر بمصر _ … _
ومن كتاب له (ع) إلى عقيل بن أبي طالب_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى أهل مصرلما ولَّى عليهم الأشتر_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى عمرو بن العاص_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى بعض عماله_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى بعض عماله عبد الله بن عباس_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي، عامله على البحرين_ … _
ومن كتاب له (ع) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني_ … _

ومن كتاب له (ع) إلَى زياد بن أبيه_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى بعض عماله_ ... _
ومن وصية له (ع) للحسن والحسين (ع) لما ضربه ابن مُلْجَم لعنه الله وأخزاه_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى غيره_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى أمرائه على الجيوش_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى عماله على الخراج_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة_ ... _
ومن عهد له (ع) كتبه للأشتر النخعي حين ولاه مصر وأعمالها_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى طلحة والزبير_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية_ ... _
ومن كلام له أوصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام_ ... _
ومن كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة_ ... _
ومن كتاب له إلى أهل الأمصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى الأسود بن قطبة صاحب حلوان_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيش_ ... _

*(2054/5)*

---

ومن كتاب له (ع) إلى كميل بن زياد وهو عامله على هيت_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله لما ولاَّه إمارتها_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى معاوية أيضاً_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته_ ... _
ومن كتاب له (ع) إلى الحارث الهمداني_ ... _

---



الديباج الوضي
في الكشف عن أسرار كلام الوصي

للإمام الأعظم يحيى بن حمزة عليه السلام

تحقيق
خالد بن قاسم بن محمد المتوكل



---

القطب الثالث

في المختار من الحكم والأجوبة للمسائل والكلام القصير من كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه

اعلم: أن الحِكَمَ جمع حكمة نحو سِدْرَة وسدر، والحكمة هي: العلم، والحكيم هو: العالم بالأمور كلها المتقن لها، وقد حكُم الرجل بضم الكاف أي صار حكيماً، قال الشاعر:

وابغض بغيضك(1) بغضاً رويداً

إذا أنت حاولت أن تحكما(2)

يريد إذا طلبت أن تكون حكيماً عالماً، واشتقاق الحكمة من قولهم: أحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكماً، ومنه حكمة اللجام؛ لأنها مانعة لها(3) عن التقحم على خلاف مراد الفارس، وإنما سميت حكمة لأنها مانعة(4) عن فعل كل قبيح، قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا(5) سفهاءكم

إني أخاف عليكم أن أغضبا

يقال: حكمت السفيه إذا أخذت على يده، فمن أخذ بالحِكَم وكان منقاداً لها سامعاً لأقوالها منعته عن أكثر الهوى.

ونحن الآن نورد ما أُثُرَ عنه عليه السلام من الحكم النافعة والآداب البالغة ما فيه بلاغ لمن اتعظ به، وشفاء لمن اعتمد عليه، وهو آخر الأقطاب الثلاثة المقرر عليها (نهج البلاغة).

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه:

---

(1) في (ب): وابغض ببغضك.

(2) لسان العرب 688/1 ونسبه للنمر بن تولب.

(3) أي الفرس.

(4) قوله: لأنها مانعة، سقط من (ب).

(5) في (ب): حكموا، وبيت جرير أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص91، وابن منظور في لسان العرب 689/1.

*(2057/6)*

[1] (كن في الفتنة كابن اللبون): أراد بابن اللبون ولد الناقة إذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة؛ لأن أمه قد وضعت ولداً غيره فصار لها لبن، واللام فيه لتعريف الجنس، وغرضه من هذا كن في الحرب مستضعفاً غير جامع للمال، بحيث لايطمع فيك لأجل قوتك، ولا في مالك لقلته.

(لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب): أي أنه لم ينته إلى حالة الركوب فيكون مركوباً، ولا هو مما يحلب فيكون ذا لبن.

[2] (أزرى بنفسه من استشعر الطمع): الشعار من الثياب: ما يلي الجسم، وأراد تهاون بنفسه من جعل الطمع شعاراً له.

(ورضي بالذل من كشف ضره): أراد أن من أظهر ضعف حاله للناس فقد ذل في أعينهم.

(أهان نفسه من أمرَّ عليها لسانه(1)): يعني من جعل لسانه أميراً على نفسه بحيث لايقدر على ضبطه وكفِّه فقد أهان نفسه، إما بأن يتكلم كلاماً يورده في المتالف العظيمة والمهالك الخطرة، وإما بأن يؤذي الناس فلا يبقى له عندهم قدر، وربما آذوه كما آذاهم، وفيه ما لا يخفى من الهوان بالنفس وإسقاطها.

[3] (البخل عار): العار: كل أمر يكسب صاحبه الذم واللوم، وهذا حال البخل، فإن صاحبه مذموم ملوم(2) في كل حال.

---

(1) في شرح النهج: وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه.

(2) في (ب): ملوم مذموم.

*(2058/6)*

---

(الجبن منقَصة): نقصته إذا عبته، والمنقَصة بفتح القاف هي(1): العيب، وأراد أن(2) الجبن الذي هو خلاف الشجاعة ونقيضها، وفي الحديث: ((الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ))(3)، وأراد أنه من أعظم العيوب في الإنسان:

(الفقر يخرس الفطن عن حجته(4)): أراد أن الرجل إذا كان فقيراً فربما تقاعد عن نصرة حقه؛ لما يلحقه من المذلة بالفقر، وتهاون الناس به، وعن هذا قال بعضهم:

عبيد ذي المال وإن لم يطمعوا

من غمرة في جرعة تشفي الصدى

وهم لمن أملق أعداء وإن

شاركهم فيما أفاد وحوى(5)

---

(1) في (ب): هو.

(2) أن، كتبها في (ب) ثم شخط عليها.

(3) أخرجه من حديث الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام من تأريخ دمشق ص85-86 تحت الرقم (145) بسنده عن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في رقبته ثم ضمّه إلى إبطه، ثم جاء الآخر فجعل يده الأخرى في رقبته ثم ضمّه إلى إبطه، ثم قبَّل هذا، ثم قبَّل هذا، ثم قال: ((اللهم، إني أحبهما فأحبهما))، ثم قال: ((أيها الناس، إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة))، وهو فيه أيضاً تحت الرقم (146) عن الأسود بن خلف بلفظ: ((إن الولد مبخلة مجبنة))، (وانظر تخريجه في المصدر المذكور)، وأورده بلفظ المؤلف هنا في مختار الصحاح ص42.

(4) في شرح النهج: حاجته.

(5) في (ب): وجوى، بالجيم، فلعله من الجوى وهو الحرقة وشدة الحزن.

*(2059/6)*

---

(الْمُقِل غريب في بلدته): لأن الغريب تعتريه المذلة لا محالة لمكان وحشته بالغربة، وهكذا حال الْمُقِل يلحقه مثل ذلك، وإن كان في بلده وبين عشيرته، ولهذا قال بعضهم: المال في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة، يشير به إلى ما ذكرناه.

[4] (العجز آفة): يعني أن كل من عجز عن حفظ نفسه ومنعها عن اتباع الشهوات، وعن كسب الأموال من وجهها، وعن مكافأة الأعداء فقد لحقته الآفة.

(والصبر شجاعة): لما فيه من تحمل المشاق العظيمة، فلا بد من أن يكون شجاعاً عليها.

(الزهد ثروة): الثروة: كثرة المال، وأراد أن نفوس الزهَّاد قانعة بالزهادة مطمئنة إليها، كما أن نفوس أهل الأموال قانعة بالثروة وساكنة إليها، فلهذا قال: الزهد ثروة، يشير إلى ما ذكرناه، أو يريد أن(1) من كثر زهده في اللذات الدنيوية عظم ثراؤه في المال وكثر لقلة الإنفاق فيها(2)، والوجه هو الأول.

(الورع جُنَّة): الْجُنَّة:ما سترك(3) من ثوب أو قميص، وأراد [أنه ساتر عن جميع مداخل الشك، أو أراد](4) أنه من أعظم الجنن عن النار وأجودها حالاً في الوقاية عنها.

(نعم القرين الرضا): يشير إلى أن الرضا من أجود ما يقارن الرجل من الخلائق والشيم؛ لأنه إذا كان راضياً بحاله كان أقر الناس عيناً وأهنأهم عيشاً؛ لرضاه بما هو فيه، ولهذا قيل لبعض الحكماء: من أهنئ الناس عيشاً؟

(1) في (ب): أنه.

(2) فيها، سقط من (ب).

(3) في (ب): ما يسترك.

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

*(2060/6)*

---

فقال: أرضاهم بحاله كائناً من كان، وفي الحديث: ((إن الله بلطفه جعل الرَوْحَ والراحة في الرضا واليقين، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط))(1).

[5] (العلم وراثة كريمة): يعني أنه لا ميراث أفضل من ميراث العلم، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((العلماء ورثة الأنبياء))(2)، وغرضه أنه يشرف صاحبها بوراثتها، ويعظم حاله، ويكمل أمره.

(الآداب حلل مجددة): يشير إلى أنه بمنزلة الملابس كلما دخل في أدب وألزمه نفسه كان بمنزلة من يلبس خِلْعَة(3) جديدة، وأنواعه كثيرة، وضروبه مختلفة.

(الفكر مرآة صافية): ولهذا يطلع به على كل ما خفي من الأمور الدقيقة، كما أن المرآة ترى فيها عند الاطلاع كل صغير وكبير من المحسوسات المدركة.

(1) أخرجه الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص39-40 الحديث رقم (30) من حديث عن أنس بن مالك، واللفظ فيه: ((إن الله تبارك اسمه بحكمه جعل الروح والفرج في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)) ورواه مرفوعاً من حديث العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج 203/11 أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الله بن مسعود، ثم ذكر الحديث وفيه: ((وأن الله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين وجعل ...))إلخ.

(2) الحديث بلفظ: ((العلماء مصابيح العلم، وورثة الأنبياء)) أخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 58/1 بسنده يبلغ به إلى الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام، والحديث باللفظ الذي رواه المؤلف هنا هو في مسند شمس الأخبار 170/1 في الباب (24)، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه ابن النجار عن أنس، بلفظه..

(3) في (ب) ونسخة أخرى: حلة، والخِلعة بالكسر: ما يخلع على الإنسان من الكسوة.

*(2061/6)*

---

[6] (وصدر العاقل صندوق سره): يعني أن كتمان السر من شروط العقلاء؛ لما فيه من ملك الأمر والحكم على النفس.

(البشاشة حبالة المودة): رجل بش إذا كان طلق الوجه.

قال ابن السِّكيِّت في (إصلاح المنطق): يقال: لقيته فتبشبش بي، وأراد هنا أن طلاقة الوجه وسَبَاطَة(1) الخلق هو وصلة المودة وحبالتها التي يُصطاد بها، ومنه حبالة الصائد وهي: شَرَكَه(2) التي(3) يصيد بها.

(الاحتمال قبر العيوب): يعني أن من كان من(4) شيمته الاحتمال للأذى والصبر على مكارهها فهو تغطية لذكر المعايب؛ لأنه مهما كان محتملاً فإنه لايبدو منه شيء منها فهي بمنزلة المقبورة.

وفي رواية أخرى في العبارة عن هذا المعنى:

(المسالمة خَبْءُ(5) العيوب): أراد أن المصالحة بين الناس إذا وقعت فعيوبهم لا محالة(6) مستورة؛ لأنهم مع ذلك لايذكر بعضهم عيب بعض.

[7] (ومن رضي عن نفسه كثر الساخط(7) عليه): يعني أن كل من أرضى نفسه باتباع هواها والانقياد له، فإنه يكثر من يسخط عليه ويمقته من الخلق، ومن جهة الله تعالى؛ لأنها لا تهوى إلا ما يكرهه الله ويكرهه الخلق، فلهذا سخطوا عليه.

---

(1) سباطة الخُلق: أي لينها.

(2) في (ب): شبكة.

(3) التي، سقط من (ب).

(4) من، سقط من (ب).

(5) في نسخة: حتٌّ، وفي نسخة أخرى: جبٌّ (هامش في ب).

(6) في (ب): فعيوبهم مستورة لا محالة.

(7) في (ب): كثر سخط الناس عليه.

*(2062/6)*

---

(الصدقة دواء منجح): للمرضى، وفيه غاية الشفاء، وفي الحديث: ((داووا مرضاكم بالصدقة))(1).

(أعمال العباد في عاجلهم): يعني أن كل ما فعله الإنسان من الأعمال في الدنيا العاجلة، فهو: (نصب أعينهم في الآجلة(2)): فكأنه شيء منصوب بين أعينهم، ينظرون إليه ولا ينظرون إلى سواه، ولا ينفعهم في الآخرة إلا هو.

[8] (اعجبوا لهذا الإنسان): تفكروا في عجيب خلقته(3)، ودقيق الإحكام في تركيبه وصنعته، وما

اشتمل عليه من البدائع الغريبة، والإتقانات المحكمة العجيبة في خلقته كلها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}[الذايات:21].

---

(1) رواه الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام 299/2، وعزاه إلى الجامع الصغير للسيوطي، وهو فيه أيضاً من حديث عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء))، وعزاه إلى أمالي قاضي القضاة بإسناده عن عبد الله، ورواه العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار43/2، وعزاه إلى مسند الشهاب، وقال الجلال في كشف الأستار عن أحاديث شمس الأخبار في تخريجه: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر بلفظه، وزيادة في آخره: ((فإنها تدفع عنكم الأمراض والأعراض)). انتهى.

قلت: ورواه بلفظه ابن أبي الحديد في شرح النهج 101/18.

(2) في شرح النهج: آجلهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) في (ب): خلقه.

*(2063/6)*

---

(ينظر بشحم):وهما العينان فإنهما شحمتان مركبان على جهة التدوير من طبقات سبع، وثلاث رطوبات مختلفة(1)، هكذا شرحه الأطباء، وفيها لطائف ودقائق في الإدراك لا يحيط بعجائبها إلا الله تعالى(2)، وهي آلة في (3) الإدراك.

(ويتكلم بلحم): وهو اللسان، وهو مركب من لحم وعصب، وهو متصل بالمعدة، ومنفعته: الكلام وتقليب الطعام، والإعانة على بلع الغذاء.

(ويسمع بعظم): وهو الأذن، وهي مركبة من هذا الغضروف(4)، ومنفعتها: لرد الصوت إلى الصِّماخ(5)؛ لأن السماع إنما هو به.

(ويتنفس من(6) خرم): وهي الأنف، فإنها مركبة على هذه الاستطالة، ومنفعتها: الشم للروائح، إلى غير ذلك من هذه الأعضاء كالرئة والكبد والطحال والمعدة والمعاء، وكل من هذه الأشياء مركب تركيباً بديعاً يليق بمنفعته، يخالف تركيب الآخر، فسبحان من نفذ في الإتقان علمه، ومضى بعجيب القضاء أمره وحكمه!

[9] (إذا أقبلت الدنيا على قوم): يعني مكنتهم من منافعها وجمالها وهيئتها ونظارتها.

(أعارتهم محاسن غيرهم): يشير إلى أنها كانت قبلهم مع غيرهم، فإذا جاءتهم فإنما هو على جهة العارية لهم من غيرهم أياماً قليلة.

(1) في (ب): مختلفات.
(2) تعالى، زيادة في (ب).
(3) في، سقط من (ب).
(4) الغضروف: داخل قوف الأذن، وقوف الأذن: أعلاها، والغضروف أيضاً: كل عظم لين رخص -أي ناعم- في أي موضع كان. (انظر القاموس المحيط ص1086،1095، ولسان العرب2/994).
(5) الصِّماخ بالكسر: خرق الأذن. (مختار الصحاح ص369).
(6) في (أ): في، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.

*(2064/6)*

---

(فإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم): لأنهم إذا نعموا فيها، وتحلوا(1) بما كان معهم من زينتها، وأعجبوا بحالها فصارت هذه الزينة مختصة بهم منسوبة إلى أحوالهم(2)، فإذا زالت عنهم أزالت ما كان عليهم منها، من المحاسن مما اختصوا وصار لهم، فلهذا قال: سلبتهم محاسن أنفسهم بإدبارها عنهم، يشير إلى ما قررناه.
[10] (خالطوا الناس مخالطة): تكون صلاحاً لأحوالهم، وعوداً عليهم بالمنافع الحسنة في الدين والدنيا.
(إن متم معها بكوا عليكم): فقداً لما كانوا يعهدون من ذلك.
(وإن عشتم حنوا إليكم): اشتاقوا إلى ما يألفون من أخلاقكم، ويتحققونه(3) من شيمكم.
[11] (إذا قدرت على عدوك): يريد(4) بالانتصار عليه، والقهر له.
(فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه): يريد فإن إقدار الله لك عليه بالانتصار هو من أعظم النعم وأعلاها حالاً، ولا بد لهذه النعمة من شكر، فاجعل العفو عنه هو شكرها، والوافي بحقها لله تعالى.
[12] (أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان): يشير إلى أنه لا عجز أعظم منه؛ لما فيه من المنفعة الدنيوية، وهو المناصرة والمعاضدة على من أرادك بسوء وهمَّ بقهرك، ولما فيه من منفعة الآخرة بالمعاونة على الطاعة ومحادثة(5) القلوب بذكر الله، والاجتماع على ما يرضيه.
(وأعجز منه من ضيَّع من ظفر به منهم): يعني أن الأول وإن كان عاجزاً لما أشرنا إليه من المصلحة بذلك، لكن هذا يكون لامحالة أدخل في العجز لتفريطه في الإضاعة، ولجهله بالموقع(6) من أحوالهم، ولهذا ضيعهم من أجل جهله.

(1) في (ب): وبخلوا.
(2) في (ب): حالهم.
(3) في (ب): ويتحققون.
(4) يريد، زيادة في (ب).
(5) في (ب): ومجاذبة.
(6) في (ب): في الموقع.



---

[13] (إذا وصلت إليكم أطراف النعم): أوائلها ومبادئها، فأعدوا لها الشكر وبالغوا في تحصيله، وبعد وصولها إليكم:

(فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر): يعني إذا أسقطتم شكر الأوائل من النعم السابقة كان أدعى إلى عدم وصول النعم التالية، ومنفراً عنها لكفرانها وإسقاط شكرها.

[14] (من ضيَّعه الأقرب): من عشيرته وأقاربه في نصرته ومعاضدته.

(أتيح له الأبعد): قدَّر الله له من لطفه به(1) ورعايته لحقه من يكون منه رحماً بعيدة تنصره وتعاونه وتعضده.

[15] (ما كل مفتون يعاتب): يريد أن كل من أوقع نفسه في فتنة ومحنة شديدة باختيار نفسه، فمنهم من ينفع فيه العتاب فيكف(2) عن ذلك ويرجع عنه، ومنهم من لاينفع فيه العتاب ولا يزيده إلا إصراراً وتمادياً في ذلك، فلهذا قال: ما كل مفتون ينفع فيه العتاب.

[16] (تذل الأمور للمقادير): أي تخضع التصرفات، ويضيع أمرها، ويهون حالها لما قد قدره الله وحتمه، وما كان لا محيص عنه حتى يكون الحكم للمقادير ويبطل أمر التصرفات والعنايات كلها.

(حتى يكون الحتف في التدبير): يعني إذا كان الله تعالى قد أذن بقضاء وقدر فلا بد من إنفاذه، فإذا أراد ذلك أبطل كل عناية وأذهب كل حيلة حتى يجعل الهلاك إذا أراده وقدره في أجمل الأمور وأبعدها عن الهلاك، وهو التدبير، ومع هذا فلا حيلة بعده لأحد من المحتالين.

[17] وسئل أمير المؤمنين عن قول الرسول عليه السلام:

---

(1) به، سقط من (ب).
(2) في (أ): فكف.

((غيَّروا الشيب، ولا تشبَّهوا باليهود))(1)؟

فقال عليه السلام: (إنما قاله صلى الله عليه وآله(2) والدين قُلٌّ): أي قليل حقير ضعيف حاله.

(فأما الآن وقد اتسع نطاقه): النطاق هو: الحبل الذي تشد به المرأة حقوها وتنتطق به، وقيل لأسماء بنت أبي بكر: ذات النطاقين(3)؛ لما شقت نطاقها بنصفين في جهاز أبيها للخروج إلى الغار مع الرسول.

(وضرب بِجِرَانه): الجران: مقدم عنق(4) البعير، وهو كناية عن التمكن والاستقرار؛ لأن البعير إنما يفعل ذلك عند القرار والتوطن والاستراحة.

(فامرؤ وما اختار): يعني أن الخضاب أمر مباح، وليس واجباً كما هو في ظاهر الأمر، وفي هذا دلالة على أن مذهب أمير المؤمنين أن الأمر متى كان مطلقاً فهو دال على الوجوب كما هو مذهبنا ومذهب المعتزلة، ولهذا تأول(5) الأمر في ذلك بما ذكره، والخضاب إنما يكون بالحمرة، فأما السواد والزرقة فهي مكروهة.

[18] وقال في الذين اعتزلوا القتال معه، يعني عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة(6):

---

(1) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 537/5 إلى مصادر جَمّة، منها: سنن الترمذي (1752)، وسنن النسائي (المجتبى) 137،138/8، ومسند أحمد بن حنبل165/1، 261/2، والسنن الكبرى للبيهقي 311/7، ومجمع الزوائد 160/5 إلى غيرها من المصادر انظرها هناك.

(2) في (ب): إنما قاله صلى الله عليه وآله ذلك، وفي شرح النهج: إنما قال صلى الله عليه وآله ذلك.

(3) انظر سيرة ابن هشام 99/2-100، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(4) في (ب): كتف.

(5) في (أ): تأوله.

(6) وزاد ابن أبي الحديد في شرح النهج 115/18: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسامة بن زيد، وأنس بن مالك، وقال: وجماعة غيرهم.

(خذلوا الحق): يريد بتركهم القتال معي والكون في صفي، ونصرة الحق بهم ظاهرة، فإذا تركوها فهو خذلان لامحالة.
(ولم ينصروا الباطل): يعني لم يكونوا في(1) حزب معاوية متألبين عليّ معه كما كان من أهل الشام، ويحتمل أن يكون مراده من ذلك الأحنف بن قيس، والزبير ومن تابعهما، فإنهم خذلوا الحق بمخالفتهم لي، ولم ينصروا [الباطل](2) أصحاب الجمل بتأخرهم عنهم.
[19] (من أرخى عنان أمله عثر بأجله): أراد أن كل من استرسل في طلب الدنيا والتعلق بآمالها وما يطمح به من ذلك وقع في عثار الأجل وقطعه عمَّا يأمله منه، فاستعار إرخاء العنان والتعثر بالأجل لهذا المعنى الذي أشرنا إليه.
وفي نسخة: (من جرى في عنان أمله) وكله متقارب.
[20] (أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم): يعني إذا وقع بعض أهل الكرم والمرؤة في عثرة وهفوة وسقط سقطة في شيء من أفعاله وأعماله، فارفعوه عن تلك السقطة، وتداركوه بالصفح والاحتمال عنها.
(فما يعثر منهم عاثر إلا ويد الله بيده ويرفعه(3)): فإذا برزت(4) العثرة من بعضهم رفعه الله ونهضه وتداركه.
وقوله: يد الله بيده، من باب التخييل، وإلا فلا يد هناك لله تعالى، وإنما هو تمثيل بحال من تكون يده في يدك فتعثر فيقيمك بيده، فهكذا حال الله تعالى مع أهل الكرم والمروءة بالتدارك بالألطاف الخفية.
[21] (قُرِنَتْ الهيبةُ بالخيبةِ): يعني أن كل من هاب أمراً من الأمور عن الوقوع فيه فإنه لا محالة منقطع عن ثمرته وفائدته، ولا يناله لأجل خوفه وفشله عن الوقوع فيه بشيء من ذلك.

---

(1) في (ب): إلى.
(2) زيادة في (ب).
(3) في (ب): حتى يرفعه، وفي شرح النهج: إلا ويده بيد الله يرفعه.
(4) في (ب): ندرت.

*(2068/6)*

---

(والحياء بالحرمان): يعني ومن استحيى من شيء فهو لا محالة محروم من نفعه، فإذا استحيى عن أخذ العلم حرمه فائدته ومنفعته، وإذا هاب عن الوقوع في الخطر خاب عن ارتفاع الخطر والقدر، فأحدهما كما قال مقرون بالآخر.
(الفرصة تمرُّ مرَّ السحاب): يعني سريعة العجلة لا وقوف لها ولا مهلة، فمن أحرزها أخذها، ومن فوَّتها ذهبت عنه، كما قال عليه السلام في الشفعة: ((إنها كنشطة عقال، وإنها لمن واثبها))(1).

(فانتهزوا فرص الخير): استعجلوها وأحرزوها بالتدارك.

[22] (لنا حق): يريد الإمامة.

(فإن أعطيناه): فهو لنا ونحن أهله.

(وإلا ركبنا أعجاز الإبل): عجز البعير هو: مركب شاق.

(وإن طال السُّرى): وهو سير الليل، وأراد أنَّا إن مُنِعْنَا حقنا تحملنا المشقة وصبرنا عليها، وهذا من الكنايات اللطيفة، فإنه جعله هاهنا كناية عن الذلة، وذلك أن الرديف يركب عجز الإبل كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما.

[23] (من أبطأ به عمله): قعد به.

(لم يسرع به حسبه): وأراد أن كل من لم تكن أعماله حسنة مرضية لله تعالى لم ينفعه شرف آبائه وعلو منصبه.

---

(1) وجدته مفرقاً من حديثين رواهما السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام في تتمة الاعتصام 130/4، فالأول وهو قوله: ((الشفعة كنشطة عقال)) رواه من حديث وعزاه إلى شرح للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام، وإلى أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، وإلى شفاء الأوام للأمير الحسين بن بدر الدين رضي الله عنه، والثاني هو قوله: ((الشفعة لمن واثبها)) وعزاه إلى من ذكر، وقال: وروى هذين الحديثين في شرح القاضي العلامة زيد بن محمد الكلاري رحمه الله. انتهى.

*(2069/6)*

---

[24] (من كفارات الذنوب العظام إغاثة المظلوم(1)): أراد أن الواحد إذا أعان مظلوماً أو أغاث ملهوفاً، واللهف هو: الحزن والتحسر على الشيء، فإن الله تعالى يلطف له(2) ويوفقه لتحصيل التوبة عن الذنوب العظيمة، والكبائر الموبقة، ولا بد من حمله على ما ذكرناه؛ لأن شيئاً من الطاعات وإن عَظُمَ حاله(3) فإنه لايكفرها؛ لأن ثوابها ينحبط لأجل الكبيرة(4) فكيف يكفرها(5).

(والتنفيس عن المكروب): يكون مكفراً أيضاً على التقرير الذي ذكرناه، ونفس عليه الكرب إذا سهله، والكرب: الضيق.

[25] (يا ابن آدم، إذا رأيت الله(6) يتابع عليك نعمه): يوصلها إليك كاملة مرة بعد مرة.

(فاحذره): فكن منه على وجل وحذر، يريد أن ذلك لا يمتنع أن يكون استدراجاً للأخذ، وإملاءً(7) كما قال تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}[الأعراف:182-183].

[26] (ما أضمر أحد شيئاً): أسره في نفسه وكتمه.
(إلا ظهر في فلتات لسانه): أي عثراته وسقطاته.
(وصفحات وجهه): صفحة الوجه: بشرته.
[27] (امش بدائك ما مشى بك): يعني إذا لم يقعدك الداء ولم يعجزك عن المشي فامش وتجلد، وهو خارج مخرج الأمثال في الإغضاء عن أكثر ما يعرض من المشاق، وترك الالتفات إليها مهما أمكن.
[28] (أفضل الزهد): أعلاه حالة عند الله تعالى، وأعظمه فضلاً.

---

(1) في شرح النهج: الملهوف.
(2) في (ب): به.
(3) حاله، سقط من (ب).
(4) في (ب): الكثير.
(5) في (ب): يكفر بها.
(6) لفظ هذه الحكمة في شرح النهج: (يا ابن آدم، إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره).
(7) الإملاء: الإمهال.

*(2070/6)*

---

(إخفاء الزهد): وهو زهد القلوب؛ لأنه هو النافع بخلاف ما يظهر منه فإنه لايؤمن فيه الرياء، ولهذا ترى كثيراً ممَّن يدعي التصوف بزعمه، يلبس المرقعات، ويظن أن هذا هو غاية الزهد، وهذا هو الغرور بعينه، وفي الحديث: ((حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغلبون سهر الحمقى واجتهادهم))(1).
[29] (إذا كنت في إدبار): بذهاب عمرك يوماً فيوماً وساعة فساعة.
(والموت في إقبال): عليك، تقطع المسافة إليه.
(فما أسرع الملتقى): لأنك تسير إليه، وهو في غاية السرعة إلى لقائك.
ويحكى أنه صلى الله عليه وآله أخذ ثلاثة أعواد – أعني الرسولعليه السلام– فغرز عوداً بين يديه والآخر إلى جنبه.
وأما الثالث فأبعده، ثم قال: ((تدرون ما هذا؟))
فقالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: ((هذا هو الإنسان، وهذا الأجل إلى جنبه، وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم، فيختلجه الأجل دون الأمل))(2).

[30] (الحذر الحذر): يريد ترك الاغترار بحلم الله وجميل ستره.

---

(1) رواه في مسند شمس الأخبار 399/1-400 في الباب (68) عن ابن عباس وعزاه إلى الذكر لمحمد بن منصور المرادي، واللفظ في أوله: ((يا حبذا)) وقوله: ((حبذا نوم الأكياس وفطرهم)) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 522/4 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 427/8، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي 368/3.

(2) وأخرج الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ص385 رقم (286) حديثاً قريباً منه عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((مثل الإنسان والأجل والأمل كمثل الأجل خلفه والأمل أمامه، فبينا هو يؤمل أمامه إذ أتاه فاختلجه))، وهو أيضاً في مسند شمس الأخبار 289/2 عن أنس بن مالك، وعزاه إلى الاعتبار وسلوة العارفين.

*(2071/6)*

---

(فوالله لقد ستر): على ابن آدم المعاصي، وأسبل عليه الغطاء.

(حتى كأنه غفر(1)): لأن الستر كما يكون مع المغفرة، فهو يكون أيضاً مع الحلم والإغضاء.

[31] وسئل عليه السلام عن الإيمان؟ فقال:

(الإيمان على أربع دعائم)(2).

سؤال؛ قال ها هنا: الإيمان على أربع دعائم، وعن الرسول أنه قال: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلى الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والصوم)).

وقال أمير المؤمنين: (الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد)، فما التفرقة بينهما فيما قالاه؟

وجوابه؛ هو أن الإيمان على وجهين: عام، وخاص.

فالعام: هو الذي يكون فيه إحراز الرقبة عن القتل وإحراز الأموال عن الأخذ، وهذا هو مراد الرسول صلى الله عليه وآله، فإن غرضه ذكر الإيمان الذي يكون حاله ما ذكرناه.

وأما الخاص فهو إنما يكون بالأعمال الصالحة، وهو الذي أراده أمير المؤمنين بما ذكره، ولهذا قرره على هذه الخصال الأربع، وهي عمدة التقوى وقاعدتها ومهادها على ما يندرج تحتها من الشعب والتفاريق، كما سنوضحه في شرح كلامه بمعونة الله تعالى، فحصل من هذا أن كلام الرسول وأمير المؤمنين في غاية الملائمة، وأن مراد الرسول ذكر الخصال في الإيمان التي يحرز بها نفسه عن السيف ويتميز به عن الكفار، وأن غرض أمير المؤمنين ذكر خصال التقوى وما يكون به محرزاً

لدرجتها.

---

(1) في شرح النهج: حتى كأنه قد غفر.
(2) وللإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي رحمه الله المتوفى سنة 279هكتاب أسماه (شرح دعائم الإيمان) شرح فيه كلام الإمام علي عليه السلام الوارد هنا من قوله: (الإيمان على أربع دعائم ...إلى آخره، انظره في مجموع كتبه ورسائله ص125-333)

*(2072/6)*

---

(فالصبر منها(1) على أربع شعب): يريد أن أصل قواعد الإيمان الخاص هو الصبر، وهو مقرر على أمور أربعة:
(على الشوق): إلى لقاء الله والجنة.
(والشفق(2)): من غضب الله والنار.
(والزهد): في الدنيا والإعراض عنها.
(والترقب): للموت وأهوال يوم القيامة.
(فمن اشتاق إلى الجنة): طرب إلى الخلود فيها، ومرافقة الأنبياء والأولياء والصالحين.
(سلا عن الشهوات): أعرض عما يشتهيه في الدنيا، وأقبل بوجهه إلى(3) الآخرة.
(ومن أشفق من النار): خاف من مواقعتها، والكون مع الشياطين والمنافقين وأهل الكفر والفسوق.
(اجتنب المحرمات): جميع ما نهى الله عنه، وأوعد على فعله بالنار.
(ومن زهد في الدنيا): أعرض عن لذاتها وصرف وجهه عن طيباتها.
(استهان بالمصيبات): هون في نفسه ما يصيبه منها ويلم بحاله ويغشاه.
(ومن ارتقب الموت): انتظره وراعاه حتى يصل إليه وتحقق وصوله.
(سارع في الخيرات): حث في فعلها والإكثار منها، فهذه كلها دعامة الصبر، مشتملة على هذه الخصال.
(واليقين منها(4) على أربع شعب): أراد أن تحقق الأمر وهو أمر الآخرة والنجاة مبني:
(على تبصرة الفطنة): على أن يكون ذا بصيرة في الأمور وفطنة فيها، ليس مغفلاً عما يراد به من ذلك، ولا لاهياً عنه بغيره.
(وتأول الحكمة): وأن يكون موءوِّلاً للحكم، مصرِّفاً لها على وجهها.
(وموعظة العبرة): وأن يكون معتبراً بالمواعظ، مقبلاً إليها.

---

(1) منها، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) في نسخة: والإشفاق، (هامش في ب).

(3) في (ب): على.

(4) منها، زيادة في (ب) وشرح النهج.

*(2073/6)*

---

(وسنة الأولين): من الأنبياء وأهل الصلاح ممن تقدم، كما قال تعالى: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا}[الإسراء:77]، وقال تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ}[غافر:85].

(فمن تبصَّر في الفطنة): تفكر وكان فطناً لأخذها والعمل بها، والمواظبة على فعلها.

(تبيَّنت له الحكمة): عرفها واستبانت له من وجوهها، وظهرت له علومها، والحكمة هي: العلم بالله تعالى، وسلوك طريق الآخرة وتحققها، والإقبال عليها، فمن أحرز هذا فهو الحكيم بعينه.

(ومن عرف(1) الحكمة): قطع بها، وكان مبصراً لها بعينه.

(عرف العبرة): كان متيقناً للموعظة منتفعاً بها.

(ومن عرف العبرة): أحرز الاتعاظ لنفسه وخاض فيه، وكان على حقيقة من حاله.

(فكأنما كان مع(2) الأولين): من الأنبياء والأولياء، لأن هذه هي حالتهم، فمن أحرزها وعمل بها فكأنما كان مشاهداً لأحوالهم وطرائقهم في ذلك، فهذه الأمور كلها دعامة اليقين.

(والعدل منها(3) على أربع شعب): يعني أن الاستقامة على الأحوال الدينية كلها ومراقبة النفس، وحفظها عما يهلكها مبنية:

(على غائص الفهم): غاص في الشيء إذا خاضه، وغوص الفهم هو: التبحر في العلوم والدقة فيها.

(وغور العلم): غارت عينه إذا دخلت، وأراد و(4) الدخول في أغوار العلوم(5)، وإظهار ما هو كامن فيها والانتفاع به.

---

(1) في شرح النهج: ومن تبينت له الحكمة، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب) وشرح النهج: في، وفي نسخة: من، ذكره في هامش (ب).

(3) منها، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(4) الواو، سقط من (ب).

(5) في (ب): العلم.

*(2074/6)*

(وزهرة الحِكَمِ): المراد بالحِكَمِ الحكمة ها هنا، وأراد غضارتها وحسنها ونور بهجتها، وزهرة النبات: نوره.

(ورساخة الحلم): وأن يكون حلمه راسخاً متأصلاً ليس مسرعاً إلى الطيش والفشل وكثرة الانزعاج.

(فمن فهم): تحقق وتيقن، واستبصر في أموره كلها.

(علم غور العلم): أقصاه وخلاصته، وكان مشتملاً على الصفو منه والنقاوة.

(ومن علم غور العلم): أحاط بالأسرار منه.

(صدر عن شرائع الحكم(1)): أصدر أمره على الحكمة، وكان قائماً بشريعتها وأمرها؛ لأن هذا هو شأن الحكيم، والأمر الذي يكون عليه أمره.

(ومن حكم(2) لم يُفرِّط في أمره): يعني ومن كان حكيماً فإن من شأنه ألا يكون مفرطاً مسهلاً في إتقان حاله وإصلاح نفسه.

(وعاش في الناس حميداً): محمودة آثاره، مشكورة أفعاله، فهذه كلها دعامة العدل، مقررة على هذه الخصال.

(والجهاد على أربع شعب): ليس الغرض ها هنا جهاد النفس، وإنما الغرض هو(3) جهاد أعداء الدين بالسيف، وذلك لأن الجهاد أمران:

أحدهما: جهاد النفس بالكف عن هواها، وهو أعظم الجهاد، وقد أشار إليه بما ذكره من الخصال المتقدمة.

وثانيهما: جهاد أعداء الله بالسيف، وهو مبني:

(على الأمر بالمعروف): على إتيان الواجبات كلها، وما أمكن من المندوبات.

(والنهي عن المنكر): الكف عن القبائح كلها.

(والصدق في المواطن): يعني إبلاء العذر في القتال والصدق فيه، كما أشار إليه تعالى بقوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا}[الأنفال:45].

---

(1) في شرح النهج: الحلم.

(2) في شرح النهج: ومن حَلُمَ.

(3) هو، سقط من (ب).

(وشنآن الفاسقين): بغضهم وكراهتهم لله تعالى، ولمخالفتهم للدين وإهمالهم له، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[المائدة:51].

(فمن أمر بالمعروف): حضّ عليه وحث واجتهد في أدائه.

(شد ظهور المؤمنين): قواها لما(1) فيه من تكثير أعدادهم، وتقوية أحوالهم في ذلك.

(ومن نهى عن المنكر): منع منه وكف من(2) وقوعه.

(أرغم أنوف المنافقين): يقال: أرغم الله أنفه أي ألصقها بالتراب.

(ومن صدق في المواطن): ثبتت قدمه في مواضع الحرب، ولم يفر عنها، وينكص على قدمه متأخراً.

(قضى ما عليه): من الواجب لله تعالى في جهاد أعدائه.

(ومن شنئ الفاسقين): أبغضهم وكره أحوالهم كلها.

(وغضب لله): أي من أجل دينه.

(غضب الله له): أي من أجله، وغضب الله عبارة عن إنزال العقوبة وإيصال العذاب.

(وأرضاه يوم القيامة): إما بإعطائه رضوانه كما قال تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}[التوبة:72]، وإما بالفوز بالجنة ونجاته من عذابه، فهذه هي دعائم الإيمان مقررة على ما ذكرناه، وفيما ذكره ها هنا من حقيقة الإيمان إشارة إلى ما يقوله أهل التصوف من حقائق المعاملة وسلوك طريق المكاشفة.

(والكفر على دعائم أربع(3)): يعني أن الكفر هو نقيض الإيمان وضده، وهو مقرر على صفات تعاكس ما ذكره في الإيمان.

(على التعمق): في الأشياء، وهو التقعر فيها، والتعسف في أحوالها.

(والتنازع): المنازعة واللجاج، والخصومة.

(والزيغ): الميل عن الطريق، والإعراض عن سلوك الحق.

(والشقاق): المعاداة، والمخاصمة الشديدة.

---

(1) في (ب): بما.

(2) في (ب): عن.

(3) في شرح النهج: على أربع دعائم.

*(2076/6)*

---

(فمن تعمق لم يُنِبْ إلى(1) الحق): تقعر وتعسف الأشياء كلها، فليس براجع إلى الحق، ولا منقلب إليه.

(ومن كثر نزاعه): خصومته، ولجاجه.

(بالجهل): متجاهلاً.

(دام عماه عن الحق): لأن المنازعة بالجهل لا تزيد إلا عماء عن الحق وزيغاً عنه.

(ومن زاغ ساءت عنده الحسنة): مال عن الحق، جهل حال الحسنة فاعتقدها سيئة.

(وحسنت عنده السيئة): لجهله بحالها، وعدم معرفته بأمرها.

(وسَكِرَ سُكْرَ الضلالة): أراد أن الضلالة هي التي أسكرته حتى لم يدر ما هو فيه، كما يكون حال السكران من الخمر فإنه لايشعر بحاله، ولا يدري بأمره في ذلك.

(ومن شاقَّ): خاصم ونازع الناس.

(وعرت عليه طرقه): استصعبت عليه المسالك، وتوعر عليه سلوكها.

(وأعضل عليه أمره): أعضل الأمر إذا اشتد وصعب حاله.

(وضاق عليه مخرجه): عما هو فيه من الحيرة، فلا يستطيع ذهاباً ولا حيلة في ذلك.

(والشك على أربع شعب): يريد الشك في الدين مبني:

(على التماري): وهو المماراة، والمجادلة بالباطل.

(والهول): وهو ما يهول من الأمور، ويعظم حاله.

(والتردد): وهو التحير.

(والاستسلام): الانقياد في المهالك.

(فمن جعل المراء ديدناً): الديدان: الدأب والعادة، قال الراجز:

ولا تزال عندهم ضيفانه

ديدانهم ذاك وذا ديدانه(2)

وأراد أن من جعل المِرَاء عادة له وَدَأْباً(3):

(لم يصبح ليله): يعني لم يُرجَ له فلاح، ولا كان له صلاح في حاله.

---

(1) في (ب): لم يتب على الحق.

(2) لسان العرب 959/1 بدون نسبة لقائله، ورواية الشطر الأول فيه:

ولا يزال عندهم حفَّانُه

(3) الدأب بسكون الهمزة: العادة والشأن، وقد يحرّك. (مختار الصحاح ص196).

(ومن هاله ما بين يديه): من أمور الدين وأحوالها، وصعوبة الأمر فيها.

(نكص على عقبيه): يعني تأخر عن الإتيان بها والوصول إليها.

(ومن تردد في الريب(1)): تحير في شكه ولم يزل عنه.

(وطئته سنابك الشياطين): السنبك في ذوات الحافر بمنزلة الخف للبعير والظلف في الأنعام، وجعل هذا كناية عن استحكام أمرها عليه وانجذابه لها، وإجابته لداعيها.

(ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة): يعني انقاد للأمور المهلكة فيهما، وتعرض للأخطار الواقعة من أجلهما(2).

(هلك فيهما(3)): بالصيرورة إلى العذاب والوقوع فيه.

[32] (فاعل الخير خير منه): لأن أحكام الخير راجعة إلى فاعله ومستحق لجزائه(4) من الله تعالى بالجنة والفوز برضوانه، ونفس الخير لا يلحقه ذلك.

(و(5)فاعل الشر شر منه): لأن أحكام الشر راجعة إليه، ويستحق من الله الويل بالعذاب.

[33] (كن سمحاً): يعني كريماً، باسطاً لكفك.

(ولا تكن مبذراً): يعني ومع السماحة فلا تكن مبذراً؛ لأن ذلك هو الغالب.

(وكن مقدراً): لأمورك، متقناً لإصلاحها وعلاجها.

(ولا تكن مقتِّراً): مضيِّقاً، يعني ومع التقدير فلا يغلب عليك التقتير، فإن ذلك هو الغالب من حاله.

[34] (أشرف الغنى): أعلاه وأفضله.

(ترك المنى): إماتة الأماني عن قلبه وعدم التعلق بها، فإن التعلق بها حمق وجهل.

[35] (من أسرع إلى الناس بما يكرهون): عجل إليهم بالأقوال المكروهة.

(قالوا فيه ما لايعلمون): يريد أنهم يكذبون عليه إذا بدأهم بالمكروه، وتكلفوا ذلك.

[36] (من أطال الأمل): أبعده وكان على غاية بعيدة فيه.

---

(1) في (ب): الدين، وفي نسخة: الذنب، (هامش في ب).

(2) في (ب): أجلها.

(3) في (ب): فيها.

(4) في (أ): بجزائه.

(5) الواو، زيادة من شرح النهج.

(أساء العمل): جعله(1) سيئاً، إما لتغطية الأمل على فؤاده وقلبه، وإما لأنه يسوف من الأعمال ما لايبلغه فيقطعه الأجل(2) دونها.

[37] وقال [عليه السلام](3) وقد لقيه دهاقين العراق فترجَّلوا(4) بين يديه(5):

(ما هذا الذي صنعتموه؟ فقالوا: خلقٌ نعظم به أمراءنا، فقال: والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم): أي أنه لا يزيدهم علواً عند الله ولا رفعة.

(وإنكم لَتَشُقُّون به على أنفسكم [في دنياكم](6)): لما فيه من التعب عليكم.

(وَتَشْقَوْنَ به في آخرتكم): لما فيه من مخالفة الشرع والكبر والخيلاء.

وقوله: تَشُقُّونَ، وتَشْقَوْنَ من باب الاشتقاق، كقوله تعالى: {يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ}[يوسف:84]، على ما مر في نظائره.

(وما أخسر المشقة): أدخلها في الخسارة، وأعظمها فيها.

(وراءها العذاب(7)): يأتي بعدها عذاب الله ونكاله.

(وأربح الدعة): أعظمها في الربح وأدخلها فيه، والدعة: السكون.

(معها الأمان من النار!): فإن(8) ذلك فيه نهاية الربح وعظيم الفوز.

[38] وقال(9) لابنه الحسن عليهما السلام:

(احفظ لي(10) أربعاً وأربعاً): يعني خصالاً ثمانية.

---

(1) في (ب): جعل، وهو تحريف.

(2) الأجل، سقط من (ب).

(3) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(4) أي مشوا راجلين.

(5) في شرح النهج: وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه.

(6) زيادة من النهج.

(7) في شرح النهج: العقاب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(8) في (ب): فإن في ذلك فيه ...إلخ.

(9) في (ب): وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام.

(10) في شرح النهج: عني، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب)، وأوله في شرح النهج: يا بني، احفظ عني ...إلخ.

(لا يضرك ما عملت معهنَّ): يعني أنك إذا أحرزتهنَّ وواظبت على العمل عليهنَّ فلا يضرك إهمال ما عداهنَّ.

(إن أغنى الغنى العقل): يعني لاغنى كهو، ومن أعظم(1) غنائه إتيانه بكل خير في الدين والدنيا، واحترازه عن كل ضرر في الدين والدنيا، وهو ملاك الأمور كلها وغاية الخيرات، وعن هذا قال بعضهم: ما أعطي أحد أفضل من العقل.

(وأكبر الفقر الحمق): يريد الجهل، وإنما كان أعظم الفقر؛ لأنه عدم الغنى كله وهو العقل، فلهذا كان أعظم الفقر.

(وأوحش الوحشة العجب): وفي الحديث: ((ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)).

(وأكرم الحسب حسن الخلق): أعلاه وأعظمه سلاسة الخلائق ولين الطبيعة.

(يا بني إياك ومصادقة الأحمق): يعني أن يكون لك صديقاً(2) وتوده وتحبه.

(فإنه يريد أن ينفعك فيضرك): يشير إلى أن الجاهل لايؤمن شره فإنه ربما فعل شيئاً بجهله يريد أن ينفع به، فإذا هو سبب للمضرة(3)؛ لكونه جاهلاً بأحوال مواضع النفع والضر(4).

(وإياك ومصادقة البخيل): تحذيراً له عن أن يتخذه صديقاً.

(فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه): يعني أنه لمكان لؤمه وبخله يتأخر عنك في المواطن التي تحتاجه فيها، وتكون مفتقراً إليه لأجلها.

(وإياك ومصادقة الفاجر): نهى(5) عن صحبته واتخاذه صديقاً.

(فإنه يبيعك بالتافه): بأيسر الأثمان وأقلها وأبخسها، وأراد أنه إذا بذل له في مضرتك شيء حقير من حطام الدنيا لم يأسف(6) في الدلالة على مضرتك وتوليها، ويعتاض شيئاً حقيراً على ذلك.

(وإياك ومصادقة الكذاب): اتخاذه صاحباً.

---

(1) في (ب): عظم.

(2) في (ب): أن يكون صديقاً لك.

(3) في (ب): المضرة.

(4) في (ب): والضرر.

(5) نهي، زيادة في (ب).

(6) في (ب): لم يتأسف.

(فإنه كالسراب): يعني ما يكون في المواضع الخالية، الذي يشبه الماء.

(يقرِّب عليك البعيد): بكذبه ومينه(1).

(ويبعِّد عليك(2) القريب): بخلفه(3)، فإنه لايبالي في الإخبار عن الأشياء بما يكون مناقضاً لما هي عليه من صفاتها وأحوالها، فهذه أمور ثمانية، أربعة على جهة التحذير، وأربعة على غير ذلك كما أوضحناها.

[39] (لا قربة بالنوافل): أي لايُتَقَرَّبُ بها ولا تفعل، أي ولا تكون مقبولة عند الله تعالى.

(إذا أضرت بالفرائض): يشير إلى وجهين:

أما أولاً: فبأن يتنفل حتى يستغرق الوقت في فعل النوافل، ثم يؤدي الفرائض على إدبار من أوقاته.

وأما ثانياً: فبأن يكون متنفلاً حتى تفتر أعضاؤه، ثم يؤدي الفرائض بعد ذلك على نقصان وفتور في أركانها، فما هذا حاله لا وجه للنوافل معه لما فيه من الضرر بها.

[40] (لسان العاقل وراء قلبه): يعني أن العاقل لايطلق لسانه إلا بعد مشاورة الرويَّة ومؤامرة الفكرة الصائبة بما(4) يقول وينطق، فلهذا كان لسان العاقل تابعاً لقلبه.

(وقلب الأحمق(5) وراء لسانه): يشير إلى أن الأحمق نفثات لسانه وفلتات كلامه سابقة لمراجعة فطنته ومتقدمة على مراودة فكرته، فلهذا كان قلبه تابعاً للسانه، وقوله: وراء قلبه، ووراء لسانه –أي بين يديه–، كما قال تعالى: {مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ}[إبرهيم:16]، أي من(6) بين يديه، وأراد لسان العاقل بين يديه يتصرف فيه كيف شاء، وقلب الأحمق وراء لسانه يتصرف فيه كيف شاء.

---

(1) المين: الكذب أيضاً.

(2) في نسخة: عنك، (هامش في ب).

(3) في (ب): تخلفه.

(4) في (ب): لما.

(5) في (أ): وقلب الأحمق من وراء لسانه.

(6) من، زيادة في (ب).



---

وقد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله: (قلب الأحمق في فِيْهِ، ولسان العاقل في قلبه)، والمعنى فيهما واحد كما أشرنا إليه.

[41] وقال عليه السلام لبعض أصحابه في علة اعتلها:

(جعل الله ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك): تكفيراً لها وإزالة لعقابها.

(فإن المرض لا أجر فيه): يريد لا ثواب يستحق عليه؛ لأنه ليس من جملة الأعمال.

(ولكنه يحط السيئات): يكفرها ويزيلها.

(ويحتُّها حتَّ الأوراق): حتَّه إذا فرَّقه، وأراد حتَّ الريح للأوراق، فإنها تزيلها وتفرق أجزاءها، ومصداق ما قاله عليه السلام في كلامه هذا هو أن الأجر هو الثواب، والمرض هو من قَبِلِ الله فلا يستحق عليه إلا العوض؛ لأن العوض إنما يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله بالعبد من الأمراض والآلام والغموم، والأجر والثواب إنما يستحقان على ما كان في مقابله فعل العبد، ثم يفترق الحال في إسقاط العوض للسيئة وإسقاط الثواب، هو أن العوض إنما يسقط السيئة ليس على جهة الدوام، وإنما يسقطها وقتاً واحداً، بخلاف الثواب فإنه يسقطها على جهة الدوام فيعود ما كان مستحقاً من العقاب في الوقت الثاني في(1) الألم، ولا يعود في إسقاط الثواب، وإن اشتركا في مطلق الإسقاط، فبينهما هذه التفرقة(2)، ولهذا نبَّه عليها(3) في كلامه هذا، ثم قال:

(وإنما الأجر في القول باللسان): يعني في جميع الأذكار كلها من القرآن(4) وأنواع التسبيح والذكر.

---

(1) في (ب): من، وكتب فوقها: في.

(2) في (ب): الفرقة.

(3) في (ب): عليه.

(4) في (أ): القراءات.

*(2082/6)*

---

(والعمل بالأيدي والأقدام): كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك من العبادات المتعلقة بالجوارح، فحصل من هذا أن الثواب إنما يستحق على ما يلحق العبد نفسه من الآلام لتأدية الواجبات والمندوبات، ويستحق العوض على ما يلحقه الله تعالى وعلى ما يلحق نفسه من غير أن يكون واجباً أو مندوباً، نحو شرب الأدوية وغير ذلك.

(و(1)إن الله سبحانه يدخل بصدق النية): خالص الإرادة في الفعل لوجهه.

(والسريرة الصالحة): وهو عبارة عما يسره الإنسان في نفسه من الأعمال الصالحة.

(من يشاء من عباده الجنة): وهذا غير ممتنع، فإن الإنسان مهما كان مؤدياً للواجبات، منكفاً عن المنهيات، وعلم الله تعالى من حاله ما ذكرناه فإنه يكون سبباً في دخول الجنة.

سؤال؛ ليس يخلو الحال في ذلك إما أن يدخله الله الجنة بالسريرة الصالحة لاغير من غير فعل هذه

التكاليف أو مع فعلها، فإن كان الأول فهو خطأ، وليس مذهباً لكم، وإن كان الثاني فهي(2) كافية في دخول الجنة، فما فائدة كلامه في ذلك؟

وجوابه؛ هو أن السريرة الصالحة لايمتنع أن تكون سبباً في القيام بهذه التكاليف كلها ولطفاً في الإتيان بها، وإذا(3) كان الأمر كما قلناه(4) جاز إضافة دخول الجنة إليها لما كانت سبباً.

---

(1) في (أ): إن، بغير الواو، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.

(2) في (ب): فهو كافيه.

(3) في (ب): وإن.

(4) في (ب): قلنا.

*(2083/6)*

---

[42] ثم قال(1) عليه السلام في ذكر خباب بن الأرت(2):

(يرحم الله خباباً(3)! فلقد أسلم راغباً): في الدين والإسلام، وكان إسلامه متقدماً على إسلام عمر.

(وهاجر طائعاً): من غير إكراه إلى الله ورسوله.

(وعاش مجاهداً): في الله.

ويحكى أن إسلام عمر بن الخطاب كان بسببه، وذلك أنه دخل على أخته فاطمة بنت الخطاب وخباب يقرئها سورة طه لما نزلت، فلما دخل عليهما (4)بطش بها، فقال له(5) خباب: اتق الله ياعمر، والله لأرجو أن يكون قد خصَّك بدعوة نبيئه، فإني سمعته يقول بالأمس: ((اللَّهُمَّ، أيّد الإسلام بعمر بن الخطاب(6) أو بأبي جهل بن هشام))(7).

(طوبى لمن ذكر المعاد): فخاف من هوله، والطوبى: من الطيب.

(وعمل للحسنات): أي كان عمله من أجل اكتسابها وإحرازها.

---

(1) في شرح النهج: وقال.

(2) هو خباب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد، ينتهي نسبه إلى زيد مناة بن تميم، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا محمد، وقيل: أبا يحيى، توفي سنة37هـ، وقيل: سنة39هـ، وكانت أمه ختانة، وخباب من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان في الجاهلية قيناً حداداً يعمل السيوف، وهو قديم الإسلام، قيل: إنه كان سادس ستة، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وهو معدود من المعذبين في الله، نزل خباب الكوفة ومات بها بعد أن شهد مع أمير المؤمنين علي عليه السلام صفين ونهروان، وصلى عليه علي عليه السلام، وكانت سنه يوم مات ثلاثاً وسبعين سنة، ودفن بظهر الكوفة. (شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد 18/171-172).

(3) في شرح النهج: رحم الله خباب بن الأرت.

(4) في (أ): عليها.

(5) له، سقط من (ب).

(6) في نسخة: اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين (هامش في ب).

(7) انظر السيرة النبوية لابن هشام 1/342-346 تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

*(2084/6)*

---

(وقنع بالكفاف): من الرزق، وهو أن يكون لا عليه ولا له.

(ورضي عن الله!): ما أعطاه من خير وشر، وعافية وبلوى، وقبض وبسط.

[43] (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا): الخيشوم: أقصى الأنف، وهو أصعب ما يكون في الضرب.

(على أن يبغضني): يكرهني بقلبه.

(ما أبغضني): ما فعل ذلك أصلاً.

(ولو صببت الدنيا بجمَّاتها على المنافق): الجمُّ هو: الكثير، والجمّة هو(1): المكان الذي يرتفع ماؤه، والجمَّات: جمع جمَّة، قال الله تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}[الفجر:20]، أي كثيراً، والْجَمُوم من الخيل هو: الذي كلما ذهب منه جري جاء آخر(2)، قال الشاعر:

جَمُومُ الشدِّ شَائِلة الذُّنَابى

تخالُ بياضَ غُرَّتِهَا سِرَاجَا(3)

وأراد ها هنا الكثير من الدنيا.

(على أن يحبني ما أحبني): على أن يريد نفعي ما أراده، ثم ذكر السبب في ذلك بقوله:

(وذلك): إشارة إلى محبة المؤمن له، وبغض المنافق.

(أنه قُضِيَ): قُدِّر وحُتِمَ.

(فانقضى): ففرغ الأمر فيه.

(على لسان النبي الأمي[صلى الله عليه وآله](4)): أنطق الله به لسان نبيه، وما قاله فهو حق لا محيص عنه.

(أنه قال: ((يا علي(5)، لا يبغضك مؤمن))): يريد مضرتك.

(1) هو، زيادة في (ب).

(2) أي جاءه جري آخر.

(3) ورد البيت في أساس البلاغة ص65، ونسبه للنمر بن تولب، وهو في لسان العرب 504/1، ونسبه للنمر بن تولب أيضاً، وقال في شرحه: قوله: شائلة الذنابي: يعني أنها ترفع ذنبها في العدو. انتهى.

(4) زيادة في شرح النهج.

(5) يا علي، زيادة في شرح النهج.

*(2085/6)*

---

((ولا يحبك منافق(1)

(1) رواه الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 45/1، وعزاه إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده عن مساور الحميري عن أم سلمة، وهو فيه بدون لفظ: ((يا علي)) في أوله، والحديث بلفظ: ((لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق))، أخرجه الإمام المرشد باللهعليه السلام في الأمالي الخميسية 135/1، عن أحمد بن حنبل، والفقيه ابن المغازلي الشافعي في المناقب ص137-139 تحت الأرقام (225، 226، 228، 229، 231) من طرق عن الإمام عليعليه السلام، وله في مناقب ابن المغازلي شواهد أخرى مع اختلاف في بعض الألفاظ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 345/7 إلى سنن الترمذي رقم (3736)، وسنن النسائي116/8، ومجمع الزوائد133/9، وكنز العمال برقم (32878) و(33028)، وفتح الباري63/1، والبداية والنهاية لابن كثير355/7، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي 417/8، 426/14 وإلى غيرها، وله في الموسوعة شواهد انظرها فيه، والحديث عن زر بن حبيش قال: سمعت عليًّا عليه السلام يقول: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ ((إنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق)) في الاعتصام 44/1 وعزاه إلى البخاري، ومسلم، والنسائي، والحسن بن علي الصفار في الأربعين، وأورد نحوه وعزاه إلى الزرندي في درر السمطين عن الحرث الهمداني.

والحديث بلفظ: ((لا يحب علياً إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق)) أخرجه الإمام أبو طالبعليه السلام في أماليه ص121 رقم (89) بسنده عن أم سلمة، وانظر أسانيد الحديث ومصادره وتعدد رواياته وألفاظه الاعتصام للإمام القاسم بن محمد 42/1-46، ولوامع الأنوار للمولى العلامة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي 657/2-661، والروضة الندية للبدر الأمير ص132.133.

))): أي(1) يريد نفعك.

[44] (سيئة تسوءك عند الله): أي يلحقك بها السوء وهو المضرة عند الله ومن جهته.

(خير من حسنة تعجبك): يلحقك بها العجب؛ لأن السيئة إذا ساءتك كان ذلك يدعوك إلى التوبة منها، والإعجاب بالحسنة يكون داعياً إلى إحباطها وإسقاط ثوابها عند الله تعالى، وفي هذا دلالة على عظم خطر الإعجاب، وكثرة المقت به، فنعوذ بالله من العجب وشر إهلاكه للأعمال، ونسأله العصمة عن الموبقات والعظائم.

[45] (قدر الرجل على قدر همته): يعني أن كل من كان من الرجال له همة عالية ونفس طامحة إلى معالي الأمور ونفائسها فقدر حاله يعظم من أجل ذلك، ويكون له خطر عند الناس ومكانة عظيمة، ومن كانت همته دانية خسيسة فقدره على حسب ذلك من غير زيادة.

(وصدقته(2) على قدر مروءته): المروءة: هي البذل، وغرضه أن من كان كثير العطاء سخي النفس فصدقته نافعة، ومن كان قليل العطاء فصدقته نزرة قليلة لا تنفع صاحبها.

(و(3)شجاعته على قدر أنفته): الأنفة: الاستنكاف، وغرضه هو أن إقدامه على الأخطار والمخافات على قدر ما يكون فيه من النَكَفَة(4).

(وعفته على قدر غَيْرَتِهِ): وانكفافه عن القبائح وسائر الأمور المكدرة للأعراض على قدر ما يكون فيه من الاحتماء، يقال: غار الرجل غيرة إذا احتمى.

[46] (الظفر بالحزم): أي أن الظفر بالأمور لا يكون إلا بإعمال الحزم وإيثاره.

(والحزم بإجالة الرأي): يعني أن الحزم لا يمكن(5) إلا بإجالة سهامه وإمعان النظر فيه.

---

(1) أي، سقط من (ب).

(2) في شرح النهج: وصدقه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) الواو، سقط من (أ).

(4) النكفة: العُدُول.

(5) في (ب): لايكون.

(والرأي بتحصين الأسرار): أي وخلاصة الرأي وجمال أمره وكماله إنما يكون بصون الأسرار عن الإذاعة والنشر.

[47] (احذروا صولة الكريم إذا جاع): يشير بهذا إلى أن عزة نفس الكريم تأبى عليه أن يحتمل ضيماً أو أذى فهو لا يعتاد الجوع، فإذا جاع غلب على مزاجه الحدّة والغضب.

(واللئيم إذا شبع): لأن اللئيم وهو: الدنيء الخسيس، معتاد للجوع، أَلِفٌ له بخسته(1) وبخله، فإذا شبع استنكر حاله وخالف ما هو عليه، فلهذا يستولي عليه البطر والأشر.

[48] (قلوب الرجال وحشية): مستوحشة نافرة، من طبعها الشرود.

(فمن تألَّفها): بالمداراة لها والإحسان إليها.

(أقبلت إليه(2)): بالمودة والمحبة والألفة.

[49] (عيبك مستور): خفي كامن، لا يذكره أحد.

(ما أسعدك جَدُّكَ): إسعاد الجد هو: إذعان الأيام ومساعدة المقادير؛ لأن مساعدة الجد تمنع الإنسان عن فعل القبيح، فلهذا بقي مستوراً عنه عيبه لإقبال الدهر وإذعانه له، ألا ترى أن الملوك وأكابر الناس لا تذكر عيوبهم، وإن كانت كبيرة عظيمة لأجل مساعدة المقادير لا غير.

[50] (أولى الناس بالعفو): أحقهم به، وأعظمهم حالة فيه.

(أقدرهم على العقوبة): لأن من لا يقدر فلا وجه لعفوه؛ لأنه يكون عجزاً لا عفواً.

[51] (السخاء ما كان ابتداء): يعني أن الكرم إنما يكون على جهة الابتداء من غير سؤال؛ لأنه يكون تفضلاً محضاً.

(فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم): يعني فأما إذا كان الإعطاء بعد المسألة فإنما هو حياء عن الرد، واستنكاف عن رد السائل ومنعه.

[52] (لا غنى كالعقل): يريد أنه لايشبهه شيء في كون الإنسان مستغنياً به عن غيره.

---

(1) في (ب): لخسته.

(2) في شرح النهج: عليه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

*(2088/6)*

---

(ولا فقر كالجهل): يعني(1) أنه لايشبهه شيء في حاجة الإنسان، وإن حصل له كل شيء.

(ولا ميراث كالأدب): يريد أنه لاميراث أفضل منه من(2) جميع ما يورث.

(لا(3) ظهير كالمشاورة): الظهير والظهريِّ هو: المعين والمرافد، وأراد(4) أنه لا معين كالمشاورة في الرأي وتحصيله من جهة غيرك.

[53] (الصبر صبران): يعني أنه يقع على وجهين: وكله صبر.
(صبر على ما تكره): من المصائب والأحزان والآلام.
(وصبر عما تحب): من اللذات المحرمة والمشتهيات الطيبة المكروهة.
[54] (الغنى في الغربة وطن): يشير إلى أن ذا المال وإن كان غريباً فهو في الحقيقة مستوطن بماله متمكن به في(5) تحصيل ما يشتهيه.
(والفقر في الوطن غربة):يعني أن الفقير وإن كان في وطنه فإنه لا يمكنه تحصيل أغراضه، وقضاء مآربه لقلة تمكنه(6) من ذلك للفقر.
[55] (القناعة مال لا ينفد): لأن القناعة هو ألا تكون طالباً للمشتهيات والملاذ للتعفف عنها، وصاحب المال متمكن من تحصيلها، فلهذا لم يكن طالباً لها، فلهذا قال: هي مال؛ لأن حكمها حكم صاحب المال في ذلك، وإنما قال: لا ينفد مبالغة في استمرار الاستغناء عن المطلوبات.
[56] (المال مادة الشهوات): يعني أن كل من كان ذا مال ويسار فشهواته لاتزال غضة طرية متجددة على ممر الأيام، من قولهم: أمده بكذا إذا أمكنه منه.
[57] (من حذَّرك): عن الوقوع في الأمور(7) المكروهة والشدائد العظيمة.
(كمن بشَّرك): بالأمور السارة؛ لأنهما بالإضافة إلى النفع على سواء.

---

(1) في (ب): يريد.
(2) في (ب): في.
(3) في شرح النهج: ولا ظهير.
(4) في (ب): يعني.
(5) في (ب): من.
(6) في (ب): لقلة ما يمكنه.
(7) الأمور، سقط من (ب).

*(2089/6)*

---

[58] (اللسان سَبُعُ): يعني بمنزلة السبُع في المضرة بالكلام والسب والأذية.
(إن خلي عنه عقر): إن أطلقه صاحبه ضرَّ غيره وأتلفه بعقره له بما يكون منه من التسلط بالإيذاء، وسمي ما يكون من جهة الذم باللسان عقراً لدخوله في الألم، وعن هذا قال بعضهم:
وكَلْمُ السيف تَدْمُلُهُ فيبرا

وجرحُ(1) الدهرِ ما جرحَ اللّسانُ(2)

[59] (المرأة عقرب): يشبه حالها حال العقرب.
(حلوة اللَّسْبة): أي اللدغة، يقال: لسبته العقرب إذا لدغته، وغرضه أن صحبة النساء لذيذة حلوة تميل إليها النفس وتشتهيها، ولكن فيها مضرة لما في مباشرتهنَّ من نقصان مادة الحياة وتحلل القوة وإذهابها بالجماع.
[60] (الشفيع جناح الطالب): لأن به تنجح المسألة، وهو آلة فيها كما أن جناح الطائر آلة في(3) طيرانه.
[61] (أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام): يشير إلى أنه يسار بهم إلى الآخرة، بجري الليل والنهار وهم لا يشعرون، بمنزلة من هو نائم.
[62] (فقد الأحبة غربة): يريد إلى أنه يألم بفقدهم كما يألم بالغربة ويحزن بها.
[63] (فوت الحاجة): تعذرها وبطلانها.
(أهون من طلبها إلى غير أهلها): وإنما كان أهون؛ لأنها إذا تعذرت فليس فيها إخلاق للوجه، وإبطال لمائه وإذهاب لجماله بخلاف طلبها إلى غير أهلها، ففيها(4) ذلك كله.
[64] (لا تستحيي(5) من إعطاء القليل): يعني أنك لا يلحقك تأفف عن أن تكون معطياً للعطاء القليل.

---

(1) في نسخة: وكلم، (هامش في ب).
(2) الكَلْمُ: الجرح، والبيت في لسان العرب 1014/1 بدون نسبة لقائله، وروايته فيه:
وجرح السيف تدمله فيبرا

ويبقى الدهر ما جرح اللسان

(3) في (ب): آلة في آلة في طيرانه.
(4) في (ب): ففيه.
(5) في شرح النهج: لا تستح.

(فإن الحرمان أقل منه): لأن القليل وإن قل فهو عطاء وبر ومكرمة فيك، والحرمان إبطال لذلك كله، وفي الحديث: ((لا تردوا السائل ولو بشق تمرة))(1) أي ببعضها.

[65] (العفاف زينة الفقر)(2): التعفف هو: الانكفاف عن المسألة، وغرضه أن الانكفاف عن السؤال هو جمال في حق الفقراء وزينة في أحوالهم.

[66] (إذا لم يكن ما تريد): يعني إذا لم تكن لك قوة وطاقة على تحصيل مرادك.

(فلا تُبَلْ كيف كنت!): ظالماً أو مظلوماً؛ لأن من لا قدرة له على نيل مراده، فلا ضير عليه في تحمل ما يجري عليه من صروف(3) المقادير.

[67] (لا ترى(4) الجاهل إلا مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً): يعني أنه في جميع أحواله مخالف لجهة الإصابة، فتارة يكون مفرطاً في الأمور مبطلاً لها، وتارة يكون متجاوزاً للحد في طلبها وتحصيلها، وفي الحديث: ((الجاهل إما مُفَرِّطُ أو مُفْرِط)).

[68] (إذا تم العقل نقص الكلام): لأن من كمل عقله أفكر في الأمور وأحكمها، ولا حكمة مثل الصمت عن أكثر الكلام.

[69] (الدهر يُخْلِقُ الأبدان): أي يذهب جمالها ويبطل رونقها من الشباب إلى المشيخ، ومن القوة إلى الهزال، ومن الحياة إلى الموت.

---

(1) رواه في مسند شمس الأخبار 43/2، وعزاه إلى مسند الشهاب، وقريباً منه بلفظ: ((لا تردوا السائل ولو بشربة ماء)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 101/7 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 435/6، وتأريخ أصفهان137/1، وكنز العمال برقم (16174) ورقم (16175).

(2) لفظ هذه الحكمة في شرح النهج برقم (66): (العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى).

(3) في نسخة: ضروب، (هامش في ب).

(4) في شرح النهج: لا يُرى.

*(2091/6)*

---

(ويجدد الآمال): لأن بالكبر تكثر آمال الإنسان، وفي الحديث: ((يكبر ابن آدم ويشب فيها(1) اثنتان: الحرص، وطول الأمل))(2).

(ويقرب المنية): بذهاب العمر ونفاده.

(ويباعد الأمنية): يقطعها ويزيلها لتعذرها وانقطاعها عن صاحبها.

(المأمول من ظفر به نصب): كل ما يرجى حصوله في مستقبل الزمان فمن حصل له وظفر به، أصابه النصب بمعاناته وتحصيله.

(ومن فاته تعب): بانقطاعه عنه وتعذره عليه.

[70] (من نصب نفسه للناس إماماً): يقتدون به ويهتدون بهديه ويسلكون على أثره.

(فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه): تهذيبها، وأراد أن الواجب عليه في ذلك هو البداية بتهذيب نفسه وهدايتها إلى الخيرات.

(قبل تعليم غيره): من أفناء الخليقة؛ لأن خلاف ذلك يكون نقصاً في حاله.

(وليكن تأديبه): لغيره ممن يقتدي به.

(بسيرته): بما يكون من أفعاله.

---

(1) في (ب): ويشب معه.

(2) انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 398/11، 435، 436، وهو بلفظ: ((يهرم ابن آدم، وتبقى معه خصلتان: الحرص، وطول الأمل)) عن قتادة، عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحديث، أخرجه الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار ص385 رقم (288) قال محققه في تخريجه: أخرجه أبو يعلى 242/5 رقم (2857، 2979، 3010، 3268) بلفظ: ((يهرم ابن آدم وتشب معه اثنان: الحرص على المال، والحرص على العمر))، عن قتادة، عن أنس. قال: وأخرجه أحمد بن حنبل، ومسلم في الزكاة، والترمذي في الزهد، وابن ماجة، وابن حبان، والطيالسي، والبخاري في الرقاق، وأبو نعيم، وابن المبارك في الزهد، وكلهم من طرق عن قتادة عن أنس. انتهى.

قلت: وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص522 رقم (706) بسنده عن قتادة عن أنس أيضاً.

*(2092/6)*

---

(قبل تأديبه بلسانه): يشير إلى أن التأديب بالأفعال والاقتداء بها أنجع وأعظم من التأديب باللسان وأدخل في الموعظة، لأن الفعل أشق من القول وأعظم موقعاً.

(ومعلّم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال): يعني ومن أدب نفسه وعلمها فهو أحق بالتعظيم.

(من معلم الناس ومؤدبهم): لأن نفسه أحق بذلك، ومهما عني بالأحق فهو أولى بما ذكره من الإجلال.

[71] (نَفَسُ المرء): يعني تنفسه وبقاؤه في الدنيا.

(خطاه إلى أجله): بمنزلة من يخطو إلى الأجل فيقطع الغاية التي بينه وبينه.

[72] (كل معدود ينقص(1)): يريد كل(2) ما كان له وفرة وتجمع وكمال فهو لا محالة لابد من انتقاصه وزوال عدده وتفرقه.

(وكل متوقع آت): يعني أن كل ما توقع وجوده وكان له وجود فالأيام والليالي يأتيان به.
[73] (إن الأمور إذا اشتبهت): التبست فلم يعلم حالها وحكمها.
(اعتبر آخرها بأولها): يعني ما حدث الآن بما مضى من قبل، فخذ منه حكمه.

[74] ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابيّ(3) منسوب إلى بني ضباب، عند دخوله على معاوية، وسؤاله عن أمير المؤمنين

فقال له ضرار: (فأشهد لقد رأيته وهو قائم(4) في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله): استعارة من سدول الهودج وهو ما أُسْبِلَ عليه من الأستار لِتُغَطِّيه.
(وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته يتململ): يعني يتحرك، ويضطرب.
(تململ السليم): وهو اللديغ.
(ويبكي بكاء الحزين): يعني الذي فقد أهله بالموت.
( ويقول: يادنيا يادنيا): نداء تحقير وتوبيخ وتهكم بحالها، كما تقول لمن توبخه: يا فلان يا فلان باسمه ولقبه.

---

(1) في شرح النهج: منقض.
(2) كل، سقط من (ب).
(3) في شرح النهج: الضابيّ.
(4) قوله: وهو قائم، سقط من شرح النهج.

*(2093/6)*

---

(إليك عني): إليك ها هنا اسم من أسماء الأفعال أي خذي نفسك عن التعلق بي، وقوله: عني متعلق بفعل محذوف تقديره: وارجعي عني؛ لأن كل من رد غيره عن نفسه ويئس المردود منه فإنه لا محالة يرجع إلى نفسه.
(أبي تعرضت): أي أتصديت من أجلي وبسبَبْي لتغريني.
(أم إليّ تشوفِّت!): يروى بالفاء، والتشوف: التطلع، ويروى بالقاف من الاشتياق، وهو: النزوع إلى من تحبه، وكلاهما صالح ها هنا.
(لا حان حَينُك): أي لاحضر وقتك.
(هيهات): أي(1) بَعُدَ رجاؤك مما تطلبينه(2) مني.
(غري غيري): اخدعي غيري، فأما(3) أنَّا فلست من أهل الخديعة بك.

(لا حاجة لي فيك): فأكون ملاحقاً على طلبك ومطالباً فيك.

(قد طلقتك ثلاثاً): وهو كمال الطلاق وتمام نصابه.

(لا رجعة لي فيك(4)): بعد هذا الطلاق، وكلام أمير المؤمنين ها هنا فيه دلالة وإشعار على أن الطلاق تابع للطلاق، ولهذا قال: لا رجعة بعده، وعليه تعويل أكثر العلماء.

(فعيشك قصير): أياماً قليلة مقدار الحياة التي يعاش فيها.

(وخطرك يسير(5)): أي قدرك حقير لا يزن شيئاً.

(آه): صوت يقال عند التوجع والتحزن، ومعناه: أتوجع.

(من قلة الزاد): المبلغ إلى الآخرة، وهو التقوى.

(وبعد السفر): وهو السير إلى العرصة.

(وعظم(6) المورد!): على القيامة وأهوالها.

---

(1) أي، سقط من (أ).

(2) في (ب): تطلبيه.

(3) في (أ): فما، وما أثبته من (ب).

(4) في شرح النهج: لا رجعة فيها.

(5) بعده في شرح النهج: وأملك حقير، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(6) في شرح النهج: وعظيم.

*(2094/6)*

---

[75] ومن كلام له عليه السلام للسائل وهو الأصبغ العدواني(1)

قال لأمير المؤمنين: (أكان مسيرك إلى الشام): يعني لحرب معاوية وأصحابه (بقضاء من الله وقدر): فكلمه بكلام طويل هذا مختاره:

(ويحك!): كلمة دعاء بمنزلة ويلك.

(لعلك ظننت قضاء لازماً): أي واجباً لا يجوز خلافه.

(وقدراً حتماً(2)): لا محيص لأحد عنه.

(ولو كان ذلك(3) كذلك): يعني على ما قلت من القضاء الواجب والقدر الحتم.

(لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد): لأن هذه الأمور إنما تكون متوجهة إذا كان لنا أفعال هي واقعة(4) على حسب القصد والداعية من جهتنا، فيقال: إن الوعد متوجه إلى فعل الطاعة، والوعيد متوجه إلى فعل المعصية، ويكون الثواب والعقاب متوجهين عليهما أيضاً، فأما إذا كانت الأفعال من

خلق الله تعالى، حاصلة بقضائه، ومتعلقة بقدرته فلا وجه لذلك، كما هو مذهب هؤلاء المجبرة، فإنهم مجمعون على أن الأفعال كلها واقعة بقدرة الله تعالى(5) ومتعلقة بإرادته.

(إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً): يعني على جهة الاختيار إن شاءوا فعلوا ذلك وإن شاءوالم يفعلوه، فالقدرة حاصلة على كل واحد من الوجهين.

---

(1) ذُكِرَ هنا أن السائل لأمير المؤمنين علي عليه السلام هو الأصبغ العدواني، وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج 227/18 ما يدل على خلاف ذلك، فقال: قد ذكر شيخنا أبو الحسين رحمه الله هذا الخبر في كتاب الغرر ورواه عن الأصبغ بن نُباته، قال: قام شيخ إلى علي عليه السلام فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء الله وقدره؟ فذكره إلى آخره.

(2) في (ب) وشرح النهج: حاتماً.

(3) ذلك، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(4) في (أ): واقفة.

(5) تعالى، سقط من (ب).

*(2095/6)*

---

(ونهاهم تحذيراً): أي على جهة التحذير، وليس على جهة القسر والإلجاء.

(وكلف يسيراً): فعلاً هيناً يمكن فعله على سهولة.

(ولم يكلف عسيراً): ما يبهظ(1) النفوس ويثقلها ويفدحها.

(وأعطى على القليل): من فعل الطاعة.

(كثيراً): من جزيل ثوابه.

(ولم يُعْصَ مغلوباً): يريد أن فعل المعصية لم يكن موجوداً على جهة الغلبة له، وأنه لم يكن قادراً على منعها.

(ولم يُطَعْ مُكْرِهاً): يعني أن الطاعة له ما كانت على جهة الإكراه من جهته بطريق الإلجاء.

(ولم يرسل الأنبياء لعباً): لغير فائدة، بل لهداية الخلق، وتعريفهم مصالح دينهم.

(ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً): لغير مقصد أو يريد عابثاً ولاعباً.

(ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً): الباطل هو: الذي لا حقيقة له، وأراد وما كان خلق هذه الأشياء إلا لأغراض حكمية ومصالح دينية استأثر الله بعلمها واستبد بالإحاطة بها.

واعلم: أن هذه الأمور التي أوردها إلزامات للمجبرة ورداً لمقالتهم المنكرة، فإن عندهم أن الله يجوز أن يفعل هذه الأشياء لا لغرض فيكون عابثاً لاعباً في بعث الأنبياء، وإنزال الكتب وخلق السماء

والأرض إلى غير ذلك من الهذيان، وأن يكلف ما ليس في الطاقة والوسع، ثم ختم كلامه بتلاوة هذه الآية:

({ذَلِكَ}): أي ما قالوه من أن المعاصي بخلق الله تعالى وإيجاده لها فيهم.

({ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ}[ص:27]): جزاء على هذه المقالة ووعيداً عليها.

[76] (خذ الحكمة أنى كانت): يريد احفظها من أي جهة أتت، فإن النفع الديني إنما هو فيها وليس في قائلها.

---

(1) في النسخ: يبهض، بالضاد، وهو تحريف، والصواب كما أثبته بالظاء.

*(2096/6)*

---

(فإن الحكمة تكون في صدر المنافق): مستقرة حاصلة متمكنة.

(فتختلج في صدره): أي تضطرب.

(حتى تخرج(1)): من قلبه، وإنما كان ذلك لأمرين:

أما أولاً: فلأن المنافق من شأنه الرياء والإظهار باللسان لما يضمره في قلبه، فلهذا لم تستقر الحكمة في قبله لعادته في ذلك.

وأما ثانياً: فلأن الحكمة مناسبة لصفاء النفوس وزكائها وحسن عقيدتها، فهي تنمو بذلك وتستقر. فأما النفوس الخبيثة فإنها لا تناسب الحكمة لميلها إلى الشر، وتمكن الهيئات الردية، فلأجل هذا لم تكن الحكمة مستقرة فيها، بل تكون على شرف الزوال والمفارقة.

(فالحكمة ضالة المؤمن): ومثل هذا قد(2) ورد عن الرسول(3)، وأراد أنه لا يزال ينشد عنها حتى يجدها فيحفظها في قلبه.

(فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق): يريد أن نفاقهم لا يضرك، فإن الأشياء الرفيعة الغالية لا يضرها إيداعها في الأوعية الخبيثة.

[77] (قيمة كل امرئٍ ما يحسن(4)): فانظر إلى ما كان يفعله، فإن كان له قيمة ووزن فقيمته من أعظم القيم وأعلاها، وإن كان ما يحسنه لا قيمة له فقيمته من أخس القيم وأنزلها.

وأقول: إن هذه الحكمة من الحكم التي بلغت كل غاية وجاوزت كل نهاية، فلا يصاب لها ولا قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرب إليها كلمة، وقد نظمها عليه السلام بقوله:

فوزن كل امرئ ما كان يحسنه

---

(1) بعده في شرح النهج: فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن، وكذا في حاشية (ب).

(2) قد، سقط من (ب).
(3) وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحكمة ضالة المؤمن، ومن حيث وجدها فهو أحق بها)) أخرجه الموفق بالله في الاعتبار ص43 رقم (1) بسنده يبلغ به إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام (وانظر تخريجه في الاعتبار) وهو في مسند شمس الأخبار 10/2 عن علي عليه السلام.
(4) في شرح النهج: ما يحسنه.

*(2097/6)*

---

والجاهلون لأهل العلم أعداء

[78] ثم قال:
(أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً): ضرب آباط الإبل كناية عن الأسفار البعيدة، وتحمل المشاق الشديدة، والإبط: هو ما يلاصق مرفق البعير.
(لا يرجونَّ أحد منكم إلا ربه): يشير إلى أنه يكون منقطعاً إليه في جميع أموره ومعلقاً لها إلى قدرته وقضائه، فإن ذلك أحمد للعاقبة وأقوى للثقة بالله.
(ولا يخافنَّ إلا ذنبه): لأنه إذا كان خائفاً من ذنبه كان أدعى له إلى الإقلاع والانكفاف عن المعاصي.
(ولا يستحينَّ أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم): لأن في خلاف ذلك إقداماً على الجهالة، وتقحماً على الدخول في الضلالة، فإذا قال: لا أعلم خلص من درك ذلك كله.
(ولا يستحينَّ أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه): فإن خلاف ذلك فيه الإصرار على الجهل، والوقوف عليه.
(وبالصبر(1)): على الأمور كلها، فإنه ملاكها وقاعدة أصلها.
(فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد): يشير إلى أنه أعلا خصال الإيمان وأعظمها، كما أن الرأس أشرف أعضاء الإنسان وأعلاها.
(لا(2) خير في جسد لا رأس معه): أي لا منفعة فيه بحال.
(ولا في إيمان لا صبر معه): لأنه يكون ناقصاً.
[79] وقال لرجل أفرط في مدحه وكان له متَّهماً:
(أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك): يشير إلى بطلان مقالته فيما قال ، وإلى إيحار صدره فيما توهم من ذاك، فأنا دون مدحك لإفراطه، وأنا فوق ما في نفسك لحسدك ونقصك لي.
[80] (بقية السيف أبقى(3) عدداً): يعني ما بقي بعد القتل والاستئصال فإن الله تعالى(4) ينميه

ويكثر عدده ويبقيه.

---

(1) في شرح النهج: وعلكم بالصبر.

(2) في شرح النهج: ولا خير.

(3) في شرح النهج: أنمى.

(4) تعالى، سقط من (ب).

*(2098/6)*

---

(وأكثر ولداً): أوفرهم في الولادة.

وما أحق هذا الكلام وأخلقه بحال الفاطمية، وما كان من العباسية والأموية إليهم في القتل والاستئصال وقطع الدابر، ومع ذلك فإن الله تعالى بلطفه أبقى عددهم وأكثر أولادهم، وقطع دابر أولئك، فلا يوجد منهم إلا حُثالة(1) على الندرة والقلة.

[81] (من ترك قول: لا أدري أصيبت كلمته): ويروى: (مقاتله)(2): والمراد بالأول هو أن من سئل عما لا يعلمه ولم يقل لا أدري، بل أجاب بما لا يدري، فإنه يكذب ويخطئ فيصير كلامه مصاباً بالخطأ والزلل، والمراد بالثاني أن الإنسان ربما كان عالماً بشيء لو سئل عنه فأخبر(3) به لكان في ذلك هلاكه وقتله، ولو قال: لا أدري لسلم، وأولهما هو الوجه.

[82] (رأي الشيخ أحب إليّ من جلد(4) الغلام): الجلد هو: القوة والشدة، وأراد أن رأي الشيخ ربما كان أدخل في النفع وأبلغ(5) من شدة الغلام وصلابته.

ويروى: (من مشهد الغلام): يعني حضوره.

[83] (عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار): القنوط هو: الأياس، يعني كيف ييأس عن الرحمة والمغفرة للذنوب مع كونه مستغفراً، والله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[الزمر:53].

[84] وحكى عنه(6) أبو جعفر محمد بن علي الباقر " أنه قال: (في الأرض(7) أمانان من عذاب الله، وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به.

---

(1) الحُثالة بالضم: ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشارة إذا نقيّ، وحثالة الدهن ثفله، فكأنه الرديء من كل شيء. (مختار الصحاح ص122).

(2) وفي نسخة أخرى: مقالته.

(3) في (ب): فأخبر عنه.

(4) في شرح النهج: جهد.

(5) وأبلغ، زيادة في (ب).

(6) عنه، زيادة في شرح النهج.

(7) في شرح النهج: كان في الأرض ...إلخ.

*(2099/6)*

---

أما الأمان الأول: فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما الأمان الثاني: فهو الاستغفار)، ثم تلا هذه الآية تصديقاً لما قاله: ({وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ})[الأنفال:33]، وهذا من محاسن استخراجاته، ومن لطيف استنباطاته للأسرار الدقيقة، والمعاني الغريبة.

[85] (من أصلح ما بينه وبين الله): بالتقوى لله تعالى(1)وخوفه ومراقبته في أحواله كلها.

(أصلح الله ما بينه وبين الناس): بالحفظ له والدفاع عنه.

(ومن أصلح أمر آخرته): بالأعمال الصالحة، والتزود لها من الدنيا لها.

(أصلح الله(2) له أمر دنياه): بالكفاية له وإصلاح حاله.

(ومن كان له من نفسه واعظ): يعظها، ويهديها إلى فعل الخيرات، ويجنبها المضار المكروهة.

(كان له من الله حافظ): إما حافظ يحفظه عن الوقوع في الهلكات، وإما لطف يحفظه عن الوقوع في المعاصي والخطايا.

[86] (الفقيه كل الفقيه): الفقه هو: الفهم، وأراد أن الفاهم كل الفاهم حتى لا فاهم إلا هو.

(من لم يقنط الناس من رحمة الله): يؤيسهم من الرحمة، بل يعدهم إياها ويقربهم إليها ولا يباعدهم عنها.

(ولم يؤيسهم من روح الله): رحمته وفرجه عليهم.

(ولم يؤمنهم مكر الله): بهم وعذابه إياهم، وغرضه من هذا التوسط بين الحالتين هو غاية الإصلاح لأحوال الخلق، ولهذا فإن من حكمة الله تعالى خلطه لآيات الوعد بآيات الوعيد، وآيات التحذير بآيات التبشير، فما ذكر آية من ذلك إلا عقبها بنقيضها، فلو كان وعداً محضاً لأمنوا من العذاب، ولو كان وعيداً محضاً لأيسوا من الرحمة، فلهذا وعد بعثاً على الرحمة، وأوعد حثاً على الأعمال الصالحة.

---

(1) تعالى، سقط من (ب).

(2) الله، زيادة في (ب) وشرح النهج.

[87] (أوضع العلم): أدناه حالة، وأنزله قدراً.
(ما وقف على اللسان): يعني ما كان قولاً من غير عمل، كما يحكى عن بعض فرق(1) المرجئة أن الإيمان قول بلا عمل.
(وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان): يريد ما صدقته الجوارح باستعمالها في الخدمة واشتغالها بالأعمال الفاضلة.
[88] (إن هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان): يعني تسأم وتفتر كما تصيب الأبدان السآمة والفتور.
(فابتغوا لها طرائف الحكمة): الطريف من المال: ما كان مستحدثاً، وهو نقيض التليد(2)، وأراد فاطلبوا لها مستحدثات الحكم ومستجداتها لتكون نشيطة مقبلة على الأعمال، وفي الحديث: ((القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد))(3)، وفي حديث آخر: ((عليكم من العمل(4) بما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا))(5)

---

(1) فرق، سقط من (ب).
(2) التليد: المال القديم الأصلي.
(3) رواه في مسند شمس الأخبار 356/1 عن عبد الله بن عمر، وعزاه إلى أمالي السمان، والحديث بلفظ: ((إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف119/3 وعزاه إلى كنز العمال برقم (3924)، وميزان الاعتدال رقم (9085)، ولسان الميزان 576/6، والعلل المتناهية347/2، والكامل لابن عدي 258/1.
(4) في (ب): من الأعمال ما تطيقون.
(5) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 490/5 إلى مسلم في صلاة المسافرين ب(31) رقم (221)، ومسند أحمد بن حنبل 212/6،122، والمعجم الكبير للطبراني228/18، ومجمع الزوائد للهيثمي 259/2 إلى غيرها.
_ ... _قلت: وهو في نهاية ابن الأثير 360/4 بلفظ: ((اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا)) وقال في شرحه: معناه أن الله لا يمل أبداً مللتم أو لم تملوا، فجرى مجرى قولهم: حتى يشيب الغراب، ويبيض الفار، وقيل: معناه لا يطّرحكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا في الرغبة إليه، فسمى الفعلين مللاً، وكلاهما ليسا بملل، كعادة العرب في وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه، نحو قولهم:
ثم أضحوا لعب الدهر بهم

وكذاك الدهر يودي بالرجال

_ … _فجعل إهلاكه إياهم لعباً. وقيل: معناه: أن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فسمى فعل الله مللاً على طريق الازدواج في الكلام كقوله تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها}، وقوله: {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه}، وهذا باب واسع في العربية، كثير في القرآن. انتهى.

*(2101/6)*

---

، وأراد من هذا أن أفضل ما يكون من الأعمال ما كان بالإقبال والنشاط دون الإكراه.

[89] (لا يقولنَّ أحدكم: اللَّهُمَّ، إني أعوذ بك من الفتنة ؛ لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة)(1): ثم تلا هذه الآية: ({وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}[الأنفال:28]).

(ولكن من استعاذ فليستعذ من مُضِلاَّت الفتن): عظائمها وجلائلها.

(والمعنى(2) في هذه الآية هو أن الله تعالى يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيَّن حال(3) الساخط لرزقه، والراضي بقسمه(4)، وإن كان(5) الله أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب؛ لأن بعضهم يحب الذكور ويكره الإناث، وبعضهم يحب تثمير المال، ويكره انثلام الحال)(6): فامتحنهم الله(7) بما ذكره ليبلو حالهم في ذلك.

[90] وسئل عليه السلام عن الخير ما هو(8)؟

فقال: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك): بالزيادة والنمو في الأموال وكثرة الأولاد، فإن هذا هو خير منقطع يزول ويفنى.

(ولكن الخير أن يكثر علمك): بالله وبطريق الآخرة.

(وأن(9) يعظم حلمك): احتمالك وإغضاؤك عن أكثر المكاره كلها.

---

(1) اللفظ من هنا في شرح النهج: (ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن، فإن الله سبحانه يقول: {واعلموا أنما أمواكم وأولادكم فتنة}).

(2) في شرح النهج: ومعنى ذلك أنه سبحانه يختبر عباده بالأموال و …إلخ.

(3) حال، سقط من شرح النهج.

(4) في (ب): بقسمته.

(5) كان، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(6) بعده في شرح النهج: قال الرضي رحمه الله تعالى: وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلام في التفسير.

(7) الله، زيادة في (ب).

(8) ما هو، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(9) أن، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.



---

(وأن تباهي الناس بعبادة ربك): المباهاة: المفاخرة، وأراد أنك تفاخر الناس بما كان من عبادتك لله وحسن بلائك عنده.

(فإن أحسنت حمدت الله): على ما وفقك للإحسان.

(وإن أسأت استغفرت الله): على ما كان من جتهك من الإساءة.

(ولا خير في الدنيا إلا لرجلين): يعني لا خير في عيشها، ولا في المقام فيها.

(رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة): التدارك هو: التلاحق، وأراد أنه يمحوها بما كان من جهته من التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

(ورجل يسارع في الخيرات): في عمل الأعمال الصالحة، كما قال: {يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ}[الأنبياء:90]، أي في أعمالهم الفاضلة.

(لا(1) يقلُّ عمل مع التقوى): أراد أن كل عمل وإن قل فهو كثير إذا صاحبته التقوى.

(وكيف يقلُّ ما يُتَقَبَّلُ!): يشير إلى قوله تعالى: ({إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ})[المائدة:27]، وغرضه أن كل عمل قُبِلَ فإنه لا يُعْدُّ قليلاً ولايوصف بالقلة.

[91] (إن أولى الناس بالأنبياء): أخصهم بالولاية، وأحقهم بالاختصاص.

(أعلمهم بما جاءوا به): من عند الله من العلوم الشرعية والأسرار الغيبية، (ثم تلا): قوله تعالى: ({إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا}[آل عمران:68]): ثم قال:

(إن ولي محمد من أطاع الله): في أوامره ونواهيه.

(وإن بعدت لحمته): اللحمة بالضم هي: القرابة الخصيصة، وأراد أنه أولى الناس به وإن كانت قرابته بعيدة.

(وإن عدو محمد من عصى الله): خالف أمره ونهيه.

(وإن قربت قرابته): يعني وإن كان في غاية الاختصاص بالقرابة.

---

(1) في شرح النهج: ولا يقلُّ.

[92] (وسمع رجلاً من الحرورية): وهم فرقة من الخوارج ينسبون إلى قرية يقال لها: حروراء(1) بفتح الحاء والراء بها، كان فيها أول اجتماعهم.

(يتهجد ويقرأ، فقال: نوم في سنة(2)): يريد على موافقة السنة من غير بغي ولا خروج ولا فسق.

(خير من صلاة في شك): في الحال التي هو عليها، وكلامه هذا إنما هو تعريض بالحروري وفعله، وأن قراءته وصلاته وتهجده لا تغني شيئاً مع ما هو عليه من المخالفة والمعصية، وفي الحديث: ((نوم العالم خير من عبادة الجاهل))(3) لأن النائم يرفع عنه القلم، والعابد مع الجهالة لا(4) يمتنع أن يكون مخطئاً في عبادته، فلهذا كان نومه خيراً من العبادة.

[93] (اعقلوا العلم(5) إذا سمعتموه): يريد إذا قرع أسماعهم شيء من العلوم الدينية، فافهموه عند سماعه:

(عقل رعاية): لحقه في الحفظ، والعمل على وفقه ومقتضاه.

(لا عقل رواية): لا لأنكم تروونه ويحفظه أحد منكم.

(فإن رواة العلم كثير(6)): يعني الذين يجرونه على ألسنتهم من غير عمل.

(ورعاته قليل): يريد(7) الذين يعملون به.

---

(1) في (أ): حرور، وحروراء: قرية بظاهر الكوفة، نزل بها الخوارج الذين خالفوا أمير المؤمنين علي عليه السلام، والحرورية نسبة إليها.

(2) في شرح النهج: نوم على يقين، خير من صلاة على شك.

(3) ورد قريب منه بلفظ: ((نوم على علم خير من صلاة على جهل)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 91/10، وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 157/5، وحلية الأولياء 385/4، وكشف الخفاء 456/2،449، وكنز العمال برقم (28711)، والأسرار المرفوعة374.

(4) في (ب): لا يبعد.

(5) في شرح النهج: اعقلوا الخبر ... إلخ.

(6) في نسخة: كثيرون، (هامش في ب).

(7) في (ب): يعني.

[94] وسمع رجلاً يقول: ({إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ})[البقرة:156]، فقال:
(إنَّ قولنا: {إِنَّا لله} إقرار على أنفسنا بالملك): يريد لأن اللام دالة على الملك، كما تقول: المال لزيد والفرس له، ومن حق من كان مملوكاً أن يقيم على طاعة سيده من غير مخالفة له.
(وقولنا: {وإنا(1) إليه راجعون} إقرار بالهُلْكِ(2)): يعني بالزوال والفناء؛ لأن الرجوع لا يكون إلا مع الإفناء والإعادة، ومن حق من كانت هذه حاله أن يكون متأهباً للرجوع إلى مولاه ليعلم كنه حاله فيما أمره به، ونهاه عنه.
[95] ومدحه قوم في وجهه، فقال:
(اللَّهُمَّ، إنك أعلم بي من نفسي): أكثر إحاطة بها مني، وأعرف بأحوالها.
(وأنا أعلم بنفسي منهم): أكثر إحاطة بها من غيري.
(اللَّهُمَّ، اجعلنا(3) خيراً مما يظنون): مما يسبق إلى نفوسهم من اعتقاد الخير وظنه.
(واغفر لنا(4) ما لا يعلمون!): من الذنوب التي تعلمها.
[96] (قضاء الحوائج لا يستقيم(5) إلا بثلاث): أراد أن المعتبر في قضاء الحوائج لمن أراد أن يقضيها هو ما نذكره الآن من هذه الخصال:
(باستصغارها): من جهة من طلبت منه، فإنه إذا صغرها في عينه لم يعجز عن قضائها.
(لتعظم): في عين من طلبها عند قضائها.

---

(1) وإنا، زيادة في شرح النهج.
(2) في شرح النهج: إقرار على أنفسنا بالهلك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(3) في شرح النهج: اجعلني، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(4) في شرح النهج: لي، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(5) في (ب): لا تستقيم.



---

(وباستكتامها): وبأن يكتمها من يطلبها ليكون ذلك أقرب إلى قضائها، وفي الحديث: ((استعينوا على أموركم بالكتمان))(1).
(لتظهر): بعد أن تكون مقضية(2) يظهرها صاحبها.
(وبتعجيلها(3)): من جهة المسؤول لها.
(لتهنأ): لأن تعجيلها يكون أدخل لا محالة في المسرة بها، والمماطلة فيها تكون أدخل في تنغيصها وتكديرها، واللام في قوله: لتعظم، ولتظهر، ولتهنأ لام التعليل، وأراد أن الداعي إلى عظمها وظهورها

وهنائها هو الاستصغار والاستكتام والتعجيل، كما تقول: قمت لتقوم، والمؤثر في وجود هذه الأشياء هو ما اتصلت به اللام.

[97] (يأتي على الناس زمان): يشير إلى أنه ليس الزمان الذي هو فيه.

(لا يُقَرَّبَ فيه إلا الماحل): المحل هو: المكر والكيد.

(ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجر): ظرَّفه إذا نسبه إلى الظرف والكياسة، أي لا يقال لأحد هو ظريف إلا من كان فاجراً.

---

(1) الحديث بلفظ: ((استعينوا على حاجاتكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود)) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 258/18 في شرح قصار الحكم الحكمة رقم (97)، وهو بلفظ: ((استعينوا على حوائجكم بالكتمان)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف508/1 وعزاه إلى حلية الأولياء 215/5، والتمهيد لابن عبد البر 152/10، وله فيها عدة شواهد انظرها هناك، ورواه العلامة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار 228/3، في سلسلة الإبريز رقم(7) بلفظ: ((استعينوا على الحوائج بالكتمان)) وقال: أخرجه العقيلي، وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية.

(2) في (ب): منقضية.

(3) في شرح النهج: وبتعجلها.

*(2106/6)*

---

(ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المنصف): ضعفه إذا نسبه إلى الضعف والمهانة، وأراد أن كل من أنصف من نفسه الحق وأداه قيل: إنه ضعيف لا يقدر على الانتصاف.

(يعدون الصدقة فيه غرماً): المغرم والغرم: ما يلزم أداؤه، وأراد أنهم لا يؤدونها صدقة، وإنما هي ثقيلة عليهم تأديتها، ليس تسمح بها أنفسهم.

(وصلة الرحم مَنَّاً): يمنون بالصلة على أرحامهم، ليس يأتون بها على جهة(1) القربة إلى الله تعالى.

(والعبادة استطالة على الناس): تعاظم على الناس، وتفاخر بما كان منهم من العبادة.

(فعند ذلك): الإشارة إلى وجود ما كان من هذه الخصال.

(يكون السلطان بمشورة الإماء(2)): أراد يكون تدبير الأمر وسياسة الدولة بمشورة الجواري والنسوان.

(وإمارة الصبيان): ويتأمَّر فيه أهل الحداثة في السن، ومن لا عقل له من الصبيان.

(وتدبير الخصيان): أي ويدبر الأمر في ذلك الخصيان، وهم جمع خصي، وهو الذي ذهب أنثياه،

وقد جاء هذا في زمان بني أمية، وأكثر جريه في زمن(3) الدولة العباسية، ولهذا قال الأمير أبو فراس:

بنو علي غراثى في بيوتهمُ

والأمرُ تملكُه النسوانُ والخدمُ

ويحكى أن الجارية المسماه شارية كانت لإبراهيم بن المهدي، ولما مات ابتاعها المعتصم بثلاث مائة ألف درهم، ثم تملكها بعده جماعة منهم كالواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعين، والمهتدي، والمعتمد، وكان يحبها محبة شديدة، ويحكى أنها غنته أبياتاً من الشعر فوهب لها(4) ألف ثوب من الثياب النفيسة.

[98] ورئي يوماً على أمير المؤمنين إزار مرقوع، فقيل له في ذلك، فقال:

(يخشع له القلب): الخشوع هو : الخضوع.

---

(1) في (ب): وجه.

(2) في (ب): الإماه.

(3) في (ب): زمان.

(4) في (ب): فوهبها.

*(2107/6)*

---

(وتذل له النفس): تصغر عن أن تكون متكبرة.

(ويقتدي به المؤمنون): يكون قدوة لهم؛ لأن كل من كانت له هذه المكانة في الدين والزهد والورع كأمير المؤمنين فهو حقيق بالاقتداء.

[99] (إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان): يعني أنهما لا يجتمعان، وهما متضادان كتضاد الأعداء واختلافها.

(وسبيلان مختلفان): يريد طريقان لا يشبه أحدهما الآخر.

(فمن أحب الدنيا وتولاها): أرادها وسالمها، ووالاها، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}[المائدة:56]، أي يواليهما.

(أبغض الآخرة وعاداها): كرهها وكان في جانب منها، كما يكون العدو في جانب من عدوه.

(وهما بمنزلة المشرق والمغرب): في التباعد.

(وماش بينهما): ورجل يمشي بينهما.
(كلما قرب من واحد بعد من الآخر): إذ لا فاصل بينهما في ذلك.
(وهما بعد ضَرَّتان): أي بعد ذلك الذي وصفته من حالهما بمنزلة الضرَّتين، [ما أرضى أحدهما أغضب الأخرى، والضرَّتان هما: الزوجتان للرجل الواحد، سميتا ضَرَّتين](1) لما في أحدهما من الإضرار بصاحبتها.
[100] وعن نوف البكالي(2):

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(2) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي، المتوفى بعد سنة 90هـ، أبو زيد أو أبو رشيد، أحد العلماء الأعلام النابغين، أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن خواصه، يروي نوف عن أمير المؤمنين، وأبي أيوب، وثوبان، وكعب الأحبار وغيرهم، وعنه شهر بن حوشب، وأبو عمران الجوني، وسعيد بن جبير وغيرهم. (انظر معجم رجال الاعتبار ص447 ت(888)).

*(2108/6)*

---

بالباء الموحدة، وبِكَال(1): اسم قبيلة من حمير، وهم رهط نوف صاحب أمير المؤمنين، وروايته بالنون تصحيف، وهو بالنون مأخوذ من قولهم: رجل نكل إذا كان قوياً مجرباً، وفي الحديث: ((إن الله يحب النَّكَلَ على النَّكل(2))) يعني الرجل القوي المجرِّب(3) على الفرس القوي المجرَّب.
(قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه، وقد نظر إلى النجوم، فقال: يا نوف، أراقد أنت أم رامق؟): والرامق هو: المستيقظ.
(فقلت: بل رامق يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف، طوبى للزهاد(4) في الدنيا): التاركين لها بقلة الرغبة فيها، يقال: زهد في هذا إذا كانت رغبته فيه قليلة.
(الراغبين في الآخرة): رغب في كذا إذا كثرت إرادته له.
(أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً): يشير إلى أنهم ليس لهم فراش(5) يبسطونه سواها.
(وترابها فراشاً): يفترشونه لا فراش لهم غيره.
(وماءها طيباً): لا طيب لهم سواه.

---

(1) بُكَال: عزلة من ناحية الجَبى، وأعمال ريمة، قال المقحفي في معجم البلدان والقبائل اليمنية ص82: إليها ينسب نوف بن فضالة البكالي التابعي، المتوفى سنة95هـ/714م، وكان من رجال الحديث.

(2) الحديث أورده ابن الأثير في النهاية 166/5، فقال: وفيه: (( إن الله يحب النكل على النكل)). قيل: وما ذاك؟_ ... _قال: ((الرجل القوي المجرب المبدئ المعيد على الفرس القوي المجرَّب))، قال في شرح الحديث: النكل بالتحريك من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد، وانظر مختار الصحاح ص679.

(3) في (ب): المجرب القوي.

(4) في شرح النهج: للزاهدين.

(5) في (أ): ليس فراش لهم.

*(2109/6)*

---

(والقرآن شعاراً): الشعار من اللباس: ما يلي الجسد(1)، وأراد أنهم لاصقوا به قلوبهم وجعلوه شعاراً لها(2).

(والدعاء دثاراً): وابتهالهم إلى الله دثاراً، والدثار: ما فوق الشعار من الثياب، فكأنه عليه السلام جعل اختصاصهم بالقرآن أعظم، وملابستهم له أتمَّ وأبلغ؛ لما فيه من النفع في القلوب والشفاء للصدور.

(ثم قرضوا الدنيا قرضاً): قرضه الله إذا قطعه، ومنه المقراض؛ لأنه يقطع به، وأراد أنهم ساروا في آفاقها، وقطعوا جهاتها للتفكر والنظر.

(على منهاج المسيح): سالكين لطريقته في ذلك، فإنه يحكى أنه سمي(3) المسيح؛ لسيره في الأرض ومسحه لها، ويقال أيضاً: إن المسيح لقب من الألقاب الشريفة، وأصله مشيحاً بالعبرانية، ومعناه المبارك(4).

وحكي عنه أنه قال: دابتي رجلاي، وسراجي الشمس والقمر، وطعامي ما أنبتت الأرض.

(يا نوف، إن داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل، فقال: إنها ساعة لايدعو فيها أحد(5) إلا استجيب له إلا أن يكون عشَّاراً): وأراد بالعشَّار، من يأخذ عشر مال المارة في الطريق، أو يأخذ في البلد عشر مال الطارئ(6) كما يفعله الظلمة في زماننا هذا.

(أو عريفاً): هو الشيخ للبلد، والنقيب على أهلها، وفي الحديث: ((لكل قرية عريف، والعرفاء في النار)).

(أو شرطياً): الشرط: أعوان الظلمة، سموا بذلك من جهة أن الشرط هو العلامة، وهم قد جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، الواحد منهم: شرطي.

---

(1) في (أ): الجسم.

(2) لها، سقط من (ب).

(3) في (ب): يسمى.

(4) الكشاف 390/1.

(5) في شرح النهج: عبد، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(6) الطارئ: الغريب.

*(2110/6)*

---

(أو صاحب عَرْطَبَةٍ): بفتح العين، والعرطبة: هي الطبل يضرب عند اللهو والطرب، وقيل هو: البربط(1).

(أو صاحب كوبة): وهي الطبل أيضاً.

[101] (إن الله افترض عليكم فرائض): أوجب واجبات من جهة العبادات ومن غيرها كالصلاة والزكاة والحج وسائر العبادات، وفي المعاملات أيضاً، وهو ما أوجب في المعاوضات وفي غيرها، مما هو مدون في كتب الفقهاء.

(فلا تضيعوها): بالإهمال والترك.

(وحدَّ لكم حدوداً): أراد وحرَّم محرَّمات كالقتل والزنا والربا، وغير ذلك من أنواع المحرَّمات.

(فلا تعتدوها): تُجاوزوها بالفعل والإقدام عليها.

(ونهاكم عن أشياء): منعكم عنها بالنهي.

(فلا تنتهكوها): انتهاك الحرمة: تلقيها بالهتك وإبطالها، واشتقاقه من: نهكه المرض إذا أبطل قوته وأذهبها.

(وسكت لكم عن أشياء): لم يذكرها لكم.

(ولم يدعها نسياناً): لأنه عالم بكل المعلومات.

(فلا تتكلَّفُوها): تُحمِّلوها أنفسكم، وتُشِقوا بها على أبدانكم.

سؤال؛ ما هذه الأشياء التي سكت عنها، وطوى علمها عنَّا، ونهانا عن تكلفها؟

وجوابه؛ أن ها هنا أشياء لا تعلق لها بمصلحة التكليف، فلا حاجة بنا إلى البحث عنها، وهذا نحو الخوض في كمية ما مضى من عمر الدنيا، وكم مقدار عمرها، ونحو التطلع إلى العلم بأن الملائكة أفضل أو الأنبياء، ونحو إعمال الفكرة فيما يحدث في الأرض من الحوادث، وغير ذلك مما لا مدخل للتكليف فيه، فمثل هذا لاحاجة لنا إلى البحث عنه.

[102] (لا يترك الناس شيئاً من دينهم): يهملونه ويطرحونه.

(لاستصلاح دنياهم): لإصلاحها واستقامتها.

(1) البريط: العود، معرَّب بربط أي: صدر الإوز؛ لأنه يشبهه (القاموس المحيط ص850).



(إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه): أدخل في المشقة وأعظم في التعب، والضمير في قوله: منه للمتروك من الدين.

[103] (رب عالم قتله جهله): كان سبب هلاكه من جهة جهله.

(وعلمه معه لا ينفعه): والمراد بهذا هو من يعلم(1) علماً لا ينفعه، وجهل ما يضره جهله به، وهذا نحو من يشتغل بعلم الحساب والطب والنجوم والهندسة، ويترك العلم بأصول الديانة وما يتوجه عليه من العلم بأحكام الشريعة واجبها ومحرمها، وغير ذلك.

[104] (لقد عُلِّق بنياط هذا الإنسان): النياط: عرق علق به القلب فإذا قطع مات صاحبه.

(بَضْعَةٌ): البَضْعَةُ: القطعة من اللحم بالفتح، وفي الحديث: ((فاطمة بَضْعَةٌ مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها))(2).

(هي أعجب ما فيه): أدخل في الإعجاب من سائر الأعضاء.

(وذلك القلب): الإشارة إلى ما في قوله: هي أعجب ما فيه.

اعلم: أن القلب هو أمير أعضاء الجسم والمطاع في تصرفاتها، ولفظ القلب يطلق ويراد به معنيان: أحدهما: عبارة عن المضغة المشكلة على صورة الصنوبرة، وموضعه الجانب الأيسر من الصدر، وفي باطنه تجويف يحصل فيه دم أسود.

(1) في (ب): هو أن من يعلم.

(2) رواه الحاكم الجشمي رحمه الله في تنبيه الغافلين ص65 بلفظ: ((فاطمة بَضْعَةٌ مني، يريبني ما رابها))، ورواه في لوامع الأنوار 29/3 وقال فيه ما لفظه: وفي الإصابة لابن حجر ما لفظه: وفي الصحيحين عن المسور بن مخرمة، سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((فاطمة بَضْعَةٌ مني، يؤذيني ما آذاها، ويريبني ما يريبها)). انتهى. وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 552/5.

وثانيهما: أن يكون عبارة عن هيئة لطيفة لمكانها يكون عالماً بالله(1) وبصفاته، مدركاً للمعقولات، عارفاً بالحقائق، وهو أرقُّ الأعضاء وألطفها، وبهذه اللطيفة تميز الإنسان عن سائر الحيوانات؛ لأن المضغة اللحمية موجودة في البهائم، وفي الحديث: ((في جسد ابن آدم مضغة إذا صلحت صلح لها سائر البدن ألا وهي القلب))(2)، ولعظم مكانه وشرف محله وجلالة قدره غلا فيه بعض الصوفية، وقال: القلب هو(3): العرش، والصدر هو: الكرسي، وجميع ما ورد من الأحاديث في القلب إنما تناوله بالمعنى الثاني دون الأول، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ}[ق:37]، وقوله تعالى: {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[الحج:46].

وفي الحديث: ((القلوب أربعة:

قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس، فذلك قلب الكافر.

وقلب أغلف مربوط، فذلك قلب المنافق.

---

(1) في (ب): يكون بالله عالماً.

(2) الحديث بلفظ: ((إن في الجسد لمضغة إذا سلمت سلم الجسد كله، وإن سقمت سقم الجسد كله ألا وهي القلب))، رواه في مسند شمس الأخبار 397/1 الباب (67) عن النعمان بن بشير، وعزاه إلى أمالي السمان، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه ابن السني، وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في الشعب، عن النعمان بن بشير، ولفظه: ((إن في الرجل مضغة إذا صحت صح لها سائر جسده، وإذا سقمت سقم لها سائر جسده، قلبه)).

(3) في (ب): هي.

*(2113/6)*

---

وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدُّها الماء الطيب، ومثل النفاق كمثل القرحة يمدُّها القيح والصديد، فأي المدتين غلبت حكم له بها))(1).

(له موادٌّ(2) من الحكمة): إمدادات من حكمة الله تعالى، أي لطائف خصه بها وجعله حاصلاً عليها، يريد صفات كاملة.

(وأضداد من خلافها): يشير بذلك إلى أن الإنسان في أصل فطرته وتركيبه قد اجتمع فيه خصال محمودة ومذمومة.

فأما الخصال المحمودة فبما فيه من العفو والصفح، والحلم، وكظم الغيظ، وإسداء المعروف، وحسن الخلق، وطيب المعاشرة، ولين العريكة، والإيثار، يشبه في ذلك أخلاق الأنبياء، وبما فيه من إماتة الشهوة، والإعراض عن اللذة، وإيثار الطاعة على المعصية، والانكفاف عنها، والعصمة عن الأشياء

القبيحة، يشبه في ذلك أخلاق الملائكة.

وأما الخصال المذمومة فبما فيه من الغضب يتعاطى أفعال السباع، وبما فيه من الشهوة يتعاطى أفعال البهائم، وبما فيه من تسلط من إيثار الغضب والشهوة يتعاطى أفعال الشياطين من القهر والغلبة والمكر والخديعة، ولهذا قال أمير المؤمنين في كلام له:

(إن لله في أرضه آنية، وهي القلوب، فأحبها إلى الله تعالى(3) أرقَّها وأصفاها وأصلبها).

ثم فسَّر ذلك بقوله:

---

(1) ورد قوله: ((القلوب أربعة: قلب أجرد في مثل السراج)) في موسوعة الأطراف748/5 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 17/3، ومجمع الزوائد 63/1، وإتحاف السادة المتقين 269/2، 230/7، والدر المنثور 87/1، وحلية الأولياء 385/4 وإلى غيرها انظرها فيها، وورد فيها أيضاً قوله: ((القلوب أربعة: قلب أغلف)) وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 269/2، 230/7.

(2) في شرح النهج: وذلك أن له موادَّ ...إلخ.

(3) تعالى، سقط من (ب).

*(2114/6)*

---

(أصلبها في الدين، وأصفاها في اليقين، وأرقَّها على الإخوان)، إلى غير ذلك من شرح عجائب القلب وحقائق أسراره، فصار بحكمة الله تعالى ولطيف صنعه، ودقيق إتقانه مختصاً بهذه الصفات من بين سائر الأعضاء.

(فإن سنح له الرجاء): عرض له الرجاء لكل ما يرجوه من الأغراض والمقاصد، ونيل الشهوات العظيمة.

(أذله الطمع): صار ذليلاً مستصغراً لمكان ما علق بقلبه من تخيل الأطماع.

(وإن هاجه(1) الطمع): أثار داعيته، وأزعجه.

(أهلكه الحرص): أفسد حاله المواظبة على الجمع والكسب، وإحراز المنافع، وتهالك في حبها وإيثارها.

(وإن ملكه اليأس): استولى عليه بالملك والقهر، يعني وإن كان اليأس عما في أيدي الخلق مستولياً عليه.

(قتله الأسف): أهلكه التأسف على ما فاته باليأس من ذلك، والندم عليه.

(وإن عرض له الغضب): سنح له من الأمور ما يغضبه ويُحْمي معه مزاجه، وتشتد معه حرارة قلبه.

(اشتد به الغيظ): عظم التلهف في فؤاده من حرارة الغيظ.

(وإن أسعده الرضا): لأحواله وساعده؛ كونه راضياً بما هو فيه من الهيئة في الضيق والسعة.

(نسي التحفظ): أنساه رضاه بحاله عن التيقظ، وملكته الغفلة عمَّا لا بد له منه.

(وإن عاله الخوف): يروى بالعين المهملة، من قولهم: عاله الأمر إذا غلبه، وأراد وإن غلبه الخوف، ويروى بالغين المنقوطة، من قولهم: غاله إذا أخذه من حيث لا يدري، وأراد وإن أتاه الخوف من حيث لا يشعربه.

(شغله الحذر): عن أكثر ما يعاني، وعما لا بد له من الاشتغال به.

(وإن اتسع له الأمن): يريد وإن كان معه فسحة في الأمان من جميع ما يحذره ويخافه.

---

(1) في شرح النهج: وإن هاج به.

*(2115/6)*

---

(استلبته العزة(1)): يروى بالعين المهملة والزاي، أي صار شامخاً بأنفه غير ملتفت، ويروى بالغين المنقوطة والراء من الغرر، أي صار مغتراً بالأمن، ينخدع بأدنى شيء يعرض له.

(وإن أصابته مصيبة): في نفسه أو أهله أو ماله أو قرعته قارعة.

(فضحه الجزع): أظهر مساوئه بشدة(2) أسفه على ما فات من ذلك.

(وإن أفاد مالاً): استفاده وجمعه.

(أطغاه الغنى): تجاوز الحد في المعصية لأجل غناه، وبلغ فيها كل غاية.

(وإن عضته الفاقة): العض بمقدم الأسنان، جعله ها هنا كناية عن شدة الفقر وألمه.

(شغله البلاء): الضر بالحاجة والفقر وصار في شغل به ومكابدته.

(وإن جهده الجوع): شق عليه وآلمه، وصار مثقلاً لطاقته.

(قعد به الضعف): أذهب قواه حتى صار ضعيفاً.

(وإن أفرط به الشبع): تجاوز الحد على قدر الحاجة.

(كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ): كظَّه الأمر إذا أجهده، والْبِطْنَةُ هي: الامتلاء من الطعام، وأراد أتعبه الامتلاء، وفي الحديث: ((ما ملأ ابن آدم وعاء شر(3) من بطنه)).

(فكل تقصير به مضر): به في أحواله لنقصانه عما يصلحه منه(4).

---

(1) في شرح النهج: الغرة.

(2) في (ب): شدة.

(3) في (ب): أشر، والحديث أخرجه من حديث الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص111 رقم (64)

بسنده عن المقدام بن معدي كرب (انظر تخريجه فيه)، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 209/2 من حديث كما في الاعتبار بسنده عنه، وهو من حديث رواه العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار 91/2 عنه أيضاً، وعزاه إلى المجالس برواية السمان، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، والحاكم في مستدركه عن المقدام بن معدي كرب، وحسنه السيوطي. انتهى.

(4) منه، سقط من (ب).

*(2116/6)*

---

(وكل إفراط له مفسد): بالزيادة على مقدار الحاجة، وفي هذا إشارة إلى ضعف حاله.

[105] (نحن النُّمْرُقَةُ الوسطى): النُّمرقة بضم النون وكسرها: وسادة صغيرة ، وربما جعلوها عبارة عن الطنفسة التي فوق الرحل، قال الله تعالى: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}[الغاشية:15]، والوسط من كل شيء: أعدله وأنفسه وخياره، وعنى بذلك نفسه وأولاده، فإنهم أفضل الناس وأعدلهم سيرة.

(بها يلحق التالي): أي التابع.

(وإليها يرجع الغالي(1)): المجاوز للحد في أمره، وأراد أن التابع لنا يلحق بنا ويكون من جملتنا ممن يكون موالياً(2) لنا، ومن يغلو في محبتنا فإنه يرجع إليها لامحالة، إذ لا مرجع له سواها، ولا يجد ملجأ غيرها، وهذا ظاهر.

وزعم الشريف علي بن ناصر أن المراد من قوله(3): النُّمرقة جعلها كناية عمن يوضع له الرأس على ما يرسمه ويحكم به طاعة وانقياداً له(4)؛ لأن النُّمرقة وسادة يوضع عليها الرأس، وأن المراد من قوله: الوسطى ولايته؛ لأنها(5) متوسطة بين الرسول و[بين](6) من بعده من أولاده(7)، وهذا من التعسفات الباردة(8)، والتحكمات الجامدة، ويكاد أن يكون كالرقم على الماء، والكتابة على الهواء.

---

(1) من الغلو، (هامش في ب).

(2) في (أ): متوالياً.

(3) في (ب): بقوله.

(4) لفظ الشريف علي بن ناصر في (الأعلام) –خ-: ولعله كنى بالنمرقة عمن يوضع الرسم على ما يرسم ويحد طاعة وانقياداً له، لأن النمرقة وسادة يوضع الرأس عليها.

(5) في النسخ: لأنه، وأثبته من هامش (ب) حيث ظنن ذلك فيه بقوله: ظ: أنها، وهي سقط من أعلام النهج.

(6) سقط من (ب).

(7) في (الأعلام): الأئمة، (انظر أعلام نهج البلاغة) –خ–.

(8) في (ب): النادرة.

*(2117/6)*

---

[106] (لايقيم أمر الله): حدوده وأوامره ونواهيه.

(إلا من لا يصانع): المصانعة: الرشوة.

(ولا يضارع): المضارعة: الخضوع المفرط والذلة، وضرع الرجل ضراعة إذا خضع وذل.

(ولا يتبع المطامع): جمع مطمع، وهو: الشيء يرجى حصوله.

[107] وقال وقد توفى سهل بن حنيف الأنصاري(1) صاحب رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بالكوفة [بعد](2) مرجعه [معه](3)من صفين، وكان من أحب الناس إليه:

---

(1) هو سهل بن حنيف بضم المهملة مصغر الأنصاري الأوسي، المتوفى سنة38هـ، أبو أمامة، بدري، شهد المشاهد كلها، وكان ممن بايع على الموت وثبت يوم أحد، ثم صحب عليًّاعليه السلام من حين بويع له، واستخلفه على المدينة حتى صار إلى البصرة، وشهد معه صفين، وولاَّه فارس، ثم مات بالكوفة، وصلى عليه علي عليه السلام وكبَّر عليه ستاً، فقال: إنه كان بدرياً. (انظر لوامع الأنوار 96/3).

(2) بعد، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(3) معه، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

*(2118/6)*



---

(لو أحبني جبل لتهافت): التهافت هو: التساقط قطعة قطعة، والمعنى في هذا هو أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار، وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً(1)))، فإن هذا الحديث(2) قد حمل على أوجه خمسة:

---

(1) إلى هنا من قوله: أن المحنة تغلظ عليه، هو من كلام الشريف الرضي رحمه الله في النهج.

(2) رواه الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام موقوفاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام، في كتاب الإيضاح من مجموع كتبه ورسائله 190/1، وقوله: هنا: فليستعد، فيه: فليعد، وأخرج قريباً منه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 158/1-159 بسنده عن محمد بن منصور المرادي، قال: حدثنا القاسم بن إبراهيم عن أبيه عليهما السلام، قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال: يا ابن رسول الله، قول رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وقد جاءه رجل فقال: إني أحبك وأهل بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فاستعد للفقر جلبابا)) ما ذلك الفقر؟ فقال علي بن الحسين عليهما السلام: هو الفقر إلى الله عز وجل، فلو جعلت الدنيا بحذافيرها لمؤمن ما فرح بها، ولو صرفت بكليتها ما حزن عليها، وإن أولياء الله لا يسكنون إلى شيء دونه. انتهى. وأورده ابن الأثير في النهاية 283/1 لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وكذلك أورده ابن منظور في لسان العرب 478/1.

*(2119/6)*

---

أولها: ما ذكره السيد الرضي رضي الله عنه، وهو أن المصائب تكون مسرعة إليه، الفقر وغيره من أنواع المحن اختياراً من الله تعالى واصطفاء له(1).

وثانيها(2): ما قاله أبو عبيد: وهو أن المراد من أحبَّنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والقرب إلى الله تعالى، ولم يرد الفقر في الدنيا، فإنَّا(3) نرى كثيراً ممن يحبهم مثل ما نراه في سائر الناس من الغنى والفقر.

وثالثها: ما ذكره ابن قتيبة(4): وهو أن من أحبنا فليصبر على التقلل في الدنيا والتقنع فيها.

---

(1) لفظ الشريف الرضي رحمه الله في شرح النهج 275/18 في شرح قوله: ((لو أحبني جبل لتهافت)): ومعنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه، فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار، المصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله عليه السلام: ((من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً))، وقد يؤوَّل ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره. انتهى

(2) في (ب): وثانيهما.

(3) في (ب): فإنه يرى ...إلخ.

(4) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة 276هـ، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد، وسكن الكوفة، وتوفي ببغداد، ومن مصنفاته: تأويل مختلف الحديث، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، والإمامة والسياسة، وتفسير غريب القرآن، وغريب الحديث وغيرها. (انظر الأعلام 137/4).

*(2120/6)*

---

ورابعها: ما قاله المرتضى(1): وهو أن من أحبنا فليزم(2) نفسه وليقدها إلى الطاعات، وليذللها على الصبر على ما تكرهه، واشتقاقه من الفقر وهو أن يخزم أنف البعير فيلوي عليها حبل، يذلل به ما يصعب منها، والجلباب هو: الثوب.

---

(1) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم [355-436هـ] أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، يقول بالاعتزال، مولده ووفاته ببغداد، له تصانيف كثيرة منها: الغرر والدرر ويعرف بأمالي المرتضى، ومنها الشافي في الإمامة، والمسائل الناصرية في الفقه وغيرها. (انظر الأعلام 278/4).

(2) في (ب): فليلزم.

*(2121/6)*

---

وخامسها: ما قاله السيد علي بن ناصر صاحب (الأعلام): وهو أن الفقر ها هنا من الفاقرة وهي الداهية، يقال: فقرته الفاقرة -أي كسرت فَقَارَ ظهره(1)-، وتقدير الكلام: من أحبنا فليعد من أجل فقر الدواهي التي يوجهها إليه أعداء أهل البيت، جلباباً أي لباساً يقيه منها(2)؛ لأن محبنا أهل البيت يكون دائماً يكابد الأعداء ويقاسي بغضاءهم وكيدهم له، فهذه أقاويل في تأويل هذا الحديث(3)، وكله لا يخلو عن ضرب من التعسف، والأخلق هو الجري على ظاهر الحديث من غير حاجة إلى ما قالوه، وهو أن المراد أن ذلك جارٍ على الأغلب، فإن الغالب في محبِّ أهل البيت الفقر والفاقة، كما أن الغالب من حال أهل البيت الفقر، ومن أحبَّ قوماً فهو منهم، وحاصلاً(4) على مثل صفاتهم، ويؤيد ما ذكرناه قولهصلى الله عليه وآله وسلم: ((اللَّهُمَّ، اجعل رزق(5)

---

(1) بعده في (الأعلام): والجلباب: الثوب الواقي.

(2) أعلام نهج البلاغة -خ-.

(3) ذكر هذه الأقاويل كلها الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام النهج -خ-.

(4) في (ب): وحاصل.

(5) في (ب): اللَّهُمَّ ارزق...إلخ، والحديث بلفظ: ((اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا كفافاً))

أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 159/8 وعزاه إلى مسلم2281،730، وسنن الترمذي 2361، وسنن ابن ماجة 4139، والسنن الكبرى للبيهقي150/2، 46/7، وإتحاف السادة المتقين 152/8، 283/9 وعزاه أيضاً إلى غيرها. وبلفظ: ((اللهم ارزق آل محمد كفافاً)) في المصدر المذكور 169/8 وعزاه إلى كنز العمال(16673)، وإتحاف السادة المتقين 152/8، وجمع الجوامع 9754.

_ ... _قلت: وله شاهد رواه من حديث القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار 367/1 في الباب (61) عن جعفر، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((اللهم ارزق محمداً وآل محمد، ومن أحب محمداً وآل محمد العفاف والكفاف)) إلى آخر الحديث، وعزاه إلى كتاب الذكر لمحمد بن منصور المرادي رحمه الله. (وانظر تخريجه فيه).

*(2122/6)*

---

أهل محمد كفافاً))، وهكذا حال من أحبهم الغالب عليه الفاقة(1).

[108] (لا مال أعود من العقل): أراد أنه يعود على صاحبه إذا كان مستعملاً له بالخيرات في الدنيا والآخرة، ويكفيه عند استخدامه له جميع المضار، وذلك نعم الفائدة.

(لا وحدة أوحش من العجب): يريد أن من كان معجباً بأفعاله فإنه يدعي أنه لا أحد يفعل مثل فعله فهو معتقد للوحدة، ولا شك أن الوحشة ملازمة للوحدة وكائنة معها، فلهذا قال: لاوحدة يستوحش منها مثل العجب، يشير إلى ما قلناه.

(لا عقل كالتدبير): يشير إلى أن التدبير هو أعظم العقل وأعلاه لما فيه من إصلاح المعيشة وإتقانها.

---

(1) ويقول الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام في مجموع كتبه ورسائله 190/1-191 في كتاب الإيضاح، في تفسير الحديث: ((من أحبنا أهل البيت ...إلخ)) ما لفظه: إنه لا يحب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مؤمن تقي، مطيع لله في ذلك زكي، فإذا كان كذلك ذخر الله عزّوجّل له الآخرة ومنعه الدنيا، لأن الله سبحانه لم يرضها لأحد من أوليائه، أما تسمع كيف يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله يذود العبد المؤمن عن الدنيا، كما يذود الراعي الشفيق إبله مراتع السوء)) فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما قد بلغك من تضايق الحال، فتلك حال من كان من ولده صالحاً، فمن أحبهم كان حاله كحالهم، يزوي الله سبحانه عنه ما يزويه عنهم، ويذخر له من الكرامة ما يذخر لهم، وقد قال قوم:

إن معنى هذا الحديث عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه أراد: أن يتخذ لفقر الآخرة، وما يحتاج إليه فيها، أهبة بهذه المحبة، وما قد لبس منها وعرف به. انتهى.

*(2123/6)*

---

(ولا كرم كالتقوى): يعني أنها من أعظم خصال الكرم، كما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات:13].

(لا قرين كحسن الخلق): القرين هو: المقارن المصاحب الملازم، وأراد أنه لا يلازم الإنسان أعظم من حسن الخلق، فإنه نعم ما يقارن من الخلائق(1) العالية الشريفة.

(لا ميراث كالأدب): فإنه أحسن ما يخلفه الإنسان، ويرثه بعده من خلفه.

(لا قائد(2)): إلى الأعمال الصالحة، أو إلى رضوان الله، أو إلى الجنة.

(كالتوفيق): لذلك كله.

(لا تجارة(3) كالعمل الصالح): فإنها تجارة لا يخشى كسادها، ولا بوار بضاعتها.

(ولا ربح كالثواب): فإنه لا نهاية لأمده، ولا غاية لسرمده مع اشتماله على شريف المنافع، ورفيع الدرجات.

(لا ورع كالوقوف عند الشبهة): لأنه ورع الصالحين المؤمنين، وفي الحديث: ((الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك مشتبهات))(4).

(لا زهد كالزهد في الحرام): يريد أن الزهد فيه سلامة للدين عن إهماله، وفرار(5) عن النار، ولا شيء أعظم فائدة من ذاك(6).

(ولا علم كالتفكر): أراد إما لأنه يؤدي إلى العلم بالصانع وصفاته، والعلم بحكمته وصدق أنبيائه، وهذا هو أعظم العلوم وأعلاها، وإما لأن ما يحصل عقيبه(7) من العلوم في غاية الرصانة والتحقق، وليس كالظنون والحسبانات والأوهام.

---

(1) في (ب): الأخلاق.

(2) في (ب): لا فائدة.

(3) في (ب): ولا تجارة.

(4) أخرجه من حديث بسنده عن النعمان بن بشير الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص515 برقم(694)، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 63/3.

(5) في (ب): وفراراً.

(6) في (ب): ذلك.

(7) في (ب): عقبه.

(2124/6)

---

(لا عبادة كأداء الفرائض): لأنها(1) أعلاها رتبة، وأقربها إلى تحصيل رضوان الله تعالى، فإن باقي العبادات لا يضر تركها، وما كان واجباً فتركه فيه العقاب لا محالة.

(ولا إيمان كالحياء والصبر): فإنهما الإيمان كله، أو لأنهما أعظم قواعده وأقوى أركانه.

(لا حسب كالتواضع): لأن بعلو الحسب وارتفاعه تعلو رتبة الإنسان، وتواضعه أيضاً فيه غاية العلو والرفعة.

(لا شرف كالعلم(2)): لأنه يشرف به كل أحد شريفاً كان أو وضيعاً.

واختصم إلى ابن عباس في أن المال أفضل أو العلم؟

فقال: العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة.

(لامظاهرة): التظاهر هو: التعاون والتعاضد.

(أوثق من المشاورة): ولهذا أمر الله نبيه بها(3) في قوله: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}[آل عمران:159]، وهو المؤيد بالوحي من السماء، فكيف حال غيره في ذلك!

[109] (إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله): يعني كان الصلاح والأمانة هو الأغلب عليهم والديانة.

(ثم أساء رجل الظن برجل): إساءة الظن هي: التهمة في الدين، وأراد فاتهمه في أمور الديانة.

(لم تظهر منه حربة(4)): أي فساد ولصاصة، والحارب هو: اللص(5).

(فقد ظلم): أي أساء بالتهمة.

(وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله): كان هو الأغلب فيهم.

(فأحسن رجل الظن برجل فقد غرَّر): أي حمل نفسه على الغرور، وهو الخطر في الدين.

[110] وقيل له عليه السلام: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟

---

(1) في (أ): لأنه.

(2) بعده في شرح النهج: ولا عز كالحلم.

(3) في (ب): أمر الله بها نبيئه.

(4) في (ب): خزية، و في شرح النهج: حوبة.

(5) العبارة في (ب): أي فساد لصاحبه، والخازي هو: اللص.

فقال: (كيف يكون حال من يفنى ببقائه): أي كيف حال من يكون بقاؤه في الدنيا وتعمره فيها طريق إلى ذهابه وانقطاعه عنها.

(ويسقم بصحته): وتكون صحته طريقاً إلى سقمه.

(ويؤتى من مأمنه): أي ويؤخذ في حال كونه آمناً من حاله بالموت.

[111] وقال عليه السلام:

(كم من مستدرج بالإحسان إليه): كم هذه هي الخبرية، وأراد كثير ممن يتواتر عليه الإحسان من الله بالنعمة والعافية والإمداد بالأموال على جهة الاستدراج له إلى النار ليزداد بذلك كفراً وتمادياً في المعصية.

(ومغرور بالستر عليه): وكم من مخدوع بالستر من جهة الله تعالى عليه، يسبل الله تعالى عليه ستره(1)، فيكون ذلك ذريعة إلى تهالكه في المعصية وإغراقه فيها.

(ومفتون بحسن القول فيه): يريد كم من واحد إذا أثني عليه كان ذلك سبباً للفتنة والضلالة، إما بالإعجاب بنفسه وحاله، وإما بالتكبر والتفاخر على غيره أو بغير ذلك من أنواع الهلكة.

(وما ابتلي أحد بمثل الإملاء): لما فيه من الانخداع والغرور، ولهذا قال تعالى: {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}[الأعراف:183]، كما قال تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ}[المؤمنون:56.55].

[112] (هلك فيَّ رجلان): أي بسببي ومن أجلي.

(محب غال): رجل غلا في محبته حتى هلك، كالذين اعتقدوا فيه صفات الإلهية، والذين ذهبوا إلى أنه أفضل من الرسول، وأنه ناسخ للشرائع إلى غير ذلك من الهذيان.

(ومبغض قالٍ): ورجل أفرط في بغضي حتى كفرني، وأخرجني عن(2) الدين بضلاله وبغضه.

[113] (مثل الدنيا كمثل الحية): شبهها بالحية.

---

(1) في (ب): يسبل الله تعالى ستره عليه.

(2) في (ب): من.

(لين مسها): يشير إلى ما فيها من النضارة واللذة والإعجاب بحالها.

(والسم القاتل(1) في جوفها): يريد من اعتلق بها وانغمس في تحصيل لذاتها، وسارع إلى الوقوع في شهواتها.

(يهوي إليها الغر الجاهل): يريد أنه يسارع إليها من غلب عليه الجهل والاغترار بها.

(ويحذرها ذو اللب العاقل): ويمتنع من خدعها وغرورها من كان ذا عقل وبصيرة.

[114] وسئل عن قريش فقال:

(أما بنو مخزوم): وهم رهط الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي جهل بن هشام.

(فريحانة قريش): هم في قريش بمنزلة الريحان في الأشجار.

(تحب حديث رجالهم): لما فيه من الحلاوة والفصاحة، وحسن المعاني.

(والنكاح في نسائهم): للكمال فيهنَّ، وطيب المعاشرة.

(وأما بنو عبد شمس): رهط معاوية وعثمان.

(فأبعدها رأياً): إما أن(2) يريد عن الإصابة، وإما أن يريد ليس الرأي يؤخذ منهم على جهة السرعة، يشير بذلك إلى كثرة الغباوة، وعدم الذكاء والكياسة فيهم.

(وأمنعها لما وراء ظهورها): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بذلك النجدة والشجاعة وشدة الاحتماء، والتعطف، وهذا هو الأقرب.

وثانيهما: أن يريد بذلك الإشارة إلى بخلهم وكثرة ضنتهم بما في أيديهم من المال.

(وأما نحن): يعني بني هاشم.

(فأبذل لما في أيدينا): يعني أنهم كرماء لايخبئون شيئاً يقدرون عليه.

(وأسمح عند الموت بنفوسنا): يشير إلى كثرة الشجاعة فيهم.

(وهم أكثر): في العدد.

(وأمكر): وأكثر مخادعة.

(وأنكر): إما للمعروف، وإما للدين ولما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(ونحن أفصح): ألسنة.

(وأنصح): لله، ولرسوله، وللمسلمين، ولمن استنصحنا.

(وأصبح): أحسن خلوقاً، وأكمل رجالاً.

---

(1) في شرح النهج: الناقع.

(2) أن، زيادة في (ب).

[115] (شتان بين عملين(1)): تباينا وافترقا(2)، وشتان هذه من أسماء الأفعال، والكثير فيه: شتان زيد وعمرو، وقد روي: شتان ما بين الزيدين، وأجازه بعضهم ومنعه آخرون، فأما شتان بين زيد وعمرو، وشتان بين عملين كما قاله ها هنا، فهو غير مسموع، مع بعده عن القياس والاستعمال.

(عمل تذهب لذته، وتبقى تبعته): يعني عمل الدنيا، فإنه يفنى نعيمها، ويبقى ما يتبع منها من العقاب على تلك الأفعال(3).

(وعمل تذهب مؤونته، ويبقى أجره): يزول ثقله، ويبقى ما كان مستحقاً عليه من الثواب، وهذا هو عمل الآخرة، وأراد شتان ما بين عمل الدنيا وعمل الآخرة.

[116] وتبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال:

(كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب): يعني لو تحققنا الحال في ذلك ما كان منا لهو ولا طرب.

(وكأن الذي نرى من الأموات(4) سفر): مسافرون ليسوا أمواتاً.

(عما قليل إلينا راجعون): من أسفارهم.

(نبوئهم أجداثهم): نقررهم في قبورهم.

(ونأكل تراثهم(5)): ما خلفوه ميراثاً.

(قد نسينا كل واعظة(6)): أراد إما الكلمة الواعظة، وإما أن يريد الوعظ نفسه، كقوله تعالى: {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}[الحاقة:8]، أي بقاء، وإتيان المصدر على وزن الفاعل كثير في كلام العرب.

(ورمينا(7) بكل جائحة): آفة مهلكة لنا.

(طوبى لمن ذل في نفسه): عن تعاطي الكبر والفخر والخيلاء.

---

(1) في شرح النهج: شتان ما بين عملين.

(2) في (ب): تبايناً وافتراقاً.

(3) في نسخة: الحال، (هامش في ب).

(4) في (ب): الموتى.

(5) بعده في شرح النهج: كأنَّا مخلدون بعدهم.

(6) في شرح النهج: قد نسينا كل واعظ وواعظة.

(7) في نسخة: وأمنَّا (هامش في ب).

(وطاب كسبه((1)): ما يأكله.

(وصلحت خليقته((2)): حسنت أخلاقه.

(وأنفق الفضل من ماله): ما زاد على قوته وقوت أولاده، وفي الحديث: ((خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى))(3).

(وأمسك الفضل من لسانه): فضلات قوله، وما لاحاجة له في ذكره والنطق به.

(وعزل عن الناس شره): فلا يؤذيهم ولا يسمعون منه ذماً لهم.

(ووسعته السنة): أي كان في جميع أموره وأحواله على سنة رسول الله من غير مخالفة إلى بدعة.

---

(1) بعده في شرح النهج: وصلحت سريرته.

(2) في (ب): خلقته.

(3) رواه الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 2/300-301 من حديث، آخره: ((خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى)) وعزاه إلى الشفاء للأمير الحسين قال: وهو في تجريد جامع الأصول عن جابر، وروى أيضاً حديثاً آخر في ذلك فقال ما لفظه: وفي الجامع الصغير عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول)) قال: رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه البغوي في الصحاح من المصابيح. وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف4/646.

*(2129/6)*

---

(ولم يُنْسَبْ إلى البدعة): يكون مبتدعاً لشيء من البدع المخالفة للسنة المضادة لها: (ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(1)): وهذا هو الصحيح، فإن هذا الحديث مشهور في (الأربعين السليقية(2)).

[117] (غيرة المرأة كفر): المراد أنها تنكر أن يكون لها مشاركة في زوجها، وإنما كانت كفراً؛ لأن فيها إنكار لما أحل الله لكل حر أربع حرائر.

---

(1) في شرح النهج: قال الرضي رحمه الله تعالى: أقول: ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

(2) الحديث في الأربعين السيلقية ص15 الحديث رقم (1) عن أنس بن مالك، واللفظ في الأربعين السيلقية كما يلي: عن أنس بن مالك قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته الجدعاء فقال: ((أيها الناس، كأنَّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنَّ الحَق فيها على غيرنا وجب،

وكأنَّ الذي نشيِّع من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنَّا مخلدون بعدهم، نسينا كل واعظة، وأمِّنا كل جائحة، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية الله، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذلة والمسكنة، طوبى لمن ذلَّت نفسُه، وحسنت خليقتُه، وصلحت سريرتُه، وعزل عن الناس شره، فطوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة)). وأخرجه الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين ص71-72 رقم (26) بسنده عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قام خطيباً على أصحابه فقال، وذكر الحديث وفيه اختلاف يسير وزيادة يسيرة عما رواه الشريف السيلقي. (انظر الاعتبار).

*(2130/6)*

---

(وغيرة الرجل إيمان): المراد به(1) أنه ينكر أن يكون له شريك في امرأته، وإنما كانت من الإيمان؛ لأن الله تعالى حرم ذلك، وحرم النظر إليها والاستمتاع بها.

[118] (لأ نسبنَّ الإسلام نسبة): المراد من النسبة ها هنا تعريف أصله؛ لأن من أراد تعريف شيء نسبه إلى أصله إن كان إنساناً نحو هاشمي وتميمي، أو إلى بلده نحو بصري وكوفي، أو إلى صناعته(2) نحو جوهري وحريري.

(لم ينسبها قبلي أحد(3)): من العلماء والأئمة والفضلاء.

(الإسلام هو التسليم): أراد أن الإسلام هو الانقياد، ولا يعقل الانقياد إلا بالتسليم لأمر الله وقضائه وتصرفه.

(والتسليم هو اليقين): ولا يقع التسليم إلا إذا كان الشك مرتفعاً عن ذات الله وصفاته وحكمته، وصدق رسله.

(واليقين هو التصديق): ولا يعقل يقين إلا إذا صاحبه التصديق باللسان.

(والتصديق هو الإقرار): أي ولا يتحقق التصديق إلا بالإقرار باللسان(4).

(والإقرار هو الأداء): يعني(5) ولا يكون للإقرار ثمرة إلا بأداء الواجبات والانكفاف عن المحرمات.

(والأداء هو العمل): أراد ولا يعقل أداء من غير عمل؛ لأن الغرض هو تأدية الأعمال، فإذا(6) كان لا عمل فلا أداء، فإذا كان لابد من أداء فالعمل موجود لا محالة.

[119] (عجبت للبخيل يستعجل(7) الفقر الذي منه هرب): أراد في هذا أن بخله إنما كان فراراً من الفقر فيمسك الذي في يده خيفة منه، وهو في غاية الحاجة إليه، وليس الفقر إلا هذه الحاجة لا غير، فقد استعجل الفقر واختاره بما صنع.

---

(1) به، زيادة في (ب).

(2) في (ب): صناعة.

(3) في (ب) وشرح النهج: لم ينسبها أحد قبلي.

(4) في (ب): إلا بإقرار اللسان.

(5) في (ب): أي.

(6) في (ب): وإذا.

(7) في (ب): عجبت للبخيل كيف يستعجل...إلخ.

*(2131/6)*

---

(ويفوته الغنى الذي إياه طلب): يعني أنه ما طلب بضنته(1) بما في يده إلا أن يكون غنياً مع شدة حاجته إليه، ومن حق من كان غنياً ألا يكون مفتقراً إلى شيء قد فاته الغنى من حيث لا يشعر به.

(ويعيش(2) في الدنيا عيش الفقراء): لبخله على نفسه، وشدة ضيقه على من تحت يده.

(ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء): من أين جمع ماله؟ وأين أنفقه؟ فيسأل عن جميع ذلك كله.

(وعجبت للمتكبر): لمن يشمخ بأنفه تكبراً، ويختال في برده(3) تفاخراً.

ويحكى أن قارون لبس ثوباً فاختال فيه فخسف الله به، كما قال تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ}(4)[القصص:81]، وكيف يتكبر مع علمه وتحققه بأنه:

(الذي كان بالأمس نطفة): أراد نطفة وأي نطفة في الخسة والقذارة، ركيكة المنظر والهيئة، خبيثة الرائحة، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله: {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}[السجدة:8]، أي ممتهن ضعيف الحالة.

(وغداً جيفة): يعني بعد نزع الروح منه، يعافه كل من رآه(5).

---

(1) في النسخ: بظنته بالظاء، والصواب ما أثبته بالضاد.

(2) في شرح النهج: فيعيش.

(3) البُرْدُ: الثوب.

(4) الرواية هذه هي في مسند شمس الأخبار 474/1 من حديث للنبي صلى الله عليه وآله عن عبد الله بن العباس وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في خطبة الوداع: ((ومن لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به شفير جهنم ما دامت السماوات والأرض؛ لأن قارون إنما خسف الله به لأنه لبس ثوباً فاختال فيه فخسف الله به، فهو يتخلل بين أطباق الأرضين إلى يوم القيامة)).

(5) في (ب): كل أحد رآه.

واعلم: أن الكبر صفة عارضة في النفس تنشأ مما يظهر في النفس من الإعجاب والترفع، وفي الحديث: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر))(1)، وقال عليه السلام: ((أعوذ بك من نفخة الكبرياء))، ثم وقوعه على أوجه ثلاثة:

أما أولاً: فبأن يكون تكبراً(2) على الله تعالى؛ بأن لا يذعن لأمره ويتكبر عنه، كما كان من إبليس فهذا كفر لا محالة.

وأما ثانياً: فبأن يكون على الرسل لئلا يذعن لأمر بشر مثله، فهذا كفر أيضاً.

وأما ثالثاً: فبأن يتكبر(3) على الخلق ويدعوهم إلى خدمته، فهذا خطأ أيضاً، وينبغي علاجه بحمل حاجته من السوق، وتقديم الأقران في مجامع الخلق، ولبس الخشن من الثياب، وتعاطي الأشغال في البيوت، والأكل مع الخدم وغير ذلك.

(وعجبت لمن شك في الله): في وجوده، كما هو مذهب أهل التعطيل، وفاعليته كما هو مذهب الفلاسفة، وحكمته كما هو مذهب المجبرة.

---

(1) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 219/2 بسنده عن عبد الله بن سلام وقوله هنا: (مثقال ذرة) فيه: (مثقال حبة)، كما أخرجه أيضاً ص217 بسنده من حديث عن ابن مسعود واللفظ فيه: ((ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)) ورواه الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام 206/2 عن ابن مسعود من حديث عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم واللفظ في آخره: ((مثقال حبة من كبر)) وعزاه إلى البخاري وأبي داود والترمذي، ورواه بلفظ المؤلف هنا ابن أبي الحديد في شرح النهج 194/11، وللحديث مصادر كثيرة جداً انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 375/7-376، وانظر مسند شمس الأخبار 471/1 الباب (87).

(2) في (ب): تكبر، بالرفع فعلى هذا فقوله: يكون، هي التامة من كان، والمعنى: يحدث أو يحصل.

(3) في (ب): فبأن يكون يتكبر.



(وهو يرى خلق الله): فبحدوثه يبطل قول من عطله عن وجود صانع له، وباختلاف أحواله يبطل قول من قال: إنه صادر على جهة الإيجاب من غير اختيار له فيه، وبإتقانه وصدوره على جهة

الإحكام البالغ يدل على علمه وحكمته، ويبطل مقالة من نفى الحكمة، فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الإشارة من كلامه، من الرد على هذه الفرق(1) على كثرتها.

(وعجبت لمن نسي الموت): حتى لا يخطر له على بال.

(وهو يرى الموتى(2)): يشاهدهم أمواتاً، يدفنون في قبورهم، يشير بكلامه هذا إلى تغير هذه البنية وفسادها يعلم عقلاً فضلاً عن الشرع، وهذا قريب.

(وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى(3)): كما هو مذهب منكري المعاد، وهو أكثر من مضى من القرون الماضية والأمم، فإن أكثر ما أنكروه هو النشأة في(4) الآخرة.

(وهو يرى النشأة الأولى): وتقرير الدلالة من ذلك هو أن الوجود ثانياً مثل الوجود أولاً، ومن قدر على شيء فهو قادر على مثله لامحالة.

(وعجبت لعامر لدار الفناء): بالإقبال إليها، والعناية في أمرها، يعني الدنيا.

(وتارك لدار(5) البقاء): بالإعراض عنها وإهمالها، يعني الآخرة.

[120] (من قصَّر في العمل): يعني عمل الآخرة.

(ابْتُلِيَ بالهمِّ): يعني همُّ الدنيا؛ لأن تقصيره في عمل الآخرة، يلفت(6) أمره إلى الإقبال على عمل الدنيا، فيكون مهموماً به وبتحصيله.

[121] (ولا حاجة لله): لا غرض له ولا إرادة بمحبة ولا مودة ولا إصلاح لحاله.

---

(1) في (ب): على هذه الفرق كلها ...إلخ.

(2) في شرح النهج: وهو يرى من يموت.

(3) الأخرى، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(4) في، سقط من (ب).

(5) في شرح النهج: دار، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(6) في (ب): يقلب.

*(2134/6)*

---

( فيمن كان ليس لله في نفسه وماله حق ونصيب): ففي نفسه بالعبادة وتأدية الواجبات البدنية، وفي ماله بتأدية الحقوق الواجبة المالية فروضها ومندوباتها؛ لأن الأمر والتكليف شامل لهما جميعاً، وطلبهما من جهة الله تعالى متوجه.

[122] (تَوقَّوا البرد في أوله): يشير إلى أنه شديد المضرة في أول وقوعه، لأنه يأتي والأبدان لينة رطبة عقيب زمان الخريف والصيف، فإنها تلين فيهما لما فيهما من الحرارة والرطوبة.

(وتلقَّوه في آخره): لأنه إذا كان في أوائل حدوث الصيف تلين الأجسام وترطب لمقابلتها لأزمان اللين والحر.

(فإنه يفعل بالأجسام(1)): من القساوة والصلابة.

(ما يفعل(2) بالأشجار): في حتِّ ورقها وإبطال رونقها وصلابة أعوادها، وقساوة أصلها.

(أوله يُحْرِقُ): من شدة البرد، فالأجسام والأوراق تحرق وتجف وتصلب.

(وآخره يُورِقُ): تبدو فيه ورق الأشجار وثمارها.

وقوله: أوله يُحْرِقُ، وآخره يُورِقُ، بيان وتفسير لقوله: توقوا أوله، وتلقوا آخره.

[123] (عُظْمَ الخالق عندك): تصور العظمة والجلال للخالق.

(يُصَغِّرُ المخلوق في عينك): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد(3) أن من نظر إلى جلال الله وعظمة(4) ملكوته هان عليه غيره من المخلوقين، فلا ينبغي لأحد أن يكون له تعظيم كتعظيمه.

وثانيهما: أن يريد من نظر إلى جلال الله تعالى وباهر قدرته وعظم إحكامه هان عليه ما يرى من هذه المخلوقات الباهرة، بالإضافة إلى باهر القدرة وعظم الإتقان.

[124] وقال بعد رجوعه من صفين وقد أشرف على القبور بظاهر الكوفة:

---

(1) في شرح النهج: في الأبدان، وفي نسخة: بالأبدان (هامش في ب).

(2) في شرح النهج: كفعله، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) أن يريد، سقط من (ب).

(4) في (ب): وعظم.

*(2135/6)*

---

(يا أهل الديار الموحشة): لما أخلوها وارتحلوا عنها.

(والْمَحَالِّ الْمقفرة): لما سكنوا في غيرها وأهملوها ورائهم.

(والقبور المظلمة): بتراكم التُّرَبِ عليها، ووضعهم في لحودها.

(يا أهل التربة): المغبرَّة أجسادهم(1) بالتراب.

(يا أهل الغربة): عن الأوطان والأهلين.

(يا أهل الوحدة): إذ لا أنيس معهم، كل واحد منهم وحده، وإن اجتمعوا.

(يا أهل الوحشة): بفراق(2) الأهل والأزواج والأولاد والأصدقاء والأقارب.

(أنتم لنا فَرَطٌ): الفارط هو: المتقدم أي متقدمون، من مات فهو متقدم على من كان حياً.

(سابق): تسبقوننا إلى الآخرة.

(ونحن لكم تبع لاحق): تابعون لكم على الأثر، ونحن نقصُّ عليكم الأخبار بعدكم:

(أما الدور فقد سكنت): سكنها آخرون غيركم.

(وأما الأزواج فقد نكحت): افترشها غيركم واطمأنوا إليها.

(وأما الأموال فقد قسمت): بين الورثة، والغرماء من أهل الدين والوصايا.

(هذا خبر ما عندنا): أي هذا خبر ما كان بعدكم من الأحوال.

(فما خبر ما عندكم): من أمر الآخرة، وما آلت إليه أحوالكم فيها.

ثم التفت إلى أصحابه وقال:

---

(1) في (ب): أجسامهم.

(2) في (ب): لفراق.

*(2136/6)*

---

(أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى): فما أشبه هذا النداء منه عليه السلام بنداء الرسول لأهل القليب في بدر(1) حيث نادى كل واحد منهم باسمه، فلما قيل له: كيف تنادي جيفاً لا أرواح فيها، فقال: ((ما أنتم بأسمع منهم))(2).

[125] وقال وقد سمع رجلاً يذم الدنيا، فقال له(3) عليه السلام:

(أيها الذام للدنيا(4)): أراد الشاتم لها والرزاي عليها.

(أتغترُّ في الدنيا ثم تذمها!): الاستفهام ها هنا للإنكار، وأردا كيف يصدر من جهتك الانخداع بها، والميل إليها، وأنت مع ذلك تذمها وتنكر صنيعها معك.

(أأنت المتجرِّم عليها): المدعي عليها الذنب بزعمك.

(أم هي المتجرِّمة عليك!): بإدعائها أنك المذنب بعينك؛ لأنك المغتر بها، فليت شعري أيكما يكون(5) المتجرم في الحقيقة!.

(متى استهوتك): أي أي وقت طلبت سقوطك، وهونك إلى أسفل.

---

(1) في (ب): ببدر.

(2) الرواية في سيرة ابن هشام 280/2 بلفظ: قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جوف الليل، وهو يقول: ((يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن

خلف، ويا أبا جهل بن هشام)) فعدد من كان منهم في القليب: ((هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً)) فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جيفوا، قال: ((ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني)).

(3) له، سقط من (ب).

(4) في شرح النهج: أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها، المنخدع بأباطيلها، أتفتتن بها ثم تذمها؛ أنت المتجرم عليها ...إلخ.

(5) يكون، سقط من (ب).

*(2137/6)*

---

(أم متى غرَّتك): خدعتك ومكرت بك، وهذا الاستفهام وارد على جهة التقرير والتهكم، ولهذا قال بعده:

(أبمصارع آبائك من البلى): من هذه؛ لابتداء الغاية في المكان، أي من مواضع البلى.

(أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى!): أضجعه إذا وضعه لجنبه، وغرضه أن هذه الأشياء فيها غاية النصح لك والموعظة من أجلك، فأين الغرر منها!، وأين الخديعة من جهتها!.

(كم عَلَّلت بكفيك): عالجت في حال اعتلالهم.

(ومرَّضت بيديك(1)): وقمت عليه في مرضه وزاولته(2) بالقيام والقعود والسهر والمطاولة(3) لأحوالهم.

(تبغي(4) لهم الشفاء): من هذه الأمراض.

(وتستوصف لهم الأطباء(5)): تطلب منهم الصفات لهذه الأمراض.

(لم ينفع أحدهم إشفاقك): خوفك عليه من الموت، ولا كان فيه سبب لبراءته من مرضه.

(ولم تُسْعَفْ فيه بِطَلِبَتِكَ): ولم يساعد ما طلبت من أجله.

(ولم تدفع عنه): ما وقع فيه(6) من البلاء وفوات الروح وذهابها عنه.

(بقوتك): من أجل قوتك وشدة جلدك.

(قد مثَّلت لك به الدنيا نفسك): جعلته مثالاً لك، وإماماً تقتدي به في غد.

(وبمصرعه مصرعك): أي وعن قريب يكون مصرعك مثل مصرعه.

(إن الدنيا دار صدق لمن صدقها): فيما أبدته من المواعظ، ودلت عليه من العبر، فمن هذه حاله فهي عنده دار صدق.

---

(1) في شرح النهج: وكم مرضت بيديك.

(2) أي عالجته، والمزاولة كالمحاولة والمعالجة، وتزاولوا: تعالجوا. (مختار الصحاح ص279).
(3) لعله من قولهم تطاول علينا الليل: طال، أو من تطاول إذا تمدد قائماً لينظر إلى بعيد، (وانظر أساس البلاغة ص287).
(4) في شرح النهج: تبتغي.
(5) بعده في شرح النهج: غداة لا يغني عنهم دواؤك، ولا يجدي عليهم بكاؤك!.
(6) فيه، سقط من (ب).

*(2138/6)*

---

(ودار عافية): أراد إما دار عافية أي معافاة ومسالمة، وإما دار عافية يصلح فيها أمر الآخرة التي تعقب.

(لمن فهم عنها): انتفع بمواعظها الشافية، فحصلت له بذلك المعافاة والمسالمة، أو كانت سبباً في إصلاح عاقبته وآخرته.

(ودار غنى لمن تزود منها): للآخرة التي يغنى فيها، ويسعد حاله بإحرازها.

(ودار موعظة لمن اتعظ بها): أراد أنها يحصل بالاتعاظ(1) فيها الفوز في الآخرة برضوان الله، والسلامة من عقوبته.

(مسجد أحباء الله): مكان الأولياء في السجود والعبادة، والقيام بحق الله، وتلاوة كتابه وغير ذلك.

(ومصلى ملائكته): من كان منهم في الأرض مكلف بالعبادة فيها، أو يريد الحفظة على الأعمال والموكلين بكتبها، أو غيرهم ممن يعلم الله تعالى وقوفه في الأرض لضرب من الصلاح لأهلها.

(ومهبط وحي الله): كتبه المنزلة على أنبيائه التي تعبَّد بها الخلق، وجعل صلاحهم متضمناً لها.

(ومتجر أوليائه): مكان التجارة بالأعمال الصالحة، والقربات المتقبلة فيها.

(اكتسبوا فيها الرحمة): من الله تعالى بما كان من جهتهم من العناية في الخدمة.

(وربحوا فيها(2) الجنة): جزاء على تلك الأعمال.

(فمن ذا يذمها): وفيها من الخصال المحمودة ما ذكرته.

(وقد آذنت ببينها(3)): إما أسمعت بانقطاعها أو عرفت وأعلمت بذلك.

(ونادت بفراقها): صاحت بينهم بأنهم مفارقوها إلى غيرها.

(ونعت نفسها وأهلها): أخبرت بعدمها وموت من فيها، يقال: نعاه نعياً ونُعياناً بالضم إذا أخبر بموته، وجاء نعيُّ فلان على فعيل أي خبر موته.

---

(1) في (ب): يحصل فيها بالاتعاظ فيها.

(2) فيها، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(3) في نسخة: بفراقها (هامش في ب)



---

(فمثَّلت لهم ببلائها البلاء): أراد أنها شبهت لهم بلاوي الآخرة وعذابها بما يصيبهم في الدنيا من الآلام والمصائب، وعَرَّف البلاء باللام مبالغة في شأنه وحاله، أي البلاء المعهود في الآخرة الذي لايبلغ كنهه، ولا يطاق وصفه ونعته.
(وشوقتهم بسرورها): جعلتهم مشتاقين بما يلحقهم فيها من هذه المسرات بالملاذ من المناكح والمآكل والمشارب والملابس.
(إلى السرور!): اللاحق بهم في الآخرة، وعرَّفه باللام مبالغة في شأنه كما ذكرناه في البلاء.
(راحت بعافية): أي تقضت(1) وزالت بمعافاة لأهل الطاعة وسلامة عن الأهوال.
(وابتكرت بفجيعة): لأهل المعصية لما رأوا من وخيم أفعالهم.
سؤال؛ أراه خصَّ الرواح بالعافية، وخصَّ الابتكار بالفجيعة، فما(2) وجه ذلك؟
وجوابه؛ هو أنه جعل الرواح عبارة عن زوالها وتقضيها، وليس يختص يوماً ولا ليلة في حق الأولياء؛ لأن منهم من يموت ليلاً، ومنهم من يموت نهاراً، فلهذا عبر به بالرواح ليعم ذلك، وجعل الابتكار عبارة عن صبيحة يوم القيامة وبكرتها حيث تحصل الفجيعة لأهل المعصية، فلهذا خصها بالابتكار، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِر}[القمر:38]، وقوله: {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}[الصافات:177]، وقوله: {فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ}[الأحقاف:25]، فصار الصباح خاص في البلاء.
اللَّهُمَّ، أجرنا من أهوال صبحة يسفر عنها يوم القيامة.
(ترغيباً): في أفعال الخير رجاء لثواب الله.
(وترهيباً): لأفعال السوء خيفة من عقاب الله.
(وتخويفاً): لمضار الآخرة وبلاويها.

---

(1) في (ب): انقضت، وقوله: أي، سقط من (ب).
(2) في (أ): وما.



---

(وتحذيراً): عنها، وانتصاب هذه الأسماء على المصدرية، إما مفعولاً لها(1)، وإما مصادر في موضع الأحوال.
(فذمها(2) رجال غداة الندامة): يعني لما ندموا على ما فعلوه من الأعمال السيئة أخذوا في ملامتها، وتقبيح صنيعها(3).
(وحمدها آخرون يوم القيامة): وهؤلاء حمدوها لما أوصلتهم إلى النعيم الدائم يوم القيامة، فذمها أولئك لما كان عقباهم النار، وحمدها هؤلاء لما كان عقباهم الجنة منها.
(ذكَّرتهم الدنيا): إما مضار الآخرة، وإما من سلف من الأمم الماضية.
(فذكروا): اتعظوا بما ذكرتهم إياه من ذلك كله.
(وحدثتهم): بما كان من أخبارها وآثارها فيمن(4) كان قبلهم.
(فصدَّقوا): بأخبارها وأحاديثها، ولم يكذبوها فيما قالته، ونطقت به من ذلك.
(ووعظتهم): بمواعظها الشافية ومَثُلاتِها(5) [بأهلها](6) المتقدمة.
(فاتعظوا): انتفعوا بمواعظها وأخبارها.
[126] (إن لله ملكاً ينادي كل يوم: لِدُوا للموت): أراد من أجل الموت.
(واجمعوا للفناء): أي من أجل الزوال والعدم.
(وابنوا للخراب): أي من أجل خرابها، يعني المساكن.
سؤال؛ أراك فسرت هذه اللام ها هنا بالغرض، وليس يمكن ولا يعقل أن يكوت الموت غرضاً في الولادة، ولا يكون الفناء علة للجمع، ولا يكون الخراب سبباً للبناء، ثم هذا يخالف ما عليه جمهور المتكلمين؟

---

(1) في (ب): مفعولاتها.
(2) في (ب): قد ذمها.
(3) في (ب): صنعها.
(4) في نسخة: ممن (هامش في ب).
(5) الْمَثُلَةُ بفتح الميم وضم الثاء: العقوبة، والجمع المَثُلات. (مختار الصحاح ص651).
(6) سقط من (ب).

*(2141/6)*

---

وجوابه؛ هو أنها إذا كانت للتعليل كان الكلام أبلغ وأوقع، وذلك أنه لما كان الموت لازماً لمن وُلِدَ، والفناء لا ينفك عمَّا جُمِعَ، والخراب لازم لما كان مبنياً، فلما كان الأمر كذلك صار لملازمته، كأن

هذه الأشياء عِلَلٌ في تلك، فلهذا كان تفسيرها بالتعليل أحق، وقد ورد ذلك في كتاب الله تعالى كما قال تعالى(1): {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ}[الأعراف:179]، وقوله: {رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ}[يونس:88]، إلى غير ذلك، فأما من يتأوَّل هذه اللامات على أنها لام العاقبة فبمعزل عمَّا عليه النُّظار وأهل التحقيق من علماء البيان، كما هو مروي على بُعْدِه عن جُلَّةِ المتكلمين من المعتزلة، ومخالفته لما عليه أئمة اللغة والعربية من تأويلها(2) على لام العاقبة.

[127] (الدنيا دار ممر): إلى الآخرة.

(لا دار مقر): وليست دار استقرار وتوطن، والممر والمقر هما مكان المرور والاستقرار.

(والناس فيها رجلان): على كثرتهم وتفاوت أعدادهم، فهم لا ينفكون عن ذلك.

(رجل باع نفسه): عبر عن التساهل والانقياد للأهواء بالبيع؛ لأنه كأنه لمكان تعجله لهذه اللذات المنقطعة، جعلها ثمناً لنفسه وعوضاً عنها، فلهذا قال: باع نفسه.

(فأوبقها): أهلكها بما فعل من ذلك، والإيباق: الإهلاك.

(ورجل ابتاع نفسه): اشتراها، جعل كفه لنفسه لاتباع(3) هواها بمنزلة الشراء، كأنه بذلك تداركها عن الهلاك.

(فأعتقها): بفعله ذاك.

[128] (لا يكون الصديق صديقاً): أراد أن صديق(4) الصحبة إنما يظهر بالاختبار والامتحان في أفعاله وأقواله، فلا يكون كذلك.

---

(1) تعالى، سقط من (ب).

(2) في (ب): تأولها.

(3) كتب فوقها في (ب): عن اتباع.

(4) في (أ): صدق.

(2142/6)

---

(حتى يحفظ أخاه في ثلاث): فمتى حفظه فيها كان صديقاً على الحقيقة.

(في غيبته): يعني إذا غاب حفظه في ماله وولده وأهله، وما يحفظه من ذلك.

(ونكبته): وإذا جرت عليه مصيبة من مصائب الدهر ونكباته [كان عوناً له](1).

(ووفاته): وإذا مات كان عظيم الحياطة لما وراءه من ذلك.

[129] ثم قال عليه السلام:

(من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً):

سؤال؛ ما وجه التلازم بين هذه الأربعة وهذه الأربعة، هل هو من جهة الاقتضاء، أو من جهة التسبيب(2)، أومن جهة أخرى غير ما ذكرناه فلا بد من بيانه؟

وجوابه؛ هو أن الغرض من ذلك هو أن من وفقه الله تعالى ولطف له في تحصيل [أحد هذه](3) الأربعة من هذه الأمور التي ذكرها، فهي بنفسها داعية إلى تحصيل تلك الأربعة الباقية.

قوله: من جهة الاقتضاء أو من جهة التسبيب(4).

قلنا: من جهة داعي الحكمة، ومن جهة الاستصلاح.

(من أعطي الدعاء): في أي حاجة أرادها من حوائج الدين والدنيا.

(لم يحرم الإجابة): بالإعطاء لما طلب من جهة الله تعالى.

(ومن أعطي التوبة): عن جميع الذنوب والإنابة إلى الله تعالى منها.

(لم يحرم القبول): من الله تعالى.

(ومن أعطي الاستغفار): طلب غفران ذنوبه من جهة الله تعالى.

(لم يحرم المغفرة): لم يمنعه الله إياها.

(ومن أعطي الشكر): على النعم.

(لم يحرم الزيادة) من النعم.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

(2) في (ب): أو من التسبب.

(3) سقط من (ب).

(4) في (ب): التسبب.

*(2143/6)*

---

سؤال؛ هب أنا سلمنا ما ذكر هنا في الاستغفار والتوبة لما كان في ذلك مستوراً عنَّا، فما وجه ذلك في الدعاء والشكر، ونحن نعرف كثيراً من أهل الدعاء يجتهدون فيه فلا تحصل لهم الإجابة، وكثيراً من أهل الشكر يحصل من جهتهم الشكر، ولا تحصل لهم الزيادة، فكيف أطلق الأمر في ذلك؟

وجوابه؛ هو أن الأمر في هذه الأشياء كلها وإن ورد مطلقاً فإنه(1) مشروط بالصلاح، فإنه لا يمتنع أن يدعو بما تكون الإجابة فيه مفسدة في أمر دينه ودنياه، فلهذا لا يجاب من أجل ذلك، وهكذا فإنه لا يمتنع أن تكون الزيادة في النعمة مفسدة، فلهذا يمتنع من فعلها لما ذكرناه، فهذه اللطيفة لابد من التنبه لها، وفي ذلك بطلان ما أورده السائل.

(وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه(2)): الإشارة إلى ما ذكره أولاً وعدده من هذه الأمور الأربعة.

(قال الله تعالى في الدعاء(3): {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[غافر:60].
وقال في الاستغفار: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً})[النساء:110].
وقال في الشكر: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ})[إبراهيم:7].
وقال في التوبة: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا})[النساء:17].
[130] (الصلاة قربان كل تقي): القربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى(4) من جميع النوافل والأعمال المبرورة، وفي الحديث: ((الصلاة خير كلها)).

---

(1) في (ب): فهو.
(2) سبحانه، زيادة في (ب).
(3) في الدعاء، سقط من (ب).
(4) تعالى، زيادة في (ب).

*(2144/6)*

---

(والحج جهاد كل ضعيف): يعني من لايستطيع الجهاد بالسيف فالحج هو جهاده.
(ولكل شيء زكاة): أي وكل شيء فيه حق لله يتوجه أداؤه وإخراجه.
(وزكاة البدن الصيام): يعني حق الله من البدن هو الصيام واجبه ومندوبه، وفي الحديث: ((الصوم لي، وأنا أجزي به)).
(وجهاد المرأة حسن التبعل): البعال والمباعلة والتباعل كله عبارة عن ملاعبة الرجل امرأته وملاعبتها له، وفي الحديث: ((إنها أيام أكل وشرب وبعال))(1)، وأراد بحسن التبعل حسن الملاعبة والدعابة له(2) لتطييب نفسه.
[131] (استنزلوا الرزق بالصدقة): يعني إذا قل رزق أحدكم فليتصدق؛ فإنها تكون سبباً لإنزاله وقسمته من عند الله تعالى.
[132] (من أيقن بالخلف): بالعوض من الله تعالى.
(جاد بالعطية): بالإعطاء لوجه الله تعالى.
[133] (تنزل المعونة): من الله تعالى.

---

(1) أي أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، والحديث رواه ابن الأثير في النهاية141/1،

وأخرجه من حديث لأمير المؤمنين علي عليه السلام الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص324-325 بسنده، عن يوسف بن مسعود، عن جدته أنها قالت: بينا نحن بمنى إذ أقبل راكب فسمعته ينادي: (إنهن أيام أكل وشرب وبعال) وذلك على عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: من هذا؟ قالوا: علي بن أبي طالب عليه السلام، والحديث بلفظ: ((ألا إن هذه أيام أكل وشرب وبعال)) رواه من حديث القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار 438/1 في الباب التاسع والسبعين في تعظيم عيد النحر وقيام ليلته والترغيب في الضحايا وذكر أيام التشريق، وعزاه إلى المجالس برواية السمان عن أبي نبيشة، عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: فذكر الحديث. (وانظر تخريجه فيه).

(2) في (ب): والرعاية لتطييب نفسه.

*(2145/6)*

---

(على قدر المؤونة): وهذا معلوم لا شك فيه، فإن من يمون عشرة لا يكون حاله كحال من يمون واحداً في الإعانة من جهة الله تعالى(1)، واللطف به وقسمة الرزق من عنده.

[134] (ما عال من(2) اقتصد): عال في الحكم إذا جار فيه، وعال إذا كثر عوله، وعال إذا مال، وأراد ها هنا ما كثر عول من اقتصد في معيشته، كما قال تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا}[النساء:3]، أي يكثر عولكم.

[135] (قلة العيال أحد اليسارين): لأن اليسار كما يكون بالمال وهو اليسار الأعظم، فقد يكون بقلة العيال؛ لأن عياله إذا كانوا قليلين لم يحتج إلى كثير المؤونة(3).

[136] (التودد نصف العقل): يعني التحبب إلى الناس هو نصف العقل؛ لأن العاقل هو الذي يأتي بالواجبات وينكف عن المقبحات، ويحسن المحبة للناس، فكان القيام بالأحكام العقلية نصف، والتودد نصف كما ذكر.

[137] (الهمُّ(4) نصف الهرم): يريد أن الهرم وهو ضعف القوى، كما يكون من أجل طول العمر، فقد يكون بالهمِّ، فصار الهمُّ نصفاً له من هذا الوجه.

[138] (ينزل الصبر على قدر المصيبة): أراد أن نزول اللطف من جهة الله تعالى(5) للصبر إنما يكون على عظم المصيبة وخفتها، فإن كانت عظيمة احتاجت إلى لطف قوي من جهة الله، وإن كانت خفيفة احتاجت إلى لطف خفيف من عنده أيضاً، فهو على قدر حالها في ذلك.

(ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبة(6)): نزلت به حسرة وندامة وتلهفاً.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) في (ب): امرؤ.
(3) في (ب): كثير مؤونة.
(4) في (ب) وشرح النهج: والهم.
(5) تعالى، زيادة في (ب).
(6) في شرح النهج: مصيبته.

*(2146/6)*

---

(حبط أجره): يعني ذهب ثوابه الذي كان يستحقه على الصبر على هذه المصيبة، ولا يحمل على خلاف ذلك؛ لأن حمله على الفسق خطأ لا وجه له.

[139] (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ(1)): أراد أن بعض الصائمين لا يسلم صومه عما يحبط ثوابه عليه، فلهذا(2) لا يكون له منه إلا مجرد الامتناع عن شرب الماء البارد، وهذا بعينه قد روي عن الرسول(3) عليه السلام حيث قال: ((كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش))(4) يشير إلى ما ذكرناه.

(وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء(5)): وهذا من ذاك فإنه لا يمتنع لبعض المصلين إبطال أجره على الصلاة بما يعرض منه من المعاصي الموجبة لإحباط عمله، ونقصان أجره.

(حبذا نوم الأكياس): يشير إلى أهل البصائر وأهل الظرف، فإنهم ينامون على السنة ويصلون على السنة من غير إفراط ولا تفريط.

(وإفطارهم!): يعني وحبذا صومهم وإفطارهم، وحبذا هذه كلمة دالة على المدح مثل نعم.

---

(1) في شرح النهج: إلا الجوع والظمأ.
(2) في (ب): فهذا.
(3) في (ب): عن رسول الله.
(4) الحديث بلفظ: ((رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش)) أخرجه من حديث بسنده عن أبي هريرة المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية 112/2،106، وكما في المرشد بالله رواه في مسند شمس الأخبار 417/1 في الباب الثاني والسبعين، عن أبي هريرة أيضاً وعزاه إلى المجالس برواية السمان، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 114/5 إلى مسند أحمد بن حنبل 373/2، والمستدرك للحاكم 431/1، ومجمع الزوائد للهيثمي202/3، وهو فيها أيضاً 469/6 بلفظ: ((كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع)) وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل

441/2، وسنن الدارمي 301/2.

(5) في شرح النهج: إلا السهر والعناء.

*(2147/6)*

---

[140] (سوسوا إيمانكم بالصدقة): السياسة هي: حسن التدبير للأمور، وأراد ها هنا أن الصدقة هي نهاية تقرير قواعد الإيمان وإثباتها.

(وحصنِّوا أموالكم بالزكاة): يعني عن الآفات والمصائب، وفي الحديث: ((إذا منعت الزكاة هلكت المواشي)).

(وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء): فإنه يرد القضاء، وفي الحديث: ((الدعاء يرد القضاء)).

[141] كلامه لكميل بن زياد النخعي

(قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فأخرجني إلى الجبَّان): يعني الصحراء.

(فلما أصحر) : أي خرج إلى الصحراء.

(تنفس الصُّعَداء):، أراد استطلع نفسه من جوانح صدره، وهذا إنما يكون في حق من كان منقطعاً في الحزن والأسف.

ثم قال:

(يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية): لما أقر فيها من العلوم والمواعظ والآداب والحكم.

(وخيرها أوعاها): أدخلها في النفع، وأعظمها قدراً عند الله تعالى(1) ما كان منها واعياً لما أودع فيه من ذلك.

(احفظ(2) عني ما أقول لك): أنطق به من لساني من أجل نفعك وتقريبك إلى الخير.

(الناس ثلاثة): أراد أن الناس على كثرتهم وتباين(3) أحوالهم وطبقاتهم لا يخرجون عن هذه العدة.

(عالم(4) رباني): الرباني هو: العالم بأحوال الربوبية وأحكامها وما يجب لها، وما يجوز عليها، وما يستحيل، وإدخال الألف والنون في النسبة إلى الرب على جهة المبالغة في ذلك، كما تقول: في النسبة إلى الروح: روحاني.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) في (ب): واحفظ، وفي شرح النهج: فاحفظ.

(3) في (ب): وبيان.

(4) في (ب): فعالم.



---

(ومتعلم على سبيل نجاة): أراد لينجو في الدنيا من الجهل وفي الآخرة من العذاب، وهذا هو(1) دون الأول في الرتبة، فإن الأول يشير إلى عظم حاله في العلم بالله تعالى وبصفاته، وهذا ليس له في التعلم إلا مقدار ما يصل به إلى النجاة في الدنيا والآخرة كما أشرت إليه.

(وهَمَجٌ رِعَاعٌ): الهَمَجَة: ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الحمير، وقد فسرناه، حيث مرَّ في كلامه من قبل، والرِّعَاعُ: الأحداث من الناس والطغام.

(أتباع كل ناعق): يعني من هتف(2) أجابوه من غير بصيرة لهم في أنفسهم.

(يميلون مع كل ريح): يشير بذلك إلى قلة بصائرهم وضعف أحوالهم في الديانة والعلم، فلا قوة لهم على شيء من أمورها بحال.

(لم يستضيئوا بنور العلم): في طريقهم إذا مشوا إلى طريق الآخرة.

(ولم يلجأوا إلى ركن وثيق): فيما هم فيه من أمر الديانة، واللجأ: الاستناد، يقال: لجأ في أمره إلى كذا إذا كان مستنداً إليه.

(ياكميل): تصغير كامل أو أكمل على طريقة الترخيم.

(العلم خير من المال): أعلا منه حالاً عند الله تعالى، وأجل قدراً، ومصداق هذه المقالة هو أن:

(العلم يحرسك): عن آفات الدين وأعظمها الجهل، وآفات الدنيا وأعظمها الزلل في التصرفات كلها.

(وأنت تحرس المال): بالقلاع المشيدة، والأبواب المغلقة، والأقفال الأكيدة، وكثرة الحفاظ والحراس له.

(والمال تنقصه النفقة): كلما أنفق منه نقص لا محالة، ويقل عدده سواء أنفق لله أو لغيره، خلا أن كل ما أنفق لله فإن الله تعالى يخلفه، بخلاف ما أنفق لغيره، فإنه لا عوض له من الله تعالى.

(والعلم يزكو على الإنفاق): يزيد على كثرة التعليم، ويزداد قوة ونفوذاً.

---

(1) هو، سقط من (ب).

(2) في نسخة: من نعق، (هامش في ب).

وعن هذا قال بعضهم: العلم كامن وظهوره بالمناظرة والمراجعة، فإذا ظهر فهو ميت وحياته بالتعليم، فإذا حيَّ فهو عقيم، ونتيجته العمل به.

(وصنيع المال يزول بزواله): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن صاحب المال إذا أعطى غيره شيئاً منه وجعل ذلك صنيعة إليه، فإنما يكون ذلك باقياً ما بقي المال في يده، فإذا زال امَّحى ذلك الصنيع ونسي أمره.

وثانيهما: أن يكون مراده أن كل من كان صاحب مال فإن صنيعه بالمال وإعطائه من يستحقه إنما يكون حكمه باقياً مهما بقي على اليسار والتمكن، فأما إذا صار فقيراً فإنه لا يبقى صنيعه أصلاً، ولا يستحق مدحاً بعد ذلك على ما فعله من الصنائع، بخلاف العلم فإن حاله(1) مخالف لذلك كله.

(ياكميل بن زياد، معرفة العلم دين(2) يدان به الله): أي يطاع به، بل هو من أعظم الطاعات وأفضلها؛ لأن كل طاعة فهي مفتقرة إلى العلم، والعلم لايحتاج إلى الطاعات، فلهذا شرف حاله، ونزل العلماء منزلة الآباء، كما قال بعضهم:

من علَّم الناسَ ذاك خيرُ أبٍ

ذاك أبو الروح لا أبو النطف

(به(3) يكسب الإنسان الطاعة في حياته): يعني أنه يكون سبباً في طاعة الله والانقياد لأمره، ولهذا قال ابن عباس: إن العلم يتعلم(4) لغير الله تعالى فيأبى الله إلا أن يجعله لله، يشير بما ذكره أمير المؤمنين إلى أنه يكون لطفاً في كثرة الطاعة والانكفاف عن المعصية.

(وجميل الأحدوثة بعد وفاته): يعني ويفيد صاحبه الثناء الجميل عليه بعد موته.

(والعلم حاكم): فيه وجهان:

---

(1) في (ب): فإنه مخالف...إلخ.

(2) في (ب): دين الله يدان به الله.

(3) به، زيادة من شرح النهج.

(4) في (ب): ليتعلم.

*(2150/6)*

---

أحدهما: أن يريد أن صاحب العلم حاكم على كل أحد في الإقدام والإحجام والعقد والحل بيده على حسب ما يراه، ويصوِّبه في الأمور كلها.

وثانيهما: أن يكون مراده أن رتبته عالية على كل رتبة، وأمره مرتفع على كل أمر، فلا أمر ينفذ عليه لأحد، وأمره نافذ على كل أحد.
(والمال محكوم عليه): نقيض لما ذكرناه من الوجهين في العلم.
(ياكميل بن زياد، هلك خزان المال(1) وهم أحياء): يعني أن أذكارهم في القلوب ماتت واندرست وهم باقون على الحياة، لا يلتفت إليهم ولا يجري ذكرهم على الألسنة بحال؛ لنزول أقدارهم وركة هممهم.
(والعلماء باقون ما بقي الدهر): يعني ذكرهم باقي في الحياة وبعد الموت، على المنابر والمساجد والمواضع الشريفة والكتب والدفاتر، فلا تسمع على المنابر إلا كلامهم، ولا ترى(2) مع الخلق إلا فتاويهم وأحكامهم، فلهذا بقي ذكرهم على وجه الدهر.
(أعيانهم مفقودة): بالموت والإدبار عن الدنيا.
(وأمثالهم في القلوب موجودة): لا تزال مصوَّرة في الأفئدة لتكرر أذكارهم على الآذان.
(ها): للتنبيه، كقوله تعالى: {هَاأَنْتُمْ أُوْلاَءِ}[آل عمران:119].
(إن هنا(3) لعلماً جماً): هنا إشارة إلى الأمكنة، يقال فيه: هنا مخففاً، وهَنَّا مضاعفاً بفتح الهاء، وأشار به إلى صدره، والجم هو: الكثير.
(لو أصبت له حملة): وجدت له من يحمله على ما أريد من الاستقامة على حدوده وشرائطه.
(بلى): موضوعة للإيجاب بعد النفي.
(أصبت لقناً): أي سريع الفهم، جيد القريحة.
(غير مأمون عليه): في تغييره وتحريفه وتبديله.

---

(1) في شرح النهج: الأموال، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).
(2) في (ب): ولا يرى.
(3) في (ب) وشرح النهج: إن ها هنا.

*(2151/6)*

---

(مستعملاً آله الدين للدنيا): لا غرض له فيه إلا طلب الدنيا، واستعمال لذتها، يتوصل به إلى ذلك.
(ومستظهراً بنعم الله على عباده): يجعل نعم الله ظهراً له وقوة على البغي على عباده، والظلم لهم، والتسرع إلى مضرتهم.
(وبحججه على أوليائه): أي ويجعل حجج الله ذريعة ووصلة إلى مخاصمة أوليائه وجدالهم.
(أو منقاداً لجملة(1) الحق): أو أصبت رجلاً منجذباً سلس القياد للأمور الظاهرة، وجمل الدين دون تفاصيله ودقائقه.

(لا بصيرة له في أحنائه): جوانبه، الواحد منها: حنو.

(ينقدح الشك في قلبه): يحصل الشك في قلبه على سرعة، ومنه انقداح النار.

(بأول عارض من شبهة): بأول ما يعرض له من الشبه والخيالات.

(ألا): للتنبيه، كقوله تعالى: {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ}[يونس:62].

(لا ذا ولا ذاك): أي لا أريد من كان خائناً، ولا أريد من كان منقاداً لجمل هذا العلم، ولا أرضاهما أهلاً له.

(أو منهوماً باللذة): أي مولعاً باكتساب اللذات واستعمالها.

(سلس القياد للشهوة): يأتي لها بسهولة، لا يصعب عليه أمرها وحالها.

(أو مغرماً بالجمع والادخار): الغرام: شدة الولوع بالشيء، وأراد أنه مولع بجمع الدنيا وادخار حطامها وكسبها على أي وجه كان، ومن أي وجه حصلت.

(ليسا): الضمير للمنهوم والمغرم.

(من رعاة الدين): من الذين استرعاهم الله خلقه وأئتمنهم على حقائق دينه وأسراره.

(في شيء): لا في ورد ولا صدر، ولا مغدى ولا مراح، يقال: فلان ليس من(2) أمر الدين في شيء إذا كان لا يعرِّج عليه في وقت من الأوقات.

(أقرب شيء شبهاً): أقرب ما يشابه من الأشياء، ومماثلاً له في خلائقه وطرائقه.

---

(1) في شرح النهج: لحملة.

(2) في (ب): في.

*(2152/6)*

---

(بالأنعام السائمة): بالبهائم المرعية، كما قال تعالى: {إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ}[الفرقان:44]، وما قنع بهذا الشبه بل زاد بل(1) هم أضل منها حالاً.

(كذلك): الكاف هذه متعلقة بيموت.

(يموت العلم بموت حامليه): والمعنى مثل ما ذكرته من حال هؤلاء يموت العلم بموت من يكون حاملاً له منهم، وذا إشارة إلى المذكور من حالهم(2).

(اللَّهُمَّ): هذه كلمة تستعمل متوسطة بين كلامين متغايرين، كقولك: والله لأزورنك اللَّهُمَّ إلا أن تجد مني ملالة، ولألزمنك(3) اللَّهُمَّ إلا أن تكون لي كارهاً.

(بل(4)): للإضراب عما سبق من الإعراض عمن ذكر من هؤلاء الحملة.

(لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة): تعريف أحكام الدين، والقيام بواجباته، والمواظبة على أدائها.

(إما ظاهراً): للخلق يرونه، ويتعلمون منه شرائعه ورسومه.

(مشهوراً): فيما بينهم يتواصفونه من أجل ذلك، ويعرفونه لا يغبا على أحد منهم حاله ونعته.

(أو خاملاً): مدفون الذكر.

(مغموراً): بغيره في الاشتهار والظهور، وفي كلامه هذا دلالة على أن الواجب في حكمة الله تعالى هو حراسة الدين بالعلماء والقائمين لله تعالى بالحجج على عباده من أهل الفضل، إما بأن يكونوا ظاهرين للخلق يشاهدونهم ويرونهم ويتعلمون منهم، وإما بأن يكونوا بحيث لا يؤبه لهم لمكان البذاذة(5) ورثة الهيئة.

---

(1) في (ب): بل زاد بل أراد بل هم ...إلخ.

(2) في (ب): أحوالهم.

(3) في (ب): ولأكرمنك.

(4) في شرح النهج: بلى.

(5) البذاذة: سوء الحالة، من بَذِذْتَ بَذاذة وبَذَاذاً، وبِذاذاً، وبُذوذة: أي ساء حالك. (انظر القاموس المحيط ص422) ورثة الهيئة: أي بذاذتها، ومنه الرثاثة والرثوثة.

*(2153/6)*

---

(لئلا تبطل حجج الله وبيناته): على الخلق يعني أوامره ونواهيه وأحكامه اللازمة لخلقه.

(وكم ذا): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون ذا(1) راجعاً إلى ما ذكره ممن يقوم بحجج الله، والمعنى وكم ذا أعدِّد(2) من لطف الله تعالى، وعنايته في الدين، واهتمامه بإصلاح خلقه.

وثانيهما: أن يكون راجعاً إلى المذكور أولاً من الذين لا يصلحون لحمل العلم ولا يكونون أهلاً له ولحمله، والمعنى وكم ذا أعدِّد ممن لا يصلح لذلك.

(وأين أولئك(3)!): أي لا يوجدون إلا على القلة والندور.

(أولئك والله الأقلون عدداً): في الخلق فلا يوجد أمثالهم.

(والأعظمون عند الله قدراً): لعلوهم في الدين وارتفاع درجتهم عند الله.

(يحفظ الله بهم حججه): على الخلق في أمر دينه.

(وبيناته): وبراهينه على ذلك.

(حتى يودعوها نظراءهم): يحفظونها حتى يدفعوها(4) إلى أمثالهم، يقال(5): أودعته مالاً إذا دفعته إليه.

(ويزرعونها(6) في قلوب أشباههم): يشير إلى الحجج على الدين، والزراعة ها هنا استعارة لتمكنها في أفئدتهم.

(هجم بهم العلم): يعني دخل بهم العلم بغتة.

(على حقيقة البصيرة): على التحقق(7) والاستبصار.

---

(1) ذا، سقط من (ب).

(2) في (ب): عدِّد.

(3) أولئك، سقط من شرح النهج.

(4) في النسخ: يدفعونها، والصواب كما أصلحته.

(5) في (ب): ويقال.

(6) كذا في النسخ، وفي شرح النهج: ويزرعوها.

(7) في (ب): التحقيق.

*(2154/6)*

---

(وباشروا روح اليقين): أي خالطوا، والرُّوح بضم الراء هو: النفس الجاري، والرَّوح بفتحها هو: الراحة، قال الله تعالى: {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا}[الأنبياء:91]، وقال: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ}[الواقعة:89]، والمعنى في هذا هو أنه أطلعهم العلم بالله تعالى، وبما أفاضه عليهم من الأنوار الإلهية واختصهم به من الأسرار على حقيقة أمر الدين وعلم طريق الآخرة، وخالط قلوبهم اليقين بذلك والتحقق له، فاستراحوا إليه واطمأنت قلوبهم عليه، وانشرحت صدورهم به، فتجاوزوا من أجله كل غاية، واحتملوا لإحرازهم له(1) كل مكروه.

(واستلانوا ما استوعره المترفون): المترفه هو: صاحب التنعم باللذات، وأراد أنهم استسهلوا ما وجده أهل النعمة وعراً من أجل ما عرفوه من حاله.

(وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون): يعني ووجدوا الأنس بما كان أهل الجهل يجدون منه الوحشة لجهلهم بحاله وعاقبة أمره.

(وصحبوا الدنيا): أراد إما أهل الدنيا لمخالطتهم لهم، أو أراد الدنيا نفسها.

(بأبدان): يعني أن أشباحهم حاصلة مع أهل الدنيا، أو تتصرف في أحوال الدنيا.

(أرواحها معلقة بالمحل الأعلى): والأرواح المودعة في هذه الأشباح معرضة عن ذلك متعلقة بالله تعالى، والتفكر في أحوال المعاد وطريق الآخرة، والشغل بعظمة الله تعالى، ومعرفة جلاله وكنه كبريائه، وكنى بالمحل الأعلى عن ذلك.

(أولئك): الذين وصفت حالهم(2)، وقررت طرائقهم.

(خلفاء الله): في دينه وعلى خلقه.

(في أرضه): التي هي مسكنهم، وموضع اجتهادهم في حقه.

(والدعاة إلى دينه): والمجتهدون في دعاء الخلق إلى دين الله وإحيائه.

(آه آه): صوت يستعمل للتوجع والتحزن، ينون تارة للتنكير، وتارة غير منون.

---

(1) له، سقط من (ب).

(2) في (ب): أحوالهم.

*(2155/6)*

---

(شوقاً إلى رؤيتهم!): إلى الاطلاع عليهم، والانتفاع بمخالطتهم.

(انصرف إذا شئت): لقضاء حوائجك، وإصلاح أمورك.

فأما ما زعمه الباطنية من أن كلامه هذا إشارة إلى كلبهم المعصوم المنتظر وجوده وظهوره، فمن تهويساتهم(1) وكذبهم في الدين وهذيانهم، فتباً لها من ظنون كاذبة!، وسحقاً لها من آراء غير صائبة! فمالهم أنى يؤفكون! مالهم لا يؤمنون! {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ}[المؤمنون: 71].

ثم رجع إلى ذكر الحكم والآداب، بقوله:

[142] (المرء مخبؤ تحت لسانه): وهذه من الحكم التي أناف فيها على حكمة الحكماء، وسبق بها على بلاغة البلغاء، وغرضه منها هو أن الإنسان مستور لا يعرف حاله ما لم يتكلم، فإذا تكلم عرف حاله في الفطنة والكياسة، أو في اللكنة(2) والفهاهة.

[143] (هلك امرؤ لم يعرف قدره): أراد أن كل من لا يعرف حاله وقدره فإنه عن قريب لا محالة يرد في المهالك، ويوقع نفسه في المتالف، ولشرف هذه الحكمة ولطيف جوهرها وردت في كلامه على أوجه مختلفة، وعبارات متفاوتة.

[144] وقال لرجل سأله أن يعظه:

(لا تكن ممن يرجو الآخرة(3)): أي يتوقع الوصول إلى ثواب الآخرة، ويأمل ذلك.

(بغير العمل(4)): الذي يرجى حصول الثواب به، وإنما عرفه إشارة إلى العمل الصالح المرضي لله تعالى والمفعول لوجهه.

(ويُرجّي(5) التوبة): يأملها ويظنها.

---

(1) في (ب): تهوراتهم.
(2) اللّكنة: عجمة في اللسان وعيٌّ. (مختار الصحاح ص603).
(3) في نسخة: الأجر، (هامش في ب).
(4) في نسخة: بغير عمل، (هامش في ب)، وكذا في شرح النهج.
(5) في شرح النهج: ويرجو.

*(2156/6)*

---

(بطول الأمل): وهو مع ذلك طويل الآمال بعيدها، ومن حق راجي التوبة قصر أمله ليحسن عمله بعد ذلك.

(يقول في الدنيا بقول الزاهدين): أي يظهر الرغبة عنها بلسانه، وينطق بالزهد فيها.

(ويعمل فيها بعمل الراغبين): وإذا نظرت إلى أعماله وجدتها عمل من هو راغب فيها مجتهد في تحصيلها، مكبٌّ على التحيل في طلبها.

(إن أعطي منها لم يشبع):لم تنقطع شهوته عنها وإن عظم إعطاؤه منها.

(وإن منع منها لم يقنع):لم يكن ذلك قنوع منه ولا رغبة في الآخرة؛ لشدة تلهفه على الدنيا.

(يعجز عن شكر ما أوتي): لا يقوم بشكر ما خوّل من نعم الدنيا.

(ويبتغي الزيادة فيما بقي): أراد إما فيما بقي من عمره، وإما فيما بقي فيما لم يعط إياه من قبل.

(ينهى(1)): غيره عن فعل المنكر وعن الإتيان بالمعصية.

(ولا ينتهي): عن ذلك كله.

(ويأمر بما لا يأتي(2)): من الطاعات وفعل الأعمال الصالحة.

(يحب الصالحين): بإظهار ذلك من قلبه ولسانه.

(ولا يعمل عملهم): بالطاعة لله والانقياد لأمره.

(ويبغض المذنبين): يكرههم بقلبه ولسانه.

(وهو أحدهم): يعني من جملة من أتى بالذنوب، وجاء بالمعاصي، فلهذا قال: وهو أحدهم.

(يكره الموت): لا يحب أن يموت قط.

(لكثرة ذنوبه): من أجل ما يسوءه عقيبه من كثرة ذنوبه، والعقاب عليها.

(ويقيم على ما يكره الموت له(3)): ومع كراهته للموت فهو مقيم على المعصية التي يكره الموت من أجلها وبسببها.

(إن سقم ظل نادماً): على مافاته من اللهو والطرب والمعصية لأجل سقمه.

---

(1) في (ب): وينهي.

(2) في شرح النهج: ويأمر الناس بما لم يأتِ.

(3) في شرح النهج: على ما يكره الموت من أجله.

*(2157/6)*

---

(وإن صحَّ ظل(1) لاهياً): في لذاته منهمكاً في طلب شهواته.

(يعجب بنفسه إذا عوفي): يصيبه العجب العظيم بنفسه إذا تنعم بالعافية وترفه في لذاتها.

(ويقنط إذا ابتلي!): وييأس من رحمته إذا أصابه بلوى في جسمه.

(إن(2) أصابه بلاء): ألم في جسمه أو مصيبة وجائحة في ماله.

(دعا مضطراً): على جهة الاضطرار لكشف ما هو فيه من الاضطرار.

(وإن ناله رخاء): تمكن في المعيشة.

(أعرض): عن الله، وشمخ بأنفه.

(مغتراً): مخدوعاً بالأماني الكاذبة والتسويفات الباطلة، وكأنه عليه السلام يشير بكلامه هذا إلى قول الله تعالى(3): {وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرّ مَسَّهُ}[يونس:12]، وقوله تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ}[فصلت:51]، {وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ}[فصلت:49]، وفي آية أخرى: {فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}[فصلت:51].

(تغلبه نفسه على ما يظن): أراد أنه(4) ينقاد للأطماع المظنونة، وتغلبه نفسه على اتباعها من غير قطع عليها.

(ولا يغلبها على ما يستيقن): يعني أن الثواب مقطوع به مستيقن حصوله، ومع ذلك فإنه لا يقهرها على الأعمال الصالحة التي تكون سبباً في الوصول إليه.

(يخاف على غيره): من أفناء الناس.

(بأدنى من ذنبه): يريد أن ذنبه عظيم وهو لا يخافه، وذنب غيره دون ذنبه، وهو مع ذلك يشفق عليه من النار مخافة أن يقع فيها.

---

(1) في نسخة : أمن (هامش في ب)، وهي كذلك في شرح النهج.

(2) في (ب): إذا، وفي شرح النهج: وإن.

(3) في (ب): إلى قوله تعالى.

(4) أنه، سقط من (ب).

(ويرجو لنفسه بأكثر من عمله): يعني أنه يأمل لنفسه من الثواب وارتفاع الدرجات عند الله تعالى، بأكثر مما يستحق من جزاء عمله إذا عمل.

(إن استغنى): عن الناس بأن أغناه الله تعالى.

(بطر): تجاوز الحد في كفران النعمة.

(وفتن): في دينه بالخروج عنه.

(وإن افتقر): إلى الناس، واحتاج إلى ما في أيديهم.

(قنط): يئس عن خير الله تعالى.

(ووهن): ضعف في أحوال دينه، ويزلّ فيه.

(يُقَصِّر إذا عمل): يعني إذا عمل شيئاً من الأعمال التي يرجو بها وجه الله تعالى فهو في غاية التقصير في تأديتها على الوجه المرضي عند الله تعالى(1).

(ويبالغ إذا سأل): يعني ويلح في المسألة إذا سأل غيره شيئاً من حطام الدنيا.

(إن عرضت له شهوة): سنحت وعنَّت في مأكل أو مشرب أو ملبس.

(أسلف المعصية): قدّمها من أجل حصوله على شهوته.

(وسوَّف التوبة): عما أتاه من المعصية، وقال: سوف آتي بها بعد حين.

(وإن عَرَته محنة): التبسته وخالطته، من قولهم: عراه الجنون إذا خالطه، وأراد إذا خالطه شيء من البلاوي والامتحانات.

(انفرج عن شرائط الملة): انكشف وزال عن رسوم الدين وحدوده.

(يصف العبرة): بلسانه.

(ولا يعتبر): يظهر الاتعاظ في أفعاله ولا يُرَى عليه أثر الاعتبار.

(ويبالغ في الموعظة): لغيره من أفناء الناس.

(ولا يتعظ): ينزجر عن فعل القبائح في نفسه.

(فهو بالقول مُدِلٌّ): أي فهو(2) بما يقوله من جهة لسانه من الدين واثق مستظهر.

(ومن العمل مُقِلٌّ): يعني ومن عمل الآخرة وطاعاتها في غاية الإقلال.

(ينافس فيما(3) يفنى): المنافسة هي: الرغبة في الشيء على جهة المباراة للغير فيه، والمزاحمة له في فعله.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) فهو، سقط من (ب).
(3) في (ب): بما.

*(2159/6)*

---

(ويسامح فيما يبقى): أي ويستسهل فيما يكون خيره باقياً، وغرضه من هذا كله منافسته في أعمال الدنيا، وتساهله في أعمال الآخرة.

(يرى الغنم مغرماً): يعني أنه إذا أعطى الزكاة والصدقة فهو(1) غنم في الحقيقة؛ لما فيها من إعظام الأجر، ويراها غرماً لثقلها عليه وكراهته لإخراجها.

(والغرم مغنماً): ويرى منع الزكاة والصدقة غنيمة بخلاً وضِنّة بهما، وذلك مغرم في الحقيقة لما فيه من العقاب والوعيد.

(يخشى الموت): يخاف هجومه عليه ويشفق من موافاته.

(ولا يبادر الفوت): أي ولا يعاجل ما يفوته من الأعمال الصالحة عند موته وينقطع عنه من ذلك.

(يستعظم من معصية غيره): يستكبر ذلك في نفسه ويهول في وقوعه ويستنكر.

(ما يستقلُّ أكثر منه من نفسه): ما يكون أكثر منه قليلاً إذا وقع من جهة نفسه، ولا يُرى لذلك أثر.

(ويستكثر من طاعته): يعده(2) كثيراً في نفسه، ويستعظم:

(ما يحقِّره من طاعة غيره): يعني إذا وقع من ذلك في حق غيره استحقره واستقله.

(فهو على الناس طاعن): في أفعالهم وطاعاتهم، مولعاً بالاعتراض عليهم في جميع أحوالهم.

(ولنفسه مداهن): المداهنة: المصانعة، وأراد أنه غاش لنفسه في ذلك، يقال: أدهنت في الأمر إذا غششت فيه.

(اللهو مع الأغنياء): إفراط المزاح والطرب بأنواع الملاهي.

(أحب إليه من الذكر مع الفقراء): أميل إلى قلبه من أن يكون ذاكراً لله تعالى مع أهل الفقر والمسكنة.

(يحكم على غيره لنفسه): يريد أنه يستوفي حقه ممن كان عليه لنفسه ويوفيها إياه.

(ولا يحكم عليها لغيره): يعني وإذا كان عليه حق لغيره من الناس فهو غير موف له من جهة نفسه.

(ويرشد غيره): يدله على مواضع الرشد.

---

(1) في (ب): فهي.
(2) في (ب): يراه.

(ويغوي نفسه): بسلوك طريق الضلال، وتعمية الحق على نفسه.

(فهو يطاع): فيما قال وأمر وحكم على غيره بشيء من الأحكام.

(ويعصي): أي ويخالف في جميع ما أمر به ونهي عنه.

(ويستوفي) حقه في كيل أو وزن أو غير ذلك.

(ولا يوفي): من جهة نفسه بشيء من ذلك.

(ويخشى الخلق): يخافهم ويشفق منهم.

(في غير رَبِّه): يريد أن خشيته للخلق ليس في أمر من أمور الدين، ولا من الأمور المتعلقة بالله تعالى، وإنما كانت من أجل ما بينه وبينهم من المعاملة.

(ولا يخشى رَبَّه في خلقه): أي ولا يخاف الله في خيانته في معاملة الخلق ونقص حقوقهم، فصار خائفاً للخلق، وخوفه لغير الله، وإنما خوفه لما يلحقه من مضرة الخلق، ولا يخاف الله فيما يفعله بالخلق.

وأقول: لقد عظم هذا الكلام وأوفى، وأغنى عن غيره في النفع وكفى، وبالغ في الزجر والموعظة وشفى، ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكان خليقاً بأن يكون تبصرة لمبصر، وعبرة لناظر مفكر، وكيف لا وهذا بالإضافة إلى ما اشتمل عليه من الأسرار والرموز، وتضمنه من الجواهر والكنوز كغرفة من بحر لجي كما قررناه.

[145] (لكل أمر(1) عاقبة): أي منتهى وغاية يصل إليها ولا يتجاوزها.

(حلوة): تشتهيها النفوس وتميل إليها.

(أو مرة): تنفر عنها الطباع ولا تلائمها.

[146] (لكل مقبل): من جميع الأمور كلها.

(إدبار): تقضي وزوال، وذلك لأن الدنيا كلها إلى نفاد فما أقبل منها من علم أو عمل أو عمر أوسعادة أو بلوى، فلا بد من تقضيه وزواله.

(وما أدبر): تقضَّى وزال(2).

---

(1) في شرح النهج: امرئ.

(2) في (ب): تقضياً وزوالاً.

(كأن لم يكن(1)):كأنه في الحقيقة ما كان ولا كان له حصول ووجود، وهذا كله من شؤم الدنيا وهوانها، أن كل ما أقبل منها فلا بد له من إدبار، وما أدبر منها كأنه ما وجد في حال أصلاً.

اللَّهُمَّ، اجعل عاقبة أمرنا، وقصارى أحوالنا رضوانك والفوز بكرامتك.

[147] (لا يَعْدَمُ الصبور الظفر): أراد أن كل من كان صابراً على تحصيل مراد وغرض في الدين والدنيا، فعن قريب وقد حصل له الظفر بمراده.

(وإن طال به الزمان): وإن تراخت الأيام والليالي فعاقبته ذلك.

[148] (الراضي بفعل قوم كالداخل معهم(2)): أراد أن كل من كان راضياً بأفعال قوم فحكمه حكمهم، وظاهر(3) كلامه هذا دالٌّ على أن الرضا بالكفر يكون كفراً، والرضا بالفسق يكون فسقاً، فمن رضي بأفعال الكفار، فقد دخل معهم في الكفر، وهكذا حال الفُسَّاق، ومن رضي بأفعال قوم فقد تولاهم لأجل ذلك، وقد قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[المائدة:51]، وكثرة الخوض في مثل هذا يحرك علينا قطباً من أسرار الإكفار وذكر حقيقة الموالاة وحكمها، وفيه خروجنا عن مقصد الكتاب، وقد رمزنا إلى حقائق القول فيه في الكتب الدينية.

(وعلى كل داخل في باطل إثمان): أراد أن كل من فعل معصية فسقاً كانت أو كفراً أو غير ذلك مما ليس كفراً ولا فسقاً، فلابد فيها من وجهين في الإثم.

(إثم العمل به): الإقدام على فعله وقد نهي عنه.

(وإثم الرضا به): إرادته.

---

(1) في (ب): كان كأن لم يكن.

(2) في شرح النهج: كالداخل فيه معهم.

(3) في (ب): فظاهر هذا كلامه...إلخ.



---

سؤال؛ كلام أمير المؤمنين ها هنا مخالف لما قالته المعتزلة وغيرهم من المتكلمين من أن أقل المعاصي يستحق عليها جزءان من الإثم، وها هنا قال: لا يستحق عليها إلا جزء واحد، على الفعل جزء، وعلى الرضا جزء فما وجهه؟

وجوابه؛ هو أنه عليه السلام ليس غرضه ذكر ما يستحق على المعصية من أجزاء العقاب، فيكون ما قاله السائل طعناً في كلامهم، وإنما غرضه أن الفعل لا يفعل إلا مع كونه مرضياً، فأراد أن يبين

أن على مطلق الفعل إثم، وعلى مطلق الرضا إثم آخر غير ذلك الذي على الفعل، ولم يرد تقرير(1) مقدار أقل ما يستحق على المعصية من الآثام والعقاب.

[149] (إعتصموا بالذمم): يعني العهود والمواثيق، وعصمتها: منعها عن النقض والإخلاف فيها.

(في أوتادها(2)): فيه وجهان:

---

(1) في (ب): تقدير.

(2) هذه الحكمة في شرح النهج لفظها: (استعصموا بالذمم في أوتارها)، قال ابن أبي الحديد في شرح ذلك في شرح النهج 372/18: أي في مظانها ومركزها، أي لا تستندوا إلى ذمام الكافرين والمارقين، فإنهم ليسوا أهلاً للاستعصام بذممهم، كما قال تعالى: {لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة} وقال: {إنهم لا أيمان لهم}._ ... _وهذه كلمة قالها بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليبايعوه، منهم مروان بن الحكم، فقال: وماذا أصنع ببيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس! يعني بعد قتل عثمان، ثم أمر بإخراجهم ورفع نفسه عن مبايعة أمثالهم، وتكلم بكلام فيه ذمام العربية وذمام الإسلام، وذكر أن من لا دين له فلا ذمام له، ثم قال في أثناء الكلام: (فاستعصموا بالذمم في أوتارها) أي إذا صدرت عن ذوي الدين، فمن لا دين له لا عهد له. انتهى.

*(2163/6)*

---

أحدهما: أن يريد المواظبة على ما يعلق على العقود والمواثيق من الأفعال والتحفظ بها، كما يكون الوتد حفظاً لما يعلَّق عليه من الأمتعة.

وثانيهما: أن يكون مراده التشدد في العهود والمواثيق، استعارة له من شدة الوتد وضربه في الجدار.

[150] (عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته): يشير بذلك إلى معرفة الله تعالى، فإنه لا عذر لأحد في الجهل به(1)، لما فيه -أعني العلم به- من اللطف، والمصلحة والتقريب من الطاعة، والانكفاف عن المعصية؛ لأن مع معرفته يحصل الداعي إلى الطاعة وهو الثواب عليها، ويحصل الانكفاف عن المعصية بما يستحق عليها من العقاب.

[151] (قد بصرتم): إما من البصر وهو رؤية الأدلة الباهرة على وجود الصانع وتوحيده، وإما من البصيرة بما عرَّفنا به من الهداية، والآداب والحكمة.

(إن أبصرتم): إن استعملتم أبصاركم وبصائركم في ذلك.

(وقد هديتم): إلى الدين.

(إن اهتديتم): طرقه وأحكامه.

[152] (عاتب أخاك بالإحسان إليه): يعني إذا سمعت ما تكرهه من أخيك المؤمن فاجعل العتاب له

هو الإحسان إليه.

(واردد شره بالإنعام عليه): أراد واردد ما وصل منه من الشر إليك بالإفضال عليه من جهتك، فإن ذلك يكون أدعى إلى انكفافه عن الشر إليك، وأقرب إلى ارعوائه عما كان فيه من إيصال الإيذاء.

[153] (من وضع نفسه مواضع التهمة): في الأماكن التي تكون سبباً في التهمة وطريقاً إليها.

---

(1) به، زيادة في (ب).

*(2164/6)*

---

(فلا يلومن(1) من أساء به الظن): يعني فلومه من جهة نفسه لكونه فعل ذلك، ولا لوم على من ساء ظنه فيه بالتهمة له في ذلك، وفي الحديث: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم))(2).

[154] (من ملك): أمراً من الأمور، أو(3) كان له قدرة على غيره.

(استأثر): أي استبد بما يملكه من ذلك، ولم يرض المشاركة فيه.

[155] (من استبد برأيه هلك): يشير إلى أنه يتطرَّق إليه الزلل فلا يأمن الهلكة في بعض آرائه.

(ومن شاور الرجال): أخذ آرائهم في القضايا، واستمد منهم المصالح في الرأي.

(شاركها في عقولها): يريد أن الرأي هو غاية فهم الإنسان ونهاية عقله، فإذا أخذته من صاحبه فقد شاركته فيما يُوصِّل إليه عقله من ذلك.

[156] (ومن كتم سره كانت الخِيَرَةُ بيده): يعني أنه إذا كتم السر كان مخيراً في الإقدام والإحجام، وكان مالكاً لأمره، وبعد إفضائه لسره لا يكاد يملك ذلك من حاله وأمره.

[157] (الفقر هو الموت الأكبر): إنما كان أكبر لوجهين:

أما أولاً: فلأن الفقر في بعض الأحوال يتمنى صاحبه عنده الموت، وهو خروج الروح، وما كان يتمنى عنده الموت فهو أخف لا محالة وأصغر عنده مما يلاقيه من ذلك.

وأما ثانياً: فلأن الموت الذي هو خروج الروح فيه راحة للأبدان والخواطر والقلوب والجوارح، والفقر فيه عذاب لهذه الأشياء، فلهذا قال: هو الموت الأكبر يشير إلى ما ذكرناه، وفي الحديث: ((ما من بر ولا فاجر إلا وبطن الأرض خير له من ظهرها))، فهذا فيه إشارة إلى الراحة التي ذكرناها بالموت، وعن هذا قال بعضهم:

ليس من مات فاستراح بميت

---

(1) في (أ): فلا يلوم، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(2) رواه العلامة المفسر الزمخشري في الكشاف 450/2، 568/3.

(3) في (ب): وكان.

*(2165/6)*

---

إنما الموت في سؤال الرجال

وفي الحديث: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ بالله من الفقر))(1).

اللَّهُمَّ، أدخلنا في دعوته المباركة، وأشملنا ببركتها.

[158] (من(2) قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبَّده): يعني إذا كنت مساعداً لغيرك في قضاء حوائجه، ومبادراً إليها في تحصيلها، وهو لا يقضي لك حاجة قط، فهذه هي العبودية والذل والتصاغر الذي هو من شأن العبيد.

[159] (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق): يعني أن طاعة أولي الأمر فيما يأمرون به إنما هو فيما هو طاعة لله تعالى، ووجوب ذلك إنما هو بإيجاب الله تعالى، فإذا كان معصية ومخالفة لله فلا تتوجه طاعتهم بحال.

ويحكى أن خالد بن الوليد أمَّره الرسول على سرية، فأجج لهم ناراً وأمرهم بالاقتحام فيها، فمنهم من اقتحم لما أمره ومنهم من أبى ذلك، فلما بلغ ذلك الرسول قال: ((لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق))(3)، فهذه هي من كلام الرسول كما أوضحناه.

---

(1) وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة)) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 215/2، وعزاه إلى سنن النسائي الكبرى (المجتبى) 261/8، والمستدرك للحاكم النيسابوري 540/1، والسنن الكبرى للبيهقي 12/7، وإتحاف السادة المتقين 350/4، 271/9، والمعجم الكبير للطبراني 50/9 إلى غيرها. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه: ((اللهم، إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك)) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج6/.191

(2) في (ب): ومن.

(3) الحديث ورد في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 265/7، وعزاه إلى مصنف ابن أبي شيبة546/12، والدر المنثور177/2، وتأريخ بغداد 145/3، 22/10، وتأريخ أصفهان133/1.

*(2166/6)*

[160] (لا يعاب الرجل(1) بتأخير حقه): يعني لا نقص عليه في ذلك، بل ذلك يكون من جملة التفضلات بتأخير الآجال وتراخيها، وفيه إشارة إلى أنه لا نقص عليه في تركه للقيام بالإمامة؛ لأنه كما لا يعاب بالتأخير فلا يعاب أيضاً بالترك؛ لأنه إسقاط لحقه لا غير.

(إنما يعاب من أخذ ما ليس له): لأنه يكون ظالماً لا محالة، فلا جرم توجه اللوم والذم إليه.

[161] (الإعجاب يمنع الازدياد): [يعني أن من دخله](2) الإعجاب في عمله فقد استكثره ورآه عظيماً في عينه، ومع هذا يفتر عن الزيادة وتكبر عليه، وتصور الكثرة يمنع من الزيادة.

[162] (الأمر قريب): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن أمر الدنيا قريب هين فلا حاجة إلى التعريج عليها، وفي الحديث: أن الرسول رأى ابن عمر يصلح جداراً، فقال: ((الأمر أقرب من هذا))(3).

وثانيهما: أن يكون مراده أن أمر الآخرة قريب، فينبغي الالتفات إليها والمواظبة على إحرازها.

---

(1) في شرح النهج: المرء، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب): لأن من داخله الإعجاب...إلخ.

(3) روى قريباً منه القاضي العلامة محمد بن مطهر الغشم في رضا رب العباد ص34 عن عبد الله بن عمر، قال: مر بي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أطين حائطاً أنا وأمي فقال: ((ما هذا يا عبد الله؟)) فقلت: يا رسول الله، وَهِيَ فنحن نصلحه، فقال: ((الأمر أسرع من ذلك)) وفي رواية: ((ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك)) قال: رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه.

*(2167/6)*

---

(والاصطحاب قليل): يعني في ذات الله قليلة، والاصطحاب هو: المصاحبة، وهو افتعال، لكن الصاد إذا لاقت تاء الافتعال تقلب طاء، ومع الضاد في نحو اضطرب(1)، ومع الطاء في نحو اصطلم، ومع الدال ذالاً في نحو اذدكر.

[163] (قد أضاء الصبح لذي عينين): هذا مثل يضرب لمن اتضح له معرفة الشيء ثم تغافل عنه، وأعرض عن رؤيته، والمعنى أن الصبح يدرك إضاءته من كان مهتماً بإدراكه، وله عينان يدرك بهما.

[164] (ترك الذنب أهون من طلبة(2) التوبة): لأمرين:

أما أولاً: فلأن في ترك الذنب إهمالاً عن الاشتغال بالتوبة وفعلها وإراحة للنفس عن ذلك.

وأما ثانياً: فلأن في ترك الذنب سلامة؛ لأنه لا يدري إذا فعل التوبة هل يؤديها بشروطها فتكون مقبولة أو(3) لا، وفي ترك الذنب سلامة عما ذكرناه كله، وهو يضرب مثلاً فيمن يفعل أمراً كان له(4) عنه مندوحة وسعة.

[165] (كم من أكلة منعت أكلات): يشير إلى أن الإنسان إذا أكل أكلة زائدة على ما يعتاده فربما لم تتسع لها معدته، فتصيبه هيضة(5) فتمنعه عن أكلات كثيرة، وربما يضرب مثلاً لمن يفعل فعلاً فيمنعه تعاطي أفعال كثيرة، لو لم يفعله لأمكنه فعلها.

[166] (الناس أعداء ما جهلوا): ما عرفه الإنسان وأحاط به علماً فهو ملائم له موافق(6) لمزاجه، فلهذا تكثر مراجعته له، ويزداد النظر فيه، وما جهله فهو نافر عنه مخالف لطبعه، ويكون هاجراً له لا يعلق بخاطره(7) كأنه عدو له في المهاجرة وقلة الاحتفال بأمره.

---

(1) في (ب): اضطراب.

(2) في (ب) وشرح النهج: طلب.

(3) في (ب): أم لا.

(4) له، سقط من (ب).

(5) الهيضة: معاودة المرضة بعد المرضة. (القاموس المحيط ص848).

(6) في (ب): وموافق.

(7) في (ب): لاتعلق له بخاطره.

*(2168/6)*

---

[167] (من استقبل وجوه الآراء): بالنظر الصائب والفكر المستقيم(1).

(عرف وجوه(2) الخطأ): عند تصفحه لها واستعمال الفكرة الصائبة فيها.

[168] (من أخذ(3) سنان الغضب لله): أخذ السنان استعارة، وأراد من تسلح الغضب من أجل إعزاز دين الله وإعلاء كلمته.

(قوي على قتل أشداء الباطل): الأشداء: جمع شديد كنبي وأنبياء، وأراد قوَّاه الله ونصره على قتل من كان شديد الشكيمة(4) في الباطل وناصراً له، ويروى: (آساد الباطل): وهو: جمع أسد أي شجعان الباطل، وأهل الشطارة(5) فيه.

[169] (إذا هبت أمراً فقع فيه): يعني إذا كنت خائفاً من أمر ومشفقاً من الوقوع فيه فافعله، وادخل فيه وتلبس به.

(فإن توقيه(6) أعظم مما تخاف منه): أراد فإن محاذرتك من الوقوع فيه أدخل ألماً وأعظم خوفاً من فعله.

[170] (آلة الرياسة): يعني قاعدتها، والأصل الذي تكون مبنية عليه.

(سعة الصدر): احتمال كل مكروه للخلق والصبر على علاجهم، والتغمد لما يجري منهم.

[171] (ازجر المسيء بثواب المحسن): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد اذكر للمسيء(7) العاصي ثواب المحسن المطيع فلعله بذكرك لثوابه ينقرع(8) عن إساءته ويكف عنها، ويغار على تركه لثواب المحسن.

---

(1) في (ب): السليم.

(2) في شرح النهج: مواقع، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) في شرح النهج: من أحدَّ.

(4) فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفاً أبياًّ. (مختار الصحاح ص345).

(5) الشاطر: الذي أعيا أهله خبثاً. (المرجع السابق ص337).

(6) في شرح النهج: فإن شدة توقيه ...إلخ.

(7) في (ب): المسيء

(8) في (ب): أن ينقرع.

*(2169/6)*

---

وثانيهما: أن يكون مراده كفَّ من أساء إليك بالإحسان إليه، فإن كفَّك له بالإحسان إليه يكون زجراً له عن الإساءة إليك.

[172] (اقلع(1) الشر من صدر غيرك، بقلعه من صدرك): يريد إذا كانت الشحناء بينك وبين غيرك وأردت زوالها وإبعادها، فَأَزِلْهَا أولاً عن قلبك فإنها لا محالة تزول من صدر صاحبك(2) ثانياً، وهذا ظاهر فإنه لا يمكنه علاج نفس غيره، وإنما قدرته على علاج نفسه، وعند إزالة ذلك الوَحَر(3) من صدره، تنجذب نفسه وتسلس خلائقه فيكون من ذاك(4) مثله لا محالة، وفي ذاك(5) زواله بالكلية.

[173] (اللجاجة تسل الرأي): أي تزيله بسهولة، من قولهم: سللت الشعرة من العجين إذا أخرجتها، وأراد أن اللجاج إذا عظم وكثر زالت معه الإصابة وفسد الرأي كله.

[174] (الطمع رقٌّ مؤبد): يريد مهما كان الإنسان طامعاً فلا يزال في رق العبودية لمن هو طامع منه، لا فكاك لرقه، ولاخلاص له عنه.

[175] (ثمرة التفريط الندامة): أي لكل شيء ثمرة، وثمرة من فرط في عمل من أعمال(6) الدنيا والدين هو الأسف على ذلك العمل، وإحراز فرصته.

(ثمرة(7) الحزم السلامة): أراد أن كل من حَزُمَ في أحواله وبناها عليه، فإنه يسلم لا محالة مما كان يحاذره ويخافه.

---

(1) في شرح النهج: احصد.

(2) في (ب): من صدر غيرك صاحبك.

(3) الوَحَر بفتحتين: الغل.

(4) في (ب): ذلك.

(5) في (ب): ذلك.

(6) أعمال، سقط من (ب).

(7) في شرح النهج: وثمرة.

*(2170/6)*

---

[176] (لا خير في الصمت عن الحكم): المراد بالحكم ها هنا الحكمة، وأراد أنه لا فائدة في الصمت عن التكلم بالحكمة، فالنطق بها خير من الصمت عنها، وما ورد من جهة الشرع في إيثار الصمت إنما هو فيما هو لا حكمة فيه، وإليه تشير ظواهر الآي والأخبار إلى ما ذكره ها هنا.

(كما أنه لا خير في القول بالجهل): يريد أنهما سيَّان، فترك الكلام بالحكم مثل النطق بالقول الجهل في الضرر والمفسدة.

[177] (ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة): فيه روايتان:

أحدهما: بالياء بنقطتين من أسفلها وهو تثنية دعوى، وأراد من ادَّعى شيئاً وادَّعى آخر خلافه في المسائل الدينية والأحكام العقلية، وما يكون طريقه القطع، فلا بد من أن تكون أحدهما لا محالة خطأ وباطلاً.

وثانيهما: بالتاء بنقطتين من أعلاها، وهي تثنية دعوة، وغرضه من دعا إلى حق ودعا غيره إلى خلافه، فلا(1) بد من أن تكون أحدهما ضلالة، وهي التي تخالف الحق.

[178] (ما شككت في الحق مذ أُرْيِتُه(2)): يشير بهذا إلى استقامة طبعه وسلامة نظره عن الميل عن الحق، وعصمة الله له عن الخطأ في الدين والاعتقاد، وغرضه من هذا كثرة الانقياد منه للحق عند معرفته بكونه حقاً وصواباً.

[179] (ما كَذَبْتُ): كذبة على الله تعالى(3) ولا على رسوله، ولا نقلت حديثاً يخالف ما هو عليه.

(1) في (ب): ولا بد.

(2) في (ب): رأيته.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(2171/6)

---

(ولا كذبت): فإن كان مبنياً لما سمي فاعله فالغرض أني ما كذَّبت الرسول ولا أحداً من الأنبياء قبله فيما جاءوا به من عند الله، وإن كان مبنياً لما لم يسم فاعله(1)، فالغرض أني ما نقلت شيئاً من الرسول ولا عن غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم ولا عن الله فكذبني فيه أحد ممن رويته له ونقلته إليه.

سؤال؛ أليس الخوارج قد كفروه وخطاؤه فيما فعل من التحكيم، وهذا تكذيب له في مقالته؟

وجوابه؛ هو أن إكفارهم له ليس تكذيباً له فيما أخبر به عن نفسه، ولا فيما أخبر به عن الله وعن رسوله، فيكون طعناً على ما ذكرناه، وإنما كفَّروه لاعتقادهم أنه أخطأ فيما حكَّم من الحكمين، وكل خطأ فهو كفر، فإكفارهم له من هذا الوجه، لا من جهة التكذيب، وفي ذلك صحة ما قلناه.

(ولا ضللت): عن الحق، وزغت عن طريقه.

(ولا ضُلَّ بي): أي ولا كان من جهتي بسبب(2) فعلته مما يضل به أحد من الخلق، ولا بد من تأويله على ما ذكرناه.

فأما(3) كونه سبباً لضلال كثير من الخلق مثل الخوارج وغيرهم من غير فعل سبب من جهته ضلوا به، فهذا قد وجد وحصل، وإنما الغرض تأويله على ما ذكرناه ليستقيم.

[180] (للظالم(4)): بإيلام غيره أوبأخذ حقه.

(البادِي): السابق لغيره بالظلم في ذلك.

(غداً): يعني يوم القيامة.

---

(1) أي كُذِّبْتُ.

(2) في (ب): ولا كان من جهتي ضلال بسبب فعلته ...إلخ.

(3) في (ب): وأما.

(4) في (أ): الظالم، والصواب ما أثبته من (ب) وشرح النهج.

(2172/6)

(بكفه عضة): عض الكف كناية عن الندم، وأراد أنه يندم على ما فعله يوم القيامة من البداية بالظلم، ومصداق ذلك قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}[الفرقان:27]، أي يندم على ما فعله حسرة وتأسفاً(1) على إقدامه عليه.

[181] (الرحيل وشيك): وشك الأمر إذا قرب، وأراد أن الارتحال إلى الآخرة يقرب حاله.

[182] (من أبدى صفحته للحق هلك): صفحة كل شيء جانبه، وأراد من جاهر بالجدال بالباطل، وأعرض عن قبول الحق فسد وبطل أمره.

[183] (من لم ينجه الصبر): على الأمور كلها.

(أهلكه الجزع): أراد أنه إذا لم يكن في الصبر على المصائب وجميع البلاوي نجاة عن الشرور، فالجزع فيها هو الهلاك بعينه، كما قالوا: من لم ينجه الصدق أوبقه الكذب.

[184] (واعجبا أتكون(2) الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة): هذا الكلام وارد على جهة الرد على من زعم تقرير إمامة أبي بكر وعمر بالصحبة، فقال متعجباً من ذلك كيف تكون ثابتة بالصحابة فقط! ولا تكون ثابتة لمن ثبت في حقه الصحابة والقرابة جميعاً! فهو لا محالة يكون أحق وأولى لأمرين:

أما أولاً: فلأن ما ثبت في حق غيره فهو ثابت في حقه، على أكمل وجه وأتمه.

وأما ثانياً: فلأن القرابة إن لم تكن سبباً في استحقاق الخلافة وتقريرها، فلا أقل من كونها عاضدة ومقوية للصحبة، فلهذا كان أحق بالخلافة على ما يزعمونه من ذلك.

(وقد روي له في هذا شعر وهو قوله يخاطب أبا بكر:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبي وأقربُ):

---

(1) في (ب): أي يندم على فعله حسرة وأسفاً.

(2) في شرح النهج: واعجبا أن تكون ...إلخ.

الشورى هي: المشاورة في الأمر، وأراد أخبرني بما حصلت لك الخلافة، وملك أمور الأمة والرئاسة عليها، فإن كان بالمشاورة من جهة الفضلاء من الأمة وجماهير الصحابة فالأكثر منهم كان غائباً لم يحضر هذه المشورة، فكيف تدَّعي الإجماع في ذلك من بعض الأمة دون بعض، وما هذا حاله لا يُعدُّ إجماعاً، وإن كان بالقربى من جهة الرسول حججت من قال من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، وقلت: هذا الأمر لا يكون إلا في هذا البطن من قريش، ومن كان يقرب إلى الرسول ويدنو منه في نسبه وقرابته(1) منه، فإن كان الأمر كما قلته، فغيرك يشير إلى نفسه أدنى منك قرابة وأولى منك اختصاصاً ومودة، وهذا كلام(2) بالغ في قطع لاحتجاجه(3) بما ذكر من دعوى الإجماع واختصاصه بالقرابة، ولا زيادة على ما ذكره وقرره.

[185] (إنما المرء في الدنيا غرض): الغرض: ما يرمى.

(تنتضل فيه المنايا): أي ترميه بسهامها.

(ونهب تبادره المصائب): النهب: اسم للمنهوب تسمية له بالمصدر كالصيد فيما يصاد أي تسابقه المصائب.

(ومع كل جرعة شَرَقٌ): الشَرَقُ: عبارة عما يشتجر في الحلق فلا يسوغ.

(وفي كل أكلة غصص): إما جمع غصة إن كان بضم الغين، وإن كان بفتحها فهو مصدر غصه، وهو عبارة عما يكون في الحلق أيضاً.

---

(1) في (ب): في نسبة وقرابة.

(2) في (ب): وهذا الكلام.

(3) في (ب): وقطع لاحتجاجه، وكتب تحتها: في قطع احتجاجه.

*(2174/6)*

---

(لا ينال(1) العبد نعمة إلا بفراق أخرى): يشير إلى أن النعمة في الوقت الثاني مغايرة للنعمة في الوقت الأول من القدرة والحياة والشهوة وإكمال العقل، وهذه كلها لا ينالها في الوقت الثاني إلا بعد مفارقتها(2) للوقت الأول؛ لاستحالة خلاف ذلك.

(لا يستقبل(3) يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله): أراد أن كل ما يستقبله الإنسان من الأيام فهو معدود من عمره، وما يمضي عليه من الأيام فهو معدود من أجلهِ، وإنما كان الأمر كما قلناه؛ لأنه لا يصل إلى أجله إلا بعد انقطاع عمره وذهابه، وليس الذاهب إلا ما يمضي دون ما يكون

مستقبلاً، فلهذا قال: بفراق آخر من أجله، يشير إلى هذا.

(فنحن أعوان المنون): أراد أنا نعين المنية على ذهاب الأرواح بما يكون من تقضي الآجال وذهابها.

(وأنفسنا نصب الحتوف): أراد أنها منصوبة لما يعرض لها من الحتف وهو الموت.

(فمن أين نرجو البقاء، وهذا الليل والنهار): أراد كيف نتصور الدوام لأحد من الخلق مع جري هذا الليل والنهار وإسراعهما وقطعهما للأعمار، اللذين لا يزالان جديدان على ممر الدهور وتكرر الأعوام.

(لم يرفعا من شيء شرفاً): يعني ما رفعا لأحد حالاً من شرف أو كرم، أو ارتفاع قدر وخطر.

(إلا أسرعا الكرة): كانت العودة من جهتهما سريعة.

(في هدم ما بنياه): من ذلك.

(وتفريق ما جمعاه!): وغرضه من هذا إشارة إلى تغير(4) الأحوال بتكرر الليل والنهار وجريهما، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}[آل عمران:140].

---

(1) في (ب) وشرح النهج: ولا ينال.

(2) في (ب): مفارقة.

(3) في (ب) وشرح النهج: ولا يستبقل.

(4) في (ب): تغيير.

*(2175/6)*

---

[186] (يا ابن آدم، ما كسبت(1) فوق قوتك): يعني ما زاد من الجمع فوق مقدار القوت لك، ولمن تحت يدك وتمونه من الأولاد.

(فأنت فيه خازن لغيرك): يعني ادخارك له تكون فيه بمنزلة الخزان لمن يأتي فينفقه؛ لأنك لا تنتفع به وإنما ينتفع به غيرك.

[187] (إن(2) للقلوب شهوة): للشيء(3) ونفرة عن غيره من جميع ما يُشتهى ويُلتذ به.

(وإقبالاً، وإدباراً): تقبل تارة، وتدبر أخرى.

(فأتوها): على جهة الاغتنام لها والرغبة من جهتها.

(من قِبَلِ شهواتها): في الأوقات التي تشتهي فيه.

(وإقبالها): وفي حال إقبالها.

(فإن القلب إذا أكره عمي): يعني إذا أتي له في حال كراهته عمي، فلا يستطيع البصر لما هو فيه.

وعن الحسن: اطلبوا نفوسكم عند التهجد(4) في الصلاة، وعند قراءة القرآن، فإن لم تجدوها فامضوا فإن الباب مغلق، يشير إلى ما يجده الإنسان من الرقة والإقبال إلى الله تعالى، والرغبة، وأحق ما يجد الواحد إقبال نفسه في هذه الأوقات الثلاثة.

[188] (متى أشفي غيظي إذا غضبت!): أي أخبروني متى يكون الشفاء من الغيظ والحدة من جهة النفس.

(أحين أعجز عن الانتقام): يعني العقوبة، وأراد أحين لا أكون قادراً على عقوبة من أريد عقوبته، فهذا لا وجه له.

(فيقال لي: لو صبرت!): على هذا الغيظ؛ لأنك لا تقدر على إنفاذه، وقضاء غرضك منه.

(أم حين أقدر عليه): على الانتقام والأخذ بالثأر، فهذا أيضاً لا وجه له.

---

(1) في (أ): ما كسبت فيه فوق قوتك، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج، وقوله: ما كسبت، في نسخة: ما جمعت (هامش في ب).

(2) إن، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(3) في (ب): لشيء.

(4) في (أ): عند التهجد وفي الصلاة.

*(2176/6)*

---

(فيقال لي: لو غفرت(1)!): تجاوزت وصفحت عن ذلك، فإذاً لا وجه لشفاء الغيظ لكل متدين، ولهذا قالت عائشة: وهل تركت التقوى لأحد أن يشفي غيظه.

[189] وقال وقد مرَّ بقذرٍ على مزبلة:

(هذا ما كنتم تنافسون عليه بالأمس!(2)): تحاسدون عليه، من(3) نَفِسَهُ إذا حسده.

وروي: (هذا ما بخل به الباخلون!): يعني أن كل أمر تحسد عليه وتبخل به النفوس يصير إلى هذه الحالة(4) إنه لحقير.

[190] (لم يذهب من مالك ما وعظك): ما هذه: نكرة موصوفة، والتقدير فيها لم يذهب من مالك شيء هو واعظ لك، وفي إعرابها وجهان:

أحدهما: أن تكون مرفوعة على الفاعلية على أنه هو الذاهب.

وثانيهما: أن تكون مفعولة على أنها هي المذهوب بها، أي لم تُذْهِبْ أنت من مالك شيئاً واعظاً لك، والمعنى في هذا أنه لا يقع اعتبار بما ذهب من المال، إنما(5) الاعتبار النافع ما يكون في القلوب.

[191] وقال لما سمع قول الخوارج: لا حُكْمَ إلا لله:

(كلمة حق يراد بها باطل): يريد أن قولهم: لا حُكْمَ إلا لله هو الحق لا محالة، فإن الحكم والقبض والبسط والخلق والأمر والإبرام والنقض إنما هو لله لا لغيره، كما قال تعالى: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}[الأعراف:55]، ولكن أرادوا بهذه الكلمة غرضاً قبيحاً، وهو أن يجعلوها ذريعة إلى البغي والمخالفة وإبطال ولاية أمير المؤمنين، وهذا كله باطل، فلهذا قال: هي كلمة حق، يشير إلى ما قلناه، ولكنهم أرادوا بها مقصداً باطلاً.

[192] وقال في صفة الغوغاء:

وهم: أخلاط الناس، والسفلة منهم:

---

(1) في شرح النهج: عفوت.

(2) في شرح النهج: هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس!.

(3) من، سقط من (ب).

(4) في (ب): الحال.

(5) في (ب): وإنما.

*(2177/6)*

---

(هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا): يشير إلى أنهم إذا اجتمعوا غلبوا(1) بالكثرة على حق كان أو باطل، فإن كثرتهم تكون سبباً للغلبة في ذلك.

(وإذا تفرقوا لم يعرفوا): يعني أن كل واحد منهم لا يؤبه له(2) ولا يدرى حاله، ولكن الاجتماع هو الذي جاء من جهته النصرة، وعند الافتراق يبطل حالهم كله.

وقال: (بل هم الذين إذا اجتمعوا ضروا): يشير إلى أن اجتماعهم لا خير فيه، وإنما هو مضرة محضة؛ لأنه(3) إنما يكون اجتماعهم على اللهو واللعب وأنواع الملاهي وضروب الطرب، أو أراد إذا اجتمعوا ضروا على ما كان اجتماعهم عليه، فإن اجتماعهم لا يأتي بخير.

(وإذا تفرقوا نفعوا فقيل له: قد عرفنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟

فقال: يرجع أصحاب المهن): يعني الحرف.

(إلى مهنهم): وإنما سميت الحرفة مهنة؛ لأنه يمتهن فيها نفسه وجوارحه، أي يستخدمها.

(فينتفع الناس بهم، كرجوع البنَّاء إلى بنائه، والنسَّاج إلى منسجته، والخبَّاز إلى مخبزه).

[193] (وأتي بجان): يعني برجل جنى جناية استحق بها الأدب أوالحد.

(ومعه غوغاء، فقال: لا مرحباً بوجوه لا ترى إلا عند كل سوأة): انتصاب مرحباً على المصدرية، والرحب: السعة، قال تعالى: و{ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ}[التوبة:118]، وأراد لا سعة لها؛

لأنها لا ترى إلا عند كل أمر قبيح يسوء صاحبه ويكسبه العار، فيجتمعون يشاهدون ما يجري عليه، وليسوا أهلاً للستر ولا أهلاً للحلم والأناة.

---

(1) غلبوا، سقط من (ب).

(2) له، زيادة في (ب).

(3) في (ب): لأنهم.

*(2178/6)*

---

[194] (إن مع كل إنسان ملكين(1) يحفظانه): عن كل سوء، ويكتبان عمله، قال الله تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:18].

(فإذا جاء القدر خلَّيا بينه وبينه): يعني فلم يدفعا عنه ما هو واقع به من المحذورات.

(إن(2) الأجل جُنَّةٌ حصينة): يعني أن الأجل الذي قدر الله للإنسان بلوغه لا بد من استيفائه له، لا يعرض له عنه عارض حتى يستكمله، فهو مختص به عن كل سوء يخافه ويحذره.

وزعم الشريف على بن ناصر صاحب (الأعلام): أن للإنسان أجلين:

طبيعي، واخترامي.

فالأجل الطبيعي وهو(3) الضروري لا يمكن دفعه، ويزيل الله عنه سائر العوارض حتى يبلغه.

وأما الأجل الاخترامي فإنه يتعلق بأسباب عارضة، يمكن دفعها من القتل وغيره من سائر الآلام.

ثم قال: وغرضه ها هنا هو(4) الأجل الضروري، فيدفع الله عنه سائر أسباب الهلاك حتى يَبْلُغَهُ، فلهذا كان جنة يتحصن بها(5)، وهذا الذي ذكره، وإن كان جائزاً من جهة العقل تصوره وإمكانه، لكنه لم يدل عليه دلالة، فلهذا كان موقوفاً حتى تدل عليه دلالة سمعية قاطعة.

[195] وقال له طلحة والزبير:

(نبايعك على أن نكون شركاؤك في الأمر).

فقال لهما:

(ولكنكما شريكان في القوة والاستعلاء(6)): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن كل ما حصل للمسلمين من القوة والاستعلاء على غيرهم بالقهر والغلبة فلكما نصيبكما من ذلك.

---

(1) في (أ): ملكان، وهو خطأ.

(2) في شرح النهج: وإن.

(3) في (ب): هو، بغير واو.
(4) هو، سقط من (ب).
(5) أعلام نهج البلاغة -خ-، باختلاف يسير في اللفظ.
(6) العبارة في شرح النهج: [لا] ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة.

*(2179/6)*

---

وثانيهما: أن يكون مراده أن العناية في القوة والاستعلاء مشتركة بين المسلمين فيشتركون في قوة الدين وإعلاء كلمته.
(وعونان على العجز والأود): أي ويستعان برأيكما وأنفسكما عند العجز عن الأمور العظيمة في الدين، وعلى تقويم المعوج من الآراء(1).
[196] (أيها الناس، اتقوا الله): المحيط بأحوالكم كلها.
(الذي إن قلتم سمع): أقوالكم كلها بحيث لا يخفى عليه منها شيء.
(وإن أضمرتم): شيئاً في صدوركم وأسررتموه.
(علم): عرفه وتحققه.
(وبادروا الموت): اسبقوه قبل أن يحول بينكم وبينها.
(الذي إن هربتم أدرككم): الإدراك ها هنا: اللحوق، قال الله تعالى: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}[الشعراء:61]، أي ملحقون.
(وإن أقمتم): في مواضعكم من غير هرب.
(أخذكم): من قولهم: أخذته الحُمَّى وأخذه السيل، قال الله تعالى: {فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ}[النحل:113]، أي استولى عليهم(2).
(وإن نسيتموه): تغافلتم عنه بالنسيان لأحواله.
(ذكركم): بوروده عليكم وهجومه عن قريب.
[197] (لا يزهدنَّك في المعروف من لا يشكره لك): أراد أنه لا يمنعك من اصطناع المعروف إضاعة شكره من جهة من فعل في حقه.
(فقد يشكرك من لا يستمتع بشيء منه): فإن الشكر لك عليه ربما حصل من جهة من لا يناله نفعك ولا يصل إليه معروفك، وهو سائر الخلق؛ فإن جميعهم يحمدونك على فعله ويشكرونك على إسدائه.
(وقد يُدْرَكُ من شكر الشاكر): يعني ومن لطف الله وحسن صنيعه(3) في حق من فعل معروفاً أن يناله من شكر الشاكر عليه:

---

(1) في (ب): الأمور.
(2) في (أ): عليه.
(3) في (ب): صنعته.



---

(أكثر مما أضاع الكافر): أعظم قدراً مما أضاعه من كفره ممن وصل إليه، ثم تلا هذه الآية: ({وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ})[آل عمران:134]: لما لها ها هنا من الملائمة وعظم الموقع وحسنه، ومعناها والله يريد إيصال النفع إلى من كان محسناً إلى غيره.

[198] (كل وعاء يضيق بما جعل(1) فيه): يعني أن كل وعاء وضع فيه شيء من الموضوعات فإنه يضيق مكانه لا محالة.

(إلا وعاء العلم): وهو القلب والصدر.

(فإنه يتسع(2)): يعني كلما ازداد العلم في الصدر فإنه يكون أوسع وأبلغ عند الزيادة فيه، وهذا من عجائب تركيب القلب، ولطيف حكمة الله فيه، وأعضاء ابن آدم مشتملة على أسرار ودقائق في الحكمة، والقلب من بينها مختص بأعجبها وأعلاها وأدخلها وأسماها.

[199] (أول عوض الحليم من حلمه): أول ما يحصل للحليم من النفع على صبره وكظم غيظه.

(أن الناس أنصاره على الجاهل): يعينونه على تقبيح فعله وعلى الإنكار عليه.

[200] (إن لم تكن حليماً فتحلَّم): أراد أن الحلم ربما كان بالاكتساب، فإذا تكلف الحلم من لا يعتاد الحلم كان حليماً وعُدَّ في الحلماء.

(فإنه قلَّ من تشبَّه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم): أوشك: أي قرب، وأراد أن كل من تشبه بقوم فإنه يكون من جملتهم.

[201] (من حاسب نفسه ربح): بالمحاسبة؛ لأنه إذا حاسب نفسه عرف ما يأتي من ذلك وما يذر.

(ومن غفل عنها خسر): أراد ومن غفل عنها بترك المحاسبة لها في جميع أحوالها خسر عمله.

(ومن خاف): من الله تعالى(3) ومن عقوبته، أو خاف من أهوال القيامة.

---

(1) جعل، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(2) في شرح النهج: فإنه يتسع به.
(3) في (ب): من الله عز وجل.

(أمن): مما يخافه؛ لأنه إذا خاف من ذلك اجتهد في تحصيل ما يؤمنه من القيام بأمر الله وامتثال أوامره.

(ومن اعتبر أبصر): ومن اتعظ بالمواعظ أبصر في أمر دينه.

(ومن أبصر): استبصر في الأمور.

(فهم): عن الله تعالى(1) ما يريده منه.

(ومن فهم): عن الله ما يقوله.

(علم): ما يصلحه مما يفسده من ذلك.

[202] (لتعطفن الدنيا علينا): ترجع إلينا بعد ذهابها عنا، وتعود إلينا.

(بعد شِمَاسِها): شَمَسَ الفرس إذا منع صاحبه عن ركوبه(2)، وأراد بعد امتناعها علينا.

(عطف الضروس على ولدها): الضروس هي: الناقة السيئة الخلق التي(3) تعض حالبها عند حلبها، وأراد من هذا أن الله تعالى يمكِّنهم من الدنيا، ويعطيهم من لذاتها بعد أن كانوا على خلاف ذلك في زمن الرسول عليه السلام؛ لأنهم كانوا في غاية الشدة في أيامه، وفي الحديث أنهم قالوا: متى لا نزال في هذه الشدة؟ فقال: ((ما دمت فيكم))، ولهذا فإن الله تعالى فتح عليهم الفتوحات العظيمة بعد وفاته، وأعطاهم الأموال الجمة، ومكَّنهم من النفائس الكثيرة، ثم تلا عقيب ذلك هذه الآية: ({وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ})[القصص:5].

[203] (اتقوا الله): خافوه في جميع أحوالكم كلها.

(تقية(4) من شمَّر تجريداً): شمَّر في الأمر إذا نهض فيه بسرعة، والتجريد هو: الخفة عن العلائق، وغرضه من هذا السرعة فيما هو فيه.

(وجد تشميراً): وكان مجداً في تشميره غير هازل فيه.

(وأكمش): أي عجل.

(في مهل): في إرواد وتُؤَدَة.

(وبادر): عاجل فيما هو فيه من أمر الآخرة.

---

(1) تعالى، سقط من (ب).

(2) عن ركوبه، سقط من (ب).

(3) في (ب): أي.

(4) في شرح النهج: تقاة.

(عن وجل): خوف وإشفاق.

(ونظر في كرة الموئل): تفكر في رجوعه ومآله إلى الله تعالى.

(وعاقبة المصدر): وما يكون آخر أموره وعاقبتها عند الله.

(ومغبة المرجع): عاقبته، وما تؤول إليه حالته.

[204] (الجود حارس الأعراض): المعنى في هذا هو أن من كان جواداً فإن جوده وسخاءه يمنعه ويحرسه عن الزلل، ويحمي مقاصده عن الزيغ والفساد.

(الحلم فدام(1) السفيه): الفدام: ما يوضع في فم الإبريق ليخرج منه الماء صافياً، والفدام أيضاً: خرقة يجعلها المجوسي على فِيْهِ(2)، وأراد أن حلم الحليم يمنعه عن السفاهة وجريها من جهته، أو يريد أن الحلم من جهة الحليم يكون مانعاً عن أن تجري عليه أذية من جهة السفيه، ويكون حلمه مانعاً له.

(العفو زكاة الظفر): أراد أن لكل شيء زكاة، وزكاة من ظفرت به من الأعداء عفوك عنه.

(السلو عوضك عمن(3) غدر): أراد أن عوضك عمن خانك وغدر بك هو إذهاب الحزن عنك واطراحه وتركه.

(والاستشارة عين الهداية): المشاورة في الأمر هو محض الصواب وعينه.

(وقد خاطر من استغنى برأيه): عرض نفسه للخطر وهو الهلاك، من أنفرد برأيه عن رأي غيره من العقلاء.

(الصبر يناضل الحدثان): يقال: ناضلت فلاناً إذا راميته فنضلته أي غلبته، وأراد أنه يغلب الحدثان، وهو ما يحدث من الخطوب، فإن الصبر عليها غالب لها.

(الجزع من أعوان الزمان(4)): العجلة في الأمور تعين الزمان على فساد الأحوال وتغيرها.

---

(1) في نسخة لجام، (هامش في ب).

(2) وذلك عند السقي.

(3) في (ب) وشرح النهج: ممن.

(4) بعده في شرح النهج: وأشرف الغنى ترك المنى.

(كم من عقل أسير تحت(1) هوى أمير!): أراد كم ترى من أهل الشقاوة ورجال السوء ممن يكون عقله موطوءاً بقدم هواه، وصار عقله أسيراً في ربقة الذل لهواه، لا يستطيع معه حيلة، وهذا هو الهلاك بعينه، فإن العقل إذا صار موطوءاً بقدم الهوى فلا يكاد ينتفع به صاحبه بحال.

(من التوفيق حفظ التجربة): يريد ومما يقود الإنسان إلى الخير ويؤذن بتوفيقه للصلاح حفظه للأمور المجرَّبة، وأن لا يكون غافلاً عنها بحال.

(المودة قرابة مستفادة): أراد أن القرابة لا يمكن التوصل إليها لأنها من جهة الله تعالى، يعني بها قربة(2) النسب، وأما المودة فهي قرابة يمكن استفادتها بالتودد وتحصيل أسبابها.

(لا تأمننَّ ملولاً): يعني في إبطال ما يكون من جهته من مودة وصحبة وإحسان وغير ذلك.

[205] (عجب المرء بنفسه أحد حسَّاد عقله): أراد من هذا هو أن من أعجب بعقله وبنفسه وعلمه فإن عجبه هذا هو نقص في عقله، ومانعاً له عن الكمال والتمام.

[206] (أغض على القذى): وهو ما يؤلم العين ويؤذيها.

(وإلا لم ترض أبداً(3)): يعني وإن لم تفعل ما قلته، لم تزل غاضباً على كل أحد، وهذا جاري مجرى المثل، وأراد منه احتمل الأمور الصغيرة، واصبر على ما يصيبك منها، وإن لم تفعل لم تكن راضياً عمرك.

[207] (من لان عوده، كثفت أغصانه): هذا وارد على جهة الكناية، وأراد منه هو أن من رقَّت أخلاقه وزكت وكانت صافية عذبة كَثُرَ إخوانه وأصحابه، وكَثُفَ الشيء إذا غلظ.

---

(1) في شرح النهج: عند.

(2) في (ب): قرابة.

(3) لفظ الحكمة هذه في شرح النهج: (أغض على القذى، والألم ترض أبداً).

*(2184/6)*

---

[208] (الخلاف يهدم الرأي): أي يفسده ويبطله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال:46].

[209] (من نال): سعة في جاهه أو ماله أو غير ذلك من ضروب التوسعات.

(استطال): على الناس، وكان قاهراً لهم.

[210] (في تقلب الأحوال): تصرفها واختلافها في الزيادة والنقصان(1)، والعلو والارتفاع، فهذه الأمور كلها فيها:

(علم جواهر الرجال): أي أنها محك أصفارهم(2) ومعرفة أحوالهم.

[211] (حسد الصديق): أراد أن تحسده أو هو يحسدك، فهذا كله إنما يكون:

(من سُقْمِ المودة): ضعفها وهوانها.

[212] (أكثر مصارع العقول): صرعه إذا وضعه وأسقطه لجنبه.

(تحت بروق الأطماع(3)): كنى ببروق الأطماع عن مواضعها ومظانها، وحيث تكون موجودة، والمعنى في هذا هو أن العقول إنما تكون ساقطة ومصروعة حيث تتوهم الطمع وتظنه.

[213](ليس من العدل): يريد الإنصاف.

(القضاء على الثقة بالظن): الحكم على من كان ثقة عندك بسوء الظن، فإن مثل هذا لا يكون إنصافاً في حقه ولا عدلاً.

[214] (بئس الزاد إلى المعاد): أراد أخبث زاد وأرداه إلى الآخرة.

(العدوان على العباد): إما بأخذ حقوقهم، وإما بمنعهم عن استيفائها وظلمهم بذلك.

[215] (من أشرف أفعال(4) المرء): أعلاها وأعظمها.

(غفلته عما يعلم): تغافله عما يكون عالماً به من الأمور كلها.

[216] (من كساه الحياء ثوبه): أراد أن الله تعالى إذا أعطى الإنسان وكساه شيئاً من الحياء غطاه وستره به.

---

(1) في (ب): والنقص.

(2) أي عقولهم ولبِّ قلوبهم، والصَّفَرُ بالتحريك من معانيه: العقل، والرُوع، ولب القلب.

(3) في شرح النهج: المطامع.

(4) في (ب): أعمال، و في شرح النهج: أفعال الكريم.

*(2185/6)*